



قسم اللغة والأدب العربي

التفكير اللساني عند سعد مصلوح

- المرجعيّات الفكرية والممارسات التطبيقية -

أطروحة مُعدّة لنيل شهادة دكتوراه (L.M.D) في اللغة والأدب العربيّ

الشعبة: دراسات لغوية

التخصّص: لسانيّات عامّة

إشراف الأستاذ:

أ. د عليّة ببيّة

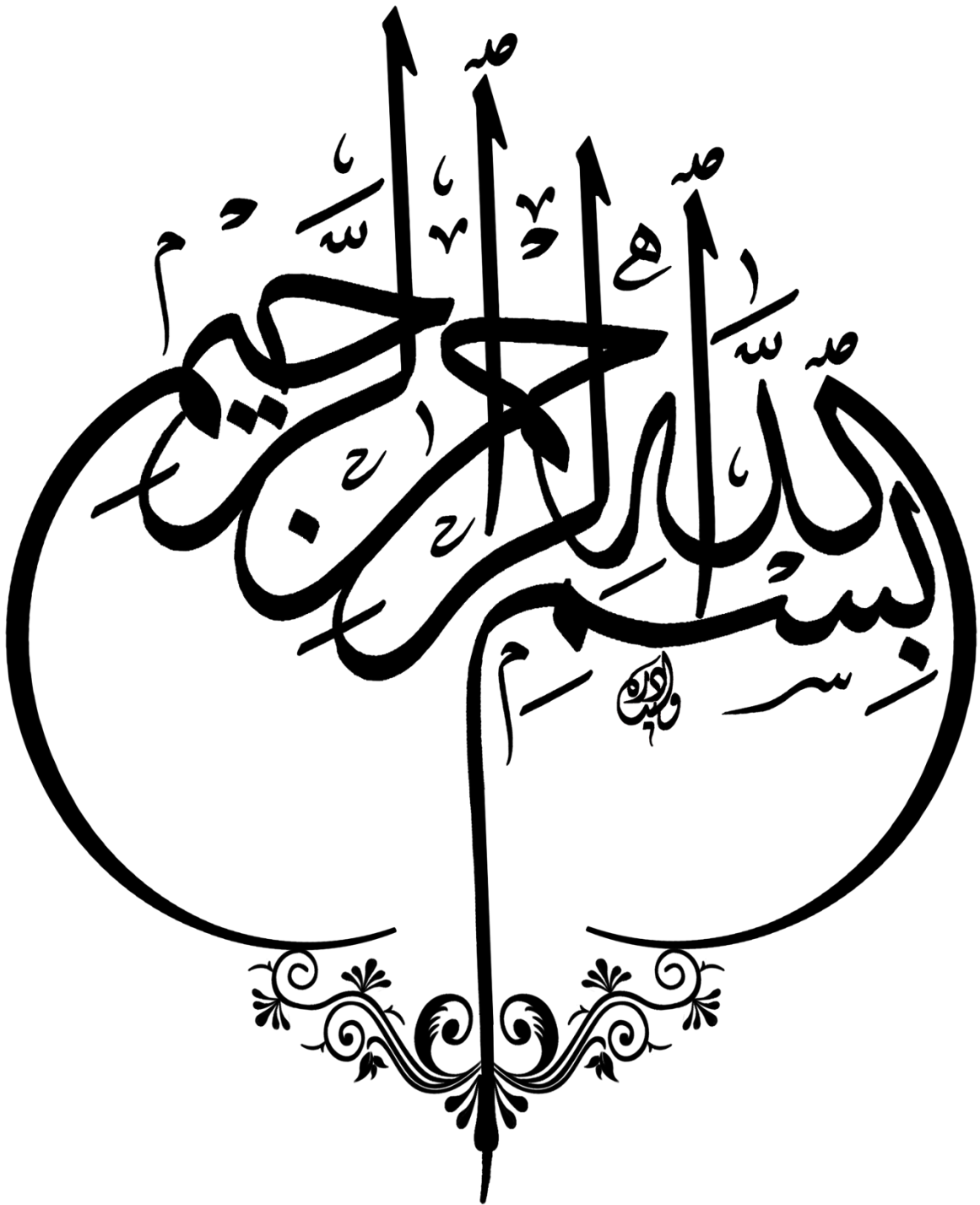
إعداد الطالب:

علاء الدين فدّاوي

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
01	ربيعة برباق	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي - تبسة -	رئيساً
02	عليّة ببيّة	أستاذ التعليم العالي	جامعة لونيّسي علي - البلدة 2-	مشرفاً ومقرراً
03	محمد الزين جيلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الرحمان ميرة - بجاية-	ممتحناً
04	شهرزاد بن يونس	أستاذ التعليم العالي	جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة 1 -	ممتحناً
05	الحاج موساوي	أستاذ محاضر أ	جامعة العربي التبسي - تبسة -	ممتحناً
06	يوسف عمر	أستاذ محاضر أ	جامعة العربي التبسي - تبسة -	ممتحناً

السنة الجامعية: 2026/2025



## إهداء

إلى كلّ من له حقّ عليّ..  
أمّي، أبي، إخوتي، وزوجي..  
إلى المخلصين الصادقين أينما كانوا..  
إلى المتعاملين بلطف وإحسان..

## شكر وتقدير

يطيب لي في هذه السانحة أن أتوجّه بشكري وتقديري البالغين إلى أساتذتي الأفاضل الذين تركوا بصماتهم في مساري التعليمي، ولم يبخلوا عليّ ممّا أنعم الله به عليهم، وأخصّ أساتذتي المشرفة في مسار الدكتوراه؛ "أ. د غلّية ببيّة" التي كانت بحقّ - جزاء أخلاقها العالية وتوجيهاتها السديدة - من نعم الله عليّ.

كما لا يفوتني أن أخصّ بالشكر الجزيل أساتذتي الأكارم جزاء دعمهم في هذا المشوار منذ لحظة النّجاح الأولى، ولو بالكلمة المحفّزة ذات الأثر البالغ: سعد مصلوح، محمّد صاري، ياسين سرايعة، كبلوتي قندوز، جموعي سعدي، مختار زواوي، خليفة صحراوي، عبد الرحمان مشنتل، ربيعة برباق، هبة خياري، فطومة لحمادي، سعاد بسناسي... إلخ.

والشكر موصول أيضا إلى الأساتذة الأفاضل؛ أعضاء لجنة المناقشة، على تفضّلهم بتقويم هذا العمل وإثراء أفكاره، فبارك الله سعيهم وسدّد خطاهم.

دون أن أنسى زملاء الدّفعة الذين كانوا نعم المرافق والسند، فجزاهم الله الخير كلّه وبارك فيهم، والحمد لله ربّ العالمين على فضله وكرمه.

# مقدمّة

بسم الله الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ، والصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أمَّا بعد:

مسايرةً لمستجدّات الدّرس اللّسانيّ الغربيّ الذي عرف أوجَ عطائه خلال القرن العشرين، واستكمالاً لمسيرة فقهاء العربيّة الأوائل، وسعيًا منهم لتطوير الأفكار والنظريّات والمناهج اللّسانية، عكف جيل من اللّسانيّين العرب المحدثين على توطين المعرفة الغربيّة واستنبات بذورها في البلاد العربيّة، متّخذين وجهتين صدد ذلك؛ فريق وجهته الانتصار للحديث والسّير وفق مبدأ القطيعة مع التّراث، وفريق وجهته التّوفيق بين المنجزين التّراثيّ والغربيّ لاستخلاص المفيد والجديد سواء أكان في القديم أم الحديث من منطلق أنّهما تراث إنسانيّ واحد، ومن ثمّ تطويعه بما يوافق خصوصيّة لساننا وثقافة أمّتنا. وثمة فريق ثالث لم ينخرط في مسعى اللّسانيّات الحديثة واكتفى بالمدوّنة العربيّة التّراثيّة منتصرًا لها ومنغلقًا عليها.

ومن جيل اللّسانيّين العرب المضطّلعين بمهمّة التّحديث وإعادة القراءة برز فريقان؛ فريق من الرّعيل الأوّل أو ما يسمّى بجيل الرّواد، والمتمثّل في نخبة من الأعلام كتّمّام حسان ومحمود السّعران وعبد الرّحمان أيّوب وكمال بشر وإبراهيم أنيس... وفريق من الرّعيل الثّاني، أخذوا عن الأوائل واغترفوا من معينهم ومن ثمّ اتّخذوا طريقهم الخاصّ، ومن بينهم نذكر: سعد مصلوح، عبد الرّحمان الحاج صالح، عبد القادر الفاسي الفهري، أحمد المتوكّل، عبد السّلام المسديّ، مصطفى غلفان، رمزي منير بعلبكيّ...

ويأتي الأستاذ "سعد عبد العزيز مصلوح" ضمن هذه الكوكبة التي تركت بصمتها في بناء الصّرح اللّسانيّ العربيّ بما قدّمه من إسهامات علميّة جادّة، زواج فيها بين النظريّ والتّطبيقيّ، والقديم الحديث، وأبان من خلالها عن فكر لسانيّ شموليّ، عالج الظّاهرة اللّغويّة في كليّتها، وإن كان تميّزه في مشروعين مهمّين؛ الأسلوبية الإحصائية والمراجعة النّقديّة للكتابة اللّسانية العربيّة.

إنطلاقاً ممّا سبق، إرتأينا أن يكون عنوان البحث كالآتي: "التّفكير اللّسانيّ عند سعد مصلوح - المرجعيّات الفكرية والممارسات التّطبيقيّة -".

ولعلّ من الدوافع التي قادتنا إلى هذه الشّخصيّة العلميّة لتكون محلّ نظر ومتابعة في هذا المقام:

- تتوّع إنتاجه العلميّ ودراسته للغة العربيّة دراسة علميّة بعيدا عن الأذواق والانطباعات الدّائيّة.
- النّظر للفكر اللّسانيّ في إطاره الموسّع دون تعصّب للقديم ولا انبهار بالحديث.
- معاصرته لجيل الرّواد وتلقّيه المباشر عنهم.
- انفتاحه على ثقافة شرق أوروبا مختلفا بذلك عن أساتذته.
- إخلاصه لرسالة العلم وعطاؤه الدائم والمتجدّد.

تُضاف إليها الرّغبة في مواصلة الطّريق الذي بدأت في رسالة الماستر بإشراف من الأستاذ محمّد صاري، من خلال تتبّع تلقّي "دو سوسير" في نماذج من الكتابات اللّسانيّة العربيّة التّمهيدية والمتخصّصة، فكان هذا الموضوع حصرا لما سبقه في نموذج واحد له وزنه في الكتابة اللّسانيّة العربيّة، ورصدا عاما للفكر اللّسانيّ في منجزه دون تحديد لعلم مؤسس أو منهج خاصّ أو نظريّة بعينها. كما كان انتحاء سمت أساتذتنا الأفاضل الذين سبقونا إلى طرق موضوع التّفكير اللّسانيّ في أطروحاتهم دافعا لمواصلة التّجربة في إطار مدوّنة مغايرة؛ ومن بينهم نذكر: الأستاذ عبد السّلام المسديّ في "التّفكير اللّسانيّ في الحضارة العربيّة" (1979)، والأستاذ عبد الرّحمان مشنتل في "التّفكير اللّسانيّ في رسائل إخوان الصّفا" (1995) ..

أمّا عن الأهداف التي يرومها البحث فتتمثّل في الآتي:

- الوقوف عند إسهامات سعد مصلوح في المكتبة اللّسانيّة العربيّة بالفحص والتّدقيق.
- بحث المرجعيّات الفكرية المتّبعة في منجزاته اللّسانيّة النّظرية والتّطبيقية.
- استكشاف القيمة المنهجية والفكرية لممارساته التّطبيقية.
- تسليط الضّوء على بحوثه التّقويمية اللّسانيّة العامّة والخاصّة.

- إبراز جوانب التّميّز في معالجة القضية اللّغويّة.

وقد رُصدت للموضوع إشكاليّة مركزيّة متمثّلة في الآتي: ما مواصفات التّفكير اللّسانيّ عند سعد مصلوح؟ وهل في الإمكان استثمار جهوده في التّأسيس لنظريّة لسانية عربيّة؟

وتتفرّع عن هذه الإشكاليّة أسئلة ثانويّة أهمّها:

- كيف تجلّت المرجعيّات الفكرية المتنبّاة في منجزاته اللّسانية النظريّة والتّطبيقيّة؟

- ما جوانب التّميّز والإضافة في مشروع سعد مصلوح اللّسانيّ؟

- ما مدى إسهامه في نقد وتقويم الوضع اللّسانيّ العربيّ؟

- كيف سعى لخدمة اللّغة العربيّة ودراساتها علميًّا؟

وجاء هيكل البحث تماشياً مع الإشكالات المطروحة مشكّلاً من مدخل وثلاثة فصول، تتصدّره مقدّمة وينتهي بخاتمة، وهو كالآتي:

مقدّمة عُنيّت بتوضيح الصّورة العامّة للبحث؛ من دوافع وأهداف وإشكالات ودراسات سابقة وصعوبات... إلخ

ثمّ مدخل بعنوان: «مسار النّشأة العلميّة لسعد مصلوح ومحطّات إرساء الفكر اللّسانيّ». وقد حوى أربع وقفات؛ أوّلاها مسار النّشأة العلميّة، وثانيها محطّات إرساء الفكر اللّسانيّ، وثالثها مختارات من أقواله اللّافته التي تنمّ عن عقل متّقد وشخصيّة بحثيّة لها وزنها في السّاحة العربيّة، وختاماً بشهادات لامعة أدلى بها نخبة من الأساتذة والباحثين في حقّه.

**الفصل الأوّل** جاء موسوماً بـ: «تجليّات التّفكير اللّسانيّ لدى سعد مصلوح بين المرجعيّة والإجراء». حاولنا فيه إمطة اللّثام عن جوانب من تفكيره اللّسانيّ بالتركيز على مرجعيّته الفكرية المتّبعة في عدد من القضايا اللّسانية المعالّجة ضمن كتاباته التّأسيسيّة النظريّة، وكذا بعض ممارساته التّطبيقيّة التي هي انعكاس لقناعاته الفكرية. وكانت البداية ببحث المرجعيّة الفكرية في تأسيس نحوٍ نصّيّ للغة العربيّة، ثمّ تسليط الصّوء على المنظومة التّحليليّة لدراسة النّصّ؛ من الأسلوبيّات المعاصرة إلى علم الأدب للسّكاكي، ثمّ حديث عن الأسلوبيّات اللّسانية بين المحافظة والانفتاح. ونشير إلى أنّنا أتبعنا كلّ قضية بما يعضدها تطبيقيًّا؛ أمّا الأولى

فألحقناها بدراسة إختبر فيها النصّ الشعريّ العربيّ من وجهة نظر نحو النصّ، وأمّا القضية الثانية فشفعناها ببحث تطبيقيّ طريف استثمر فيه الأستاذ مصلوح بلاغة القرطاجنيّ في مقارنة النصّ الإعلانيّ في الصحافة المعاصرة، وثالث القضايا ربطناها بدراسة تطبيقية محضّة وظّف فيها المقاييس الإحصائية في نقد لغة الخطاب النقديّ.

وأما الفصل الثاني فهو تحت عنوان: «المنحى النقديّ في كتابات سعد مصلوح اللسانية». ركّزنا فيه على جانب مميّز وغالب على كتاباته؛ ألا وهو نقد وتقويم ما يُنتج من بحوث لسانية في الوطن العربيّ. وكانت البداية بالإبانة عن مفاهيم عدد من المصطلحات المتداخلة (النقد اللسانيّ - النقد المتألسن - النقد الفقهيّ - النقد الثقافيّ - التقويم اللسانيّ)، ثم إبراز ملامح الفكر النقديّ لدى سعد مصلوح من خلال نقده للوضع اللسانيّ العربيّ بصفة عامّة، وكذا نقده الموجّه لبحوث لسانية خاصّة، وختاماً بإبداء مجموعة من الملاحظات على بعض بحوثه التقويمية الخاصّة.

والحاقا بالفصلين السابقين، جاء الفصل الثالث موسوماً بـ: «مسائل ورؤى لسانية حول اللغة العربيّة من منظور مصلوح». تناولنا فيه بدايةً العلاقة بين العربيّة ولهجاتها، وألحقناها بحديث عن التفاضل بين اللغات، متسائلين في العنوان: هل اللغة العربيّة أفضل اللغات؟ ثمّ طرحنا رأياً وجيهاً لسعد مصلوح في البلاغة المدرسيّة، وأخيراً بالتطرق إلى المنظور البينيّ وأهمّيته في الدراسات اللسانية الحديثة كونه أحد السبل المفضّلة لدى الأستاذ الفاضل.

ليُذيل البحث بخاتمة حوت أبرز النتائج المتوصّلة إليها.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يُدرّس وفقاً للمنهج الوصفيّ بالاعتماد على آليات الاستقراء والتّحليل والنقد.

أمّا فيما يتعلّق بالدراسات السابقة في الموضوع، فقد توصّلت من خلال البحث والفحص إلى ما يلي:

- رسالة ماجستير للطّالب العراقيّ "عبد الرّحمان مجيد محمود"، نوقشت بجامعة بغداد سنة 2014، تحت عنوان: «التّفكير اللسانيّ عند سعد مصلوح». وبما أنّ عنوانها متطابق في شطره الأوّل مع عنوان البحث الذي اشتغلت عليه، أخذني الفضول للنظر في محتواها، فتوصّلت إلى الصّفحات الخمسة عشر الأولى المتضمّنة للفهرس الذي حوى بابين بعد التمهيد

بحياته وآثاره؛ الباب الأول معنون بـ «الدراسة الصوتية والصرفية»، ويضم خمسة فصول: "فيزياء الصوت، إنتاج الصوت ومخارجه، الحركات، الظواهر الصوتية، قضايا صرفية بين عبد الصبور شاهين وسعد مصلوح". وأمّا الباب الثاني المعنون بـ «الدراسة النحوية والأسلوبية» فيضم ثلاثة فصول: "الدراسة النحوية، الدراسة الأسلوبية، البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية"، تليهما الخاتمة.

- أطروحة دكتوراه علوم في الأدب الحديث والمعاصر متاحة بالبوابة الوطنية للإشعار عن الأطروحات (PNST)، نوقشت بجامعة الإخوة منتوري - قسنطينة- في الموسم الجامعي 2019/2018، تحت عنوان: «النقد اللساني لدى سعد مصلوح» للطالبة "سامية بن دريس"، بإشراف من الأستاذ "يوسف وجليسي" الذي له علاقة وطيدة مع الأستاذ "سعد مصلوح". وجاء فهرسها مشكلاً من أربعة فصول بعد المقدمة، وهي كالاتي: الفصل الأول: بين اللسانيات والنقد الأدبي. الفصل الثاني: الأسلوبية الإحصائية لدى سعد مصلوح. الفصل الثالث: الجغرافية الأسلوبية لدى سعد مصلوح. الفصل الرابع: أجرومية النص لدى سعد مصلوح. ويلاحظ عليها - بنقيض ما سلكته في هذا البحث - الاعتماد على موقعين إلكترونيين فحسب؛ أحدهما (ويكيبيديا)، والآخر للدكتور محمد حماسة، كما يلاحظ على المقدمة خلوها من طرح الإشكال.

- أطروحة دكتوراه (ل. م. د) في لسانيات النص والخطاب متاحة للتحميل من موقع المركز الجامعي الذي نوقشت فيه؛ "المركز الجامعي - مغنية" خلال الموسم الجامعي 2023/2022، تحت عنوان: «تجليات اللسانيات النصية في الدرس اللغوي العربي الحديث - سعد مصلوح أنموذجاً-» للطالب "دماني بلقاسم" بإشراف من الأستاذ "إبراهيم مناد". وجاء فهرسها مشكلاً من أربعة فصول بعد المقدمة والمدخل، وهي كالاتي: المدخل: لسانيات النص؛ الدواعي، المفهوم، والآفاق. الفصل الأول: المرجعية الفكرية لسعد مصلوح وتجلياتها المعرفية. الفصل الثاني: مقومات المشروع اللساني النصي عند الدكتور سعد مصلوح. الفصل الثالث: تشكلات المراجعة التقويمية في البحث اللساني النصي عند سعد مصلوح. الفصل الرابع: المكون البلاغي عند سعد مصلوح - من نمطية الجملة إلى تعددية النص-.

- رسالة ماجستير للطالبة "نورهان سيد محمد بدوي" بعنوان: «الدرس اللساني (النقدي والبلاغي) في منجز الدكتور سعد مصلوح - دراسة تأصيلية نقدية-»، نوقشت يوم الخميس

1 جوان 2023 بكلية الآداب بجامعة عين شمس (مصر)، تحت إشراف: أ.د أحمد إبراهيم هندي"، "د. فاطمة عبد التّواب".

وبخصوص أبرز المصادر الورقية التي اعتمدها، فهي كالآتي:

- سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-، ط3، 1992.
  - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية - آفاق جديدة -، ط1، 2003.
  - سعد مصلوح، في النقد اللساني -دراسات وثقافات في مسائل الخلاف -، ط2، 2010.
  - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات وثقافات -، ط2، 2015.
  - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد - أوراق بينية -، ط1، 2017.
  - سعد مصلوح، في تاريخ العربية - مغامرات بحثية-، ط1، 2017.
- وتجدر الإشارة إلى استعانتني بشكل كبير بمحاضرات سعد مصلوح ولقاءاته المرئية الموجودة على اليوتيوب (YouTube)، وكذا تدويناته الفكرية المنزلة على الفيسبوك (Facebook) والتويتر سابقا (موقع X حاليًا)، ناهيك عن التواصل الشخصي معه عبر تطبيق المسنجر (Messenger). وما سبق ذكره من منصات إلكترونية تحوي كنوزا معرفية للأستاذ مصلوح لا يمكن بحال المرور عليها مرور الكرام، ولعلّ الجهود المبثوثة في هذه المواقع تستفرد ببحث مستقلّ في المستقبل - إن شاء الله -.

أما عن الصّعوبة التي يمكن أن تُطرَح بعد تناول هذا الموضوع - على خلاف ما دأب الباحثون على طرحه من وجود نقص في المصادر والمراجع-؛ فمتعلّقة بكثرة أبحاث سعد مصلوح وتنوّعها، ما يجعل من الإحاطة بها كلّها في بحث واحد أمرا صعبا إلى حدّ ما. لكن رغم ذلك فقد حاولت - ما وسعني الوقت والجهد- تسليط الصّوء على جوانب أحسبها مهمّة ومميّزة في منجز مصلوح اللسانيّ، كقيلة بالإجابة عن الإشكالات المطروحة والأهداف المرصودة، كما حرصت أيّما حرص في كثير من المواضع على انتقاء آخر ما جاد به فكره، فإن أصبت فبتوفيق من الله وحده، وإن أخطأت فتقصير منّي، وبعبارة الرّافعي التي نقلها مصلوح: «فإن قصرنا فضغف ساقه العجزُ إلينا، وإن قاربنا فذلك من فضل الله علينا»، والله أسأله السّداد والرّشاد.

ولا يفوتني في الأخير أن أعبر عن وافر شكري وامتناني لأستاذتي المشرفة؛  
"أ. د غلية بيبية"، على حسن مرافقتها وتوجيهها، وحرصها الدائم على تذليل الصعاب وإنارة  
الطريق بما يستنهض الهمم ويقوي العزائم. والحمد لله أولاً وآخراً على فضله ومنه وكرمه.

مدخل:

مسار النشأة العلميّة لسعد مصلوح  
ومحطّات إرساء الفكر اللّسانيّ

يأتي هذا المدخل ليسلط الضوء على جوانب بارزة من حياة اللساني العربي "سعد مصلوح"؛ بدايةً بمسار النشأة العلمية والتكوين الذاتي، ثم المحطات التي تعاقب عليها في سبيل إرساء المعرفة اللسانية في الوطن العربي، متناولين في ذلك أهم المواد التي اضطلع بتدريسها وكذا منجزاته الأكاديمية المتخصصة في اللسانيات وما يحاقلها. لنتقي بعدها عددًا من أقواله اللافقة التي تتم عن عقل متقد وشخصية بحثية لها وزنها في الساحة العربية، وختامًا بشهادات لامعة أدلى بها نخبة من الأساتذة والباحثين في حق الأستاذ الفاضل.

## 1- مسار النشأة العلمية

سنخص هذا البحث الأكاديمي بالحديث عن أحد اللسانيين العرب البارزين في العصر الحديث والمعاصر؛ إنه الأستاذ الدكتور "سعد عبد العزيز مصلوح"، أو شيخ العربية كما يلقبه الكثير من أتباعه ومريديه.

وُلد الشيخ بمحافظة المنيا - مصر - بتاريخ الفاتح من مارس سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وألف (1943/03/01م). تحصل على درجة الليسانس من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة 1963، ثم الماجستير من الكلية ذاتها سنة 1968، وأخيرًا الدكتوراه من معهد بلدان آسيا وإفريقيا بجامعة موسكو سنة 1975<sup>(1)</sup>.

كان لنشأته في أسرة محافظة وشغوفة بالعلم الأثر البارز في الوصول إلى أعلى الدرجات العلمية، والمشاركة في صناعة الواقع اللساني العربي. وعندما نقول الأسرة، فالإشارة ههنا إلى والده بالأساس الذي ما فتئ يشيد به الابن سعد في كل المجالس ويعدد أفضاله عليه. ومن بين ما ذكره عن والده عبد العزيز؛ أنه كان بمثابة المدرسة التعليمية التي نهل منها الكثير طيلة عمره المعرفي على الرغم من كونه عصامي الثقافة<sup>(2)</sup>. لذلك يمكن عد فترة التكوين على يد والده الذي توفى سنة 1984، أو ما يصح تسميته؛ "النشأة الأولى"، إحدى أهم المحطات في تكوين العقل العلمي للأستاذ سعد. ومن مميزات حفظ القرآن الكريم، والعمق في التعلق

1 - ينظر، خالد فهمي وعبد السلام حامد، الأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح - سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة -، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2016، ص ص 11-12.

2 - ينظر، سعد مصلوح، احتفاء وزارة الثقافة المصرية بالتجربة اللسانية والنقدية للدكتور سعد مصلوح، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2022/01/24، <https://www.youtube.com/watch?v=Qdjrl38K7WY> (كانت هذه الكلمة ضمن احتفاء وزارة الثقافة المصرية متمثلة في المجلس الأعلى للثقافة - لجنة الدراسات الأدبية -، بالتجربة الفكرية واللسانية والنقدية للدكتور سعد مصلوح، بتاريخ الأربعاء 29 / 12 / 2021م. وأقيم الاحتفاء تحت رعاية وزيرة الثقافة د. إيناس عبد الدايم، والأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة د. هشام عزمي).

بالتراث وبخاصة نصوصه الشعرية، وإجادة الإنجليزية في وقت مبكر. وأما الانفتاح على اللغة الروسية وثقافة شرق أوروبا فكان في مرحلة لاحقة<sup>(1)</sup>.

المحطة الثانية البارزة تمثلت في الدراسة بكلية دار العلوم - القاهرة-؛ وكانت بعد النشأة الأولى رفقة والده، وبعد إنهائه بنجاح للدراسة النظامية ما قبل الجامعية في مراحلها الثلاث: الابتدائية بمدرسة إسماعيل حمد، ثم الإعدادية بمدرسة ناصف الإسلامية، وأخيرا الثانوية بمدرسة المنيا؛ وكلها بمدينة المنيا (صعيد مصر)<sup>(2)</sup>.

وتميزت محطة دار العلوم بعلاقته الوطيدة بالأستاذين الجليلين: "محمد غنيمي هلال" من ناحية النقد، و"عبد الرحمان أيوب" من ناحية اللسانيات. وقد توجت بإنجازه لموضوع الماجستير الموسوم بـ: "دراسة صوتية للهجات المنيا في ضوء الجغرافيا اللغوية" بإشراف أ. د "عبد الرحمان أيوب" و أ. "عبد الحميد الدواخلي"، وكان معهما أ. د "تمام حسان" ضمن لجنة المناقشة. ثم مباشرة إنجاز موضوع الدكتوراه بإشراف أستاذه الأثير "أيوب"<sup>(\*)</sup>، وكان موسوماً بـ: "التحليل الطيفي لنقاط الالتقاء بين الصوامت والحركات في الفصحى المعاصرة"، إلا أنه لم يتمه وانتقل في بعثة إلى موسكو (1971-1975)، فاختار موضوعاً آخر عنوانه: "الأسس الأكوستيكية للقافية في الشعر العربي"<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، كلمة د. سعد مصلوح في ملتقى (الإثنية) بجدة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2022/09/04،

<https://www.youtube.com/watch?v=UZy7NcDJRpU>

وسألته بتاريخ 2025/08/27: هل أجدت الروسية قبل التقل إلى موسكو أم أنك اكتسبتها هناك؟ فردّ بالآتي: "اجتزت دورة في مصر لمستوى المبتدئين، لكن اكتسابها كان هناك، وكتبت بها أطروحة الدكتوراه".

<sup>2</sup> - أعلمني الأستاذ بأسماء المدارس بتاريخ: 2025/08/31 عبر تقنية "المسنجر"، وهو مشكور جداً على كرم الإفادة.

\* كثيراً ما يشيد سعد مصلوح بأستاذه عبد الرحمان أيوب، ومن أبرز ما خصه به؛ إهداء كتاب "في تاريخ العربية - مغامرات بحثية-"، يقول في فقرة الإهداء: "إلى روح شيخي ومعلمي؛ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب، رحمه الله وتلقاه بسابغ عفوه وغفرانه، وعسى أن أكون بما وُفقت إلى إنجازه في هذا الكتاب أثراً من علمه الممتد، ماكتا في الأرض بما ينفع الناس". (ينظر، سعد مصلوح، في تاريخ العربية - مغامرات بحثية-، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2017م).

<sup>3</sup> - ينظر، سعد مصلوح، احتفاء وزارة الثقافة المصرية بالتجربة اللسانية والنقدية للدكتور سعد مصلوح، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2022/01/24،

<https://www.youtube.com/watch?v=QdjrI38K7WY>

وأكد لي الأستاذ سعد عنواني موضوع الماجستير والدكتوراه بتاريخ 27 أوت 2025، بالتواصل كتابياً عبر تقنية "المسنجر"، كما سألته عن الفرق بين (الأكوستيكي) و (الفيزيائي) لتباين الأقوال في عنوان موضوعه للدكتوراه بين (الأسس الفيزيائية) و(الأسس الأكوستيكية)، وكان هذا توضيحاً مهماً منه: "الدرس الأكوستيكي فرع من علم فيزياء الصوت؛ وهو العلم الذي يدرس ظاهرة الصوت بمستوياته الثلاثة: ما يقع تحت مستوى عتبة السمع، وما يقع في نطاق السمع، وما يقع فوق نطاق

المحطة الثالثة كانت بموسكو (روسيا)، ومنها عاد متوجًا بالدكتوراه بعد تجربة نوعيّة دامت أربعة أعوامٍ إلّا قليلا، ومعها زاد ثقافيّ ولسانيّ كبير. ومن علامات فطنته وذكائه أنّه أشار ذات محاوره إلى أنّ أطروحته تكاد تكون الأطروحة الوحيدة التي لم يُذكر في مراجعها مرجع واحد من مراجع الأيديولوجيّة السوفييتيّة، بينما كان هذا فرضا محتوما على كلّ طالب دراسات عليا آنذاك. وسُئل حينها عن أهمّ اللسانيين هناك، فأجاب بأنّ "بودوان دي كورتتي" هو "سوسير" اللسانيّ الشرقيّة. وفي المقابل تساءل: من اللسانيّ الحقّ في مصر؟ ثمّ تلاه بقوله: "عبد الرحمان أيّوب"<sup>(1)</sup>؛ هذا اللسانيّ المصريّ الذي لم يلق الاهتمام اللازم في الساحة العربيّة. ومن مؤلفاته العديدة نذكر: "الكلام، إنتاجه وتحليله"، الصادر عن جامعة الكويت سنة 1984م، وكذا ترجمته لكتاب "جسبرسن" عن الإنجليزيّة "اللغة بين الفرد والمجتمع" 1954م. وله وصيّة ذهبية يعتزّ بها مصلوح في حقبة ذكرياته\*).

وعليه يكون سعد مصلوح قيمة مضافة ونسخة مغايرة لجيل اللسانيين الرّواد؛ على غرار إبراهيم أنيس ومحمود السّعران وتمّام حسّان وكمال بشر وعبد الرحمان أيّوب وغيرهم ممّن

السمع. أما الدرس الأكوستيكي فيختص بدراسة ما يقع في نطاق السمع فقط. ولأنّ أصوات اللغة أصوات مسموعة، فلذلك تنتمي فيزيائيا إلى علم الأصوات الأكوستيكي acoustic phonetics. وعلى هذا يكون علم الأصوات الفيزيائي تسمية بالأعم، وعلم الأصوات الأكوستيكي تسمية بالأخص".

1 - ينظر، سعد مصلوح، سردية/ أ.د سعد عبد العزيز مصلوح، القناة: الثقافيّة، 2025/03/12، <https://www.youtube.com/watch?v=CyuDjjbc7Lk&t=3086s>

\* "قال لي الشيخ - رحمه الله - : اعلم أن جديد العلم لا يأتي من عدم، وإنما هو معلومات قد تكون عادية أو بدهية، فيعمل فيها العقل بالتنظيم، والربط بين المتباعدات، واستنباط العلاقات المضمرّة، فينشأ من ذلك الجديد. والمعول في ذلك على قوة الملح، ونفاذ البصيرة، وتجاوز السطح الظاهر إلى ما هو عميق وخبيء. بمثل ذلك يفرز العادي والبدهي من المعلومات ما ليس بعادي ولا بدهي من النتائج، وتحصل الكشوف، وينبثق غير المألوف من المألوف. إن ملايين البشر شاهدوا التقاحة الناضجة تسقط من مكانها وهي على غصن الشجرة. لكن رجلا واحدا هو الذي تساءل: لِمَ تسقط التقاحة على الأرض ولا تحلق في الهواء؟ هذا المتسائل هو الذي اكتشف سر الجاذبية فغيّر بذلك تصور الإنسان عن طبيعة العلاقة بين الأرض والسماء. قلت: هذا عن تقوب النظرة ونفاذ البصيرة، ولكن كيف تنتج المواد الأولية والعادية ما يخالف طبيعتها الأولى بإعمال العقل فيها؟ قال: إن عمود الخرسانة المسلحة الذي يحمل بناية من عشرات الطوابق هو في حقيته رمل وإسمنت وزلط وماء، وليس لأيّ من هذه المواد نصيب من خاصية الصلابة التي تؤهلها لأن تقوم بوظيفة العمود الحامل للبناء، وإنما مدار الأمر على الخلطة والنسب والمقادير، وما ذلك كله إلا من عمل العقل ومن صنع التفكير. فإياك أن تستهين بما تظنه عاديا أو بدهيا، وإياك أن تنزلق عينك على سطوح الأشياء فتذهل عما هو عميق ومضمر وخبيء"

قلت في ذات صدري: لو أنك قطعت لهذه الكلمات منكرات المهامه ومجاهيل القفار لما قضيت حقها.

وإن له - رحمه الله - معي من مثل ذلك الكثير. (سعد مصلوح، من الحقبة: وصية ذهبية من شيخي عبد الرحمن أيّوب، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/04، <https://www.facebook.com/share/p/1CrWYDhsia/>).

ابتعثوا إلى "لندن" ونهّلوا من معين واحد؛ تمثّل في مدرسة "فيرث". كما نستشفّ من محطة موسكو صلابة الوازع الديني للأستاذ سعد، ولا أدلّ على ذلك من ثباته في بيئة أجنبية ملحدة، وعودته منها سالما غانما. وإن لم يتأثر بأيدولوجيتهم فتأثره بمدارسهم اللسانية وبخاصة مدرسة الشكلايين الروس وحلقة براغ بادٍ في مؤلفاته وتوجّهاته البحثية. وهو يعبر عن ذلك بصريح العبارة: «الكثير من انتماءاتي المنهجية ما تزال مرتبطة إلى حدّ كبير بهذه المدرسة العظيمة، فيما تعودنا أن لا نتأثر إلا بما يأتينا من أوروبا»<sup>(1)</sup>. في إشارة منه إلى أوروبا الغربية ممثلة في رائد اللسانيات البنيوية "دو سوسير" ومن اتّخذ وجهته فيما بعد.

## 2- محطات إرساء الفكر اللساني

وفق المنوال المتبع ضمن مسار النشأة العلمية؛ من البيت إلى المدرسة ثمّ كلية دار العلوم وصولا إلى جامعة موسكو. توقّف سعد مصلوح في سبيل إرساء الفكر اللساني وتثبيت دعائمه عند محطات كثيرة. ويمكن تقسيمها كالآتي<sup>(2)</sup>:

. بعد نيل درجة الليسانس

- معيد في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة 1964-1968م

. بعد نيل درجة الماجستير

- مدرّس مساعد في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة 1968-1971م

. بعد نيل درجة الدكتوراه

- مدرّس في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة 1975-1978م

- أستاذ مشارك في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية (جدة)

1978-1982م

- أستاذ مساعد في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة 1980-1983م

- خبير أول في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)

1983-1987م

- أستاذ مشارك في كلية التربية الأساسية بالكويت 1987-1996م

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، كلمة د. سعد مصلوح في ملتقى (الإثنين) بجدة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2022/09/04،

<https://www.youtube.com/watch?v=UZy7NcdJRpU>

<sup>2</sup> - ينظر، خالد فهمي وعبد السلام حامد، الأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح - سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة -،

- أستاذ كلية الآداب بجامعة القاهرة 1991-1993م  
 - أستاذ كلية الآداب بجامعة الكويت من 1996م إلى غاية التقاعد بتاريخ 2018/02/28 في سن الخامسة والسبعين، وهي الحد الأقصى للأستاذ الجامعي سواءً أكان مواطناً أم من غير أهل البلد<sup>(1)</sup>.

والملاحظ على هذه المحطات التدريسية أنّ أطولها كان بجامعة الكويت، وهي محطة الحصاد وفيها أنتج الكثير من الأعمال العلمية، وأقصرها بجدّة والخرطوم. ففي "جدّة" أخرج أول كتبه؛ "الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية- 1980م، وألقى محاضرةً شغلت الرأي العام؛ "الاتجاه اللغوي في النقد الحديث" 1982م، ومن بين ما جاء فيها: «إنّ انضباط الأحكام مقرون بانضباط المعايير المستخدمة، ومن ثمّ فإنّ المعالجة اللغوية هي المرشحة لمواجهة ذاتية الأحكام وفوضى المصطلح، واستبعاد المصطلحات المفرغة من مدلولاتها كالقول بجزالة القصيدة ورسالة ألفاظها ومتانة سبكها.. إلخ. من غير تحديد مفهوم هذه المصطلحات، وفي غياب معيار واضح يُتخذُ أساساً للحكم عند الاختلاف»<sup>(2)</sup>.

وأما "الخرطوم" فكانت محطة الإشراف على الرسائل الجامعية بامتياز (الماجستير والدكتوراه)، إذ أشرف على أربعين رسالة أو يزيد بمعهد الخرطوم الدوليّ للغة العربية، فيما كان نصيبه بجامعة الكويت إحدى عشرة رسالة، وثلاث رسائل بجامعة القاهرة<sup>(3)</sup>. ومن أقواله في هذا الصدد: «لا أشرفُ على موضوع تقليديّ إطلاقاً. لا بُدّ أن يحمل الموضوع قضية؛ إمّا قضية تخصّ العلاقة بين السياق العربيّ والغربيّ، أو قضية داخل السياق العربيّ نفسه»<sup>(4)</sup>. وبوعيه النقديّ المعتاد، يميّز في السوق المعرفيّ (التأليف العلميّ) بين جهة يشملها: اللّي، التطويع، والقهر. وجهة أخرى يتجلّى فيها: التلبّث، المكث، والرؤية. ويرى أنّ الكثير من

1 - أعلمني بذلك الأستاذ بتاريخ: 2025/08/31 عبر تقنية "المسنجر"، وهو مشكور جدّاً على كرم التّواصل والرّد.

2 - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد - أوراق بينية -، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2017، ص43.

3 - ينظر إلى عناوين الرسائل وأصحابها بالتفصيل في: خالد فهمي وعبد السلام حامد، الأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح - سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة -، ص16 إلى ص20.

4 - ينظر، سعد مصلوح، حوار عن اللسانيات والعربية والتراث 1، القناة: أثاره من علم، 2022/05/30م،

<https://www.youtube.com/watch?v=bqS-OafHj9U>

الرسائل الجامعية استنساخ لبعضها البعض، ويشبّها بإعادة تدوير البلاستيك<sup>(1)</sup>. والمتابع لواقع الرسائل وطبيعة الموضوعات المتناولة يعي جيّدا ما يقوله مصلوح.

نعود الآن إلى المحطة الأولى التي انطلق منها رحلته التدريسية، وهي كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وتحديدًا حال تعيينه مُعيدًا فيها سنة 1964؛ أيّ بعد نيل درجة الليسانس، واللافت هنا؛ أنّه عُيّن بقسم علم اللّغة فيما كانت ميولاته نقدية أدبية. وبالعودة إلى مقدّمة كتابه "في اللسانيات والنقد - أوراق بينية - (2017) نتعرّف على القصة بتفاصيلها.

يقول في سياق المحاوره بينه وبين شيخه الجليل في النقد التطبيقيّ "محمد غنيمي هلال" الذي أهدى له<sup>(\*)</sup> هذا الكتاب: «و حين حملتُ له نبأ تعييني "معيدا" في قسم علم اللّغة بدار العلوم، تغشّت ملامح وجهه الحازم الوقور سماتُ الأسي، وقال: "ما لك أنت ولقسم علم اللّغة!! كنتُ أتوقّع لك مستقبلا طيبا في مجال النقد. على كلّ حال، أعانك الله". قال ذلك، ثمّ تركني سامدا مبهوتا، يدور رأسي بتوابع زلزال حرّكه السؤال: "ما لك أنت ولعلم اللّغة! مستقبلك العلمي في النقد الأدبيّ" (...). حتّى استقام لي بعد أمد ليس بالقريب أنّ قضاء الله خيرٌ بحثٌ، وأنّه سبحانه -يخلق ما يشاء ويختار-، فما كان لي الخيرة من أمري في ما كان. لقد استبان عندي أنّ المعرفة اللسانية عامّة، والمعرفة اللسانية الصوتية المختبرية خاصّة؛ هما السبيل المفضية بالنقد إلى التّعمّ بفرديوس العلم الإنسانيّ المنتج والمنضبط، وأنّ الباحث الذي يعمد إلى نصّ أدبيّ بالمعالجة النقدية، ولم يجمع إلى الموهبة والثّقافة معرفة صحيحة وعميقة بعلوم اللسان وبتقنيّات التحليل الأسلوبية، إنّما هو - كما قلتُ ذات بحث- كالذي يحجّ إلى عالم النّصّ، وليس معه من آلة الحجّ إلّا التّلبية»<sup>(2)</sup>. وهكذا نشأ مفهوم المقاربة البينية في ذهن مصلوح عن فناعة وهدف، وأدرك بعد طول تأمل جدوى اعتناق اللسانيّات الحديثة، بعد أن كان دخوله الأوّل عن غير رغبة، وكما يُقال في المثل: رُبّ صدفة خير من ألف ميعاد.

وبتخصّصه في اللسانيّات، تولّى سعد مصلوح تدريس مجموعة من الموادّ خلال مسيرته المهنية، وهي كالآتي<sup>(3)</sup>:

1 - ينظر، سعد مصلوح، حوار مفتوح حول قضايا لسانية متنوّعة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 24 سبتمبر 2024، <https://2u.pw/Fa32qNL5>

\* نصُّ الإهداء: "إلى روح الزائد العظيم، الأستاذ الدكتور محمد غنيمي هلال، تحدّثنا بنعمة النّظر إليه، والتّلقّي على يديه".

2 - سعد مصلوح، في اللسانيّات والنقد - أوراق بينية -، ص 16.

3 - خالد فهمي وعبد السلام حامد، الأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح - سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة -، ص ص

- الصّوتيات المختبريّة والوظيفية - الاتجاهات اللغويّة المعاصرة
- الفكر اللغويّ عند العرب - علم الأسلوب - المصطلحيّة - اللسانيّات التّطبيقية
- علم اللّهجات - الدّراسات الميدانيّة والنّظرية للغات الإفريقيّة (بيديا، لوقبارا، سوننكية..)
- علم اللّغة العامّ - علم اللّغة التّاريخي - علم اللّغة الاجتماعي - علم الدّلالة
- العروض والقافية - النّحو والصّرف - المهارات الكتابيّة - المكتبة اللغويّة والمعاجم
- التّرجمة (الرّوسيّة - العربيّة).

ولا شكّ أنّه اكتسب خبرة كبيرة بتدريسه لهذه الموادّ المقرّرة في الدّراسات العليا، وهي تدلّ على موسوعيّة الرّجل في كلّ ما له علاقة باللّغة، وكذا الأدب والنّقد وإن لم يظهرها في القائمة؛ لأنّه يعتقد - كما وجدناه مصرّحاً به في أحد اللّقاءات الصحفيّة-؛ أنّ البينيّة مستقبل العلم، والقسمة بين العربيّة وآدابها مثلما هو الحال في مختلف الجامعات "قسمة ضيزى" (\*). وهو يصف حاله في الحوار ذاته بقوله تعالى: "رجلاً فيه شركاء متشاكسون" {الزّمّر 29}. يقول: تشاكس في التّراث والحداثّة، وتشاكس في الإبداع والكتابة العلميّة، وتشاكس في الأخذ بعلم اللّغة وعلوم الأدب. ضربات بالفأس في حقل ممتدّ، مشكلة أعاني منها، لكنّي سعيد بها في الوقت نفسه، مقلداً فيها للمتقدّمين الذين كانوا موسوعيّين<sup>(1)</sup>.

وبالإضافة إلى خبرة التّدريس، للأستاذ خبرة أكاديميّة متمثّلة في عضويّة العديد من اللّجان العلميّة للمؤتمرات والمجلّات، والتّخطيط والتّقييم والتّرقية، وكذا مناقشات الدّكتوراه والماجستير.

وضمن مساره البحثي، تُوجّ سعد مصلوح بجائزة الشّيخ زايد للكتاب - فرع التّرجمة- في دورتها الثالثة سنة 2009، عن ترجمة كتاب "أدوين غينتسler"؛ "في نظريّة التّرجمة: اتجاهات معاصرة" الصّادر عن المنظّمة العربيّة للتّرجمة سنة 2007. كما تحصّل في تاريخ مبكّر يعود

\* يلفت نظرنا إلى هذا التّعبير القرآني قول الأستاذ: "ومن هنا نجد أنّ للكلمة النّافرة الغريبة قيمة في البنية اللغويّة للقصيدة، لا تقلّ عن الكلمة المقبولة. ولتوضيح ذلك نسوق مثالا من القرآن الكريم في قوله تعالى: (تلك إذا قسمة ضيزى) {النجم 22}. وهذه الكلمة لم ترد في القرآن الكريم كلّها إلاّ مرّة واحدة وفي هذا الموضع بعينه. وقد جاءت متّسقة مع الفاصلة القرآنيّة في السّورة، كما أدّت مهمّة كبيرة لتحويل دون رتابة التّكرار، وتُحقّق المفاجأة والإغراب والإطراف للقارئ، فيستوفز ويستعيد انتباهه ويزداد ارتباطاً بالنّص". (سعد مصلوح، في اللسانيّات والنّقد - أوراق بينيّة -، ص 42).

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، تجرّبي مع العربيّة تعلّماً وتعلّماً، القناة: عبد العزيز العمري، الكويت، 2019/02/08،

<https://www.youtube.com/watch?v=uPZkkzRguJ4>

لسنة 1971 على الجائزة الأولى لمجمع اللغة العربية بمصر، عن بحث صدر فيما بعد في شكل كتاب بعنوان: "حازم القرطاجني ونظريّة المحاكاة والتّخيل في الشعر"<sup>(1)</sup>.  
وبتاريخ 26 أكتوبر 2025 أعلن مجمع الملك سلمان العالميّ للغة العربيّة عن فوزه بجائزة المجمع في دورتها الرابعة في فرع أبحاث اللغة العربيّة ودراساتها العلميّة بالمنافسة مع أ. د رمزي منير بعلبكي.

وجاء في مقال تعريفّي بأصحاب الجوائز عبر موقع المجمع الرّسمي ما يأتي: «ومُنحت الجائزة أيضًا بالمنافسة للأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح من جمهورية مصر العربيّة؛ لتميُّز إسهاماته في خدمة اللغة العربيّة خلال أكثر من خمسين عامًا، جمع فيها بين التّأسيس النظريّ والتّطبيق العمليّ، وألّف أكثر من (33) كتابًا، وترجم (9) أعمالٍ علميّة رصينة، ونشر (29) بحثًا محكمًا. وتميِّز مشروعه العلميّ بالتّأصيل المنهجيّ والانفتاح على المناهج اللسانيّة الحديثة، مع المحافظة على أصالة المفاهيم وتوازن الرّؤية. وقد ترك أثرًا علميًا بارزًا في اللسانيّات التّطبيقية وتحليل الخطاب والأسلوبية الإحصائية، وأسهمت كتبه وترجماته؛ ومنها ترجمته الرّصينة لكتاب: "في نظرية التّرجمة: اتّجاهات معاصرة"، في تجديد أدوات تحليل النّصوص العربيّة. كما اضطلع بدور فاعل في إعداد الباحثين، وتطوير مناهج تعليم العربيّة واللّسانيّات، ورفد البيئّة الأكاديميّة برؤية نقدية بناءة، ليعدّد من العلماء الذين جمعوا بين الأصالة والجدة والأثر الممتدّ"<sup>(2)</sup>. وفور إعلان الخبر، تهاطلت التّهاني على الأستاذ من كلّ حذب وصوب، مجمعين على استحقاقه الجائزة ولو أنّها متأخرة نوعا ما، كما علّق آخرون بأنّ الجائزة هي التي شرفّت به ولا عكس.

وفي سياق النّشر العلميّ، للأستاذ مؤلّفات كثيرة جدًا مقسّمة بين التّأليف والتّرجمة، والملاحظ على إنتاجه - من خلال ما ورد في الكتاب التّنكاريّ الذي حُصّ به سنة 2016 (من الصّفحة 20 إلى الصّفحة 31) - غزارة البحوث المنشورة في المجلات المحكّمة وكذا المشارك بها في المؤتمرات الوطنيّة والدوليّة، وقد جُمع أغلبها - إن لم يكن كلّها - في كتبه الأكاديميّة العشرة التي تيسّر لنا تقلاب النّظر فيها:

<sup>1</sup> - ينظر، خالد فهمي وعبد السلام حامد، الأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح - سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة -، ص 15.

<sup>2</sup> - مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، إعلان الفائزين في الدورة الرابعة، الموقع الرسمي للجائزة، 26 أكتوبر 2025، <https://x.com/KSGAPFAL/status/1982391823982116972>

الرقم	الكتاب	سنة النشر
01	الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-	1980
02	حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر	1980
03	في النص الأدبي - دراسة أسلوبية إحصائية -	1991
04	دراسة السمع والكلام - صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك-	2000
05	في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية -آفاق جديدة-	2003
06	في النقد اللساني - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف -	2003
07	في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات -	2004
08	في تاريخ العربية - مغامرات بحثية -	2017
09	في اللسانيات والنقد - أوراق بينية -	2017
10	ثابت الإيقاع متنوع الوقع - رسالة في بلاغة التشكيل الصوتي للتفعية العروضية -(*)	2023

يضاف إليها السفر الجليل الذي أنجز بالاشتراك مع "د. عبد اللطيف محمد الخطيب" و"أ. رجب حسن العلوش"؛ "التفصيل في إعراب آيات التنزيل" (2015)، واستغرقت مدة إنجازها ستة عشر عامًا، وعبر عنه "أ. د سعد مصلوح" بقوله: "يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره، وأرجو أن ألقى به ربّي". ومن خلاله يدعو معشر الباحثين إلى ترشيد إنفاق العمر، والانشغال

\* كتب سعد مصلوح تدوينة حديثة بتاريخ 6 جويلية 2025 يقرّ فيها بأصالة العمل وتقديره، وجاء فيها الآتي:

" في ثلاثة الأيام الماضية جردتُ ركاما هائلا من الأوراق والقراطيس التي ازدحمت بها زوايا البيت على نية الخلاص منها. وقد أعتزني الفحص على مغلّف كبير يحوي مسودة لكتاب كامل في علمي العروض والقافية، كنت أنجزته لأستعينه في تدريس طلابي بجامعة الكويت، وكنت سلكت في تصنيفه سبيلا رأيتها ميسرة وقاصدة لإيلاف عقول الطلاب، وإكسابهم مهارة تذوق الإيقاع الشعري والتعرف إليه، ووجدت له بينهم - والله الفضل - أثرا حميدا.

ولقد فرحت بما أعتزني الله عليه وكنت نسيت، وحدثني النفس بادي النظر بطباعته وإخراجه لعموم القراء. بيد أنني حين قلبته وأجلت فيه البصر، ولم أجد لي فيه كلاما يصح خلوص نسبه إلى صاحبه، امتدت يدي إليه بالتمزيق غير أس ولا أسف. لقد صنّف الكتاب لغاية بعينها، وتحقّق بتدريسه المراد في حينه، ولم أجد فيه إضافة تُذكر فتحسب له دون غيره من كتب هذا الفن. وحمدتُ الله أن أبدلني به ما كتبتُه بعنوان " ثابت الإيقاع متنوع الوقع ". وإنه - وإن يكن كُنَيْبًا ضئيل الحجم - لكنه خالص لي من دون المصنّفين. والحمد لله على ذلك أطيب الحمد". (ينظر، سعد مصلوح، تجرّبة، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/06، <https://www.facebook.com/share/p/1BZuYS2TNC/>).

بمعالي الأمور التي تعود علينا بالنفع، والحرص على التعامل مع ما يشكّل هويتنا الإسلامية العربية<sup>(1)</sup>.

والحق أنّ المتابع لنشاطاته ومحاوراته وكتاباته سيجد ذلك ممّا تتّصف به شخصيته؛ فهو دائماً ما يبحث عن الإفادة أيّما كان مصدرها مع مراعاة الخصوصية الثقافية بلا شك؛ فالفكرة التي تتعارض مع مقومات الهوية يصدّها ويتفادها ولو كانت مغرية، ويرحب أيّما ترحيب بالفكرة النافعة التي لا يجد في توطيئها واستثمارها تأثيراً على هويتنا، جاعلاً من الصّابغ الأخلاقي: "ماذا سيقال عنك بعد أن تفارق الدنيا؟"<sup>(2)</sup> قائده ودليله في مسيرته العلمية، وعاصماً له من الخوض فيما لا يُحسن، وكأني به متمثّل لبينيّ أحمد شوقي:

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهْ \*\*\* إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِي

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا \*\*\* فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمُرٌ ثَانِي

ويرتكز مشروع مصلوح اللساني على ثلاثة أسس<sup>(3)</sup>:

- اعتقاده أنّ العربية كتاب واحد، ولا تجزئة بين لغة وأدب. ووفقاً لهذا الأساس سعى لتمتين العلاقة بينهما.

- عقلنة التدوّق؛ أيّ كيف تقام الأحكام الذوقية على أسس ظاهرة ومنضبطة؟

- إيجاد حوارية ثقافية منتجة بين التّراث والمعاصرة على أساس أنّ الانطلاق من الصّفر المنهجيّ خطيئة كبرى.

وسيلاحظ القارئ لزبدة ما أنتجه سعد مصلوح من بحوث نُشرَ الكثير منها في مجلّة "فصول"، ومن ثمّ ضُمّنت منقّحةً ومزيدةً في كُتبٍ أكاديمية متخصصة، حضورَ هذه المرتكزات الثلاثة سمة غالبية للمؤلّف سواء في تبين سبل تحقيقها نظرياً أم في إثبات مشروعيتها تطبيقياً. والهدف من ذلك كلّهُ خدمة اللّغة العربية بطريقة ناجعة مواصلةً لجهود القدماء، ومواكبةً لمستجدّات الدّرس اللساني الحديث.

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، حوار مع الدكتور سعد مصلوح حول التفصيل في إعراب آيات التنزيل، القناة: د. عامر أحمد عامر، 2015/10/15، <https://www.youtube.com/watch?v=ObERhQsrKpM>

<sup>2</sup> - ينظر، سعد مصلوح، كلمة د. سعد مصلوح في ملتقى (الإثنينية) بجدة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2022/09/04، <https://www.youtube.com/watch?v=UZy7NcdJRpU>

<sup>3</sup> - ينظر، المرجع نفسه.

ومما ينبغي لفت الانتباه إليه؛ اللغة البديعة الموظفة في كتابات الأستاذ بتأثير من حفظه للقرآن الكريم والأشعار القديمة وأمثال العرب وحكمهم، واستناده في مناقشاته لمصطلحات ومفاهيم مستعارة من أصول الفقه؛ كمفهوم "المخالفة"، وقاعدة "من حُرِمَ الأصول في ابتدائه حُرِمَ الوصول في انتهائه"، ومصطلحات؛ "الحِسْبَةُ" من علم الفقه و"صيغة التَّمْرِيز" من علم الحديث، و"غسيل المَخِّ" من علم النفس.. - وسيجد القارئ بيانا لذلك في صلب البحث-. ولعلَّ أوفر ما تتميز به لغته استئناسه اللامتناهي بالآيات القرآنية، حتى أننا أحصينا في مقال واحد "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب" عشرة مواضع أو يزيد، يوظف فيها التعبير القرآني لقصد معين.

ويذهب الباحث "رامي علي أبو عايشة" إلى القول بوجود «تشابه بين لغة الحجاج العلمي عند مصلوح والمناظرات العقائدية القديمة التي تُوكَل دلالة الكلمة الواحدة اهتماما كما الكل، وربما يزيد من حدّة التشابه إيراد جمل ذات دلالات قرآنية لأغراض فنيّة بحثية؛ منها التّعجب من صنيع الطّرف المقابل، وبعضها السّخرية منه، أو رغبة التّأقّق في العبارة وتدعيم الفكرة، وتتواتر هذه الاستشهادات بين الحين والآخر ضمن طرح أدبي مُحكَمٍ مُعَدِّ بعناية»<sup>(1)</sup>.

كانت هذه مقتطفات من مسار سعد مصلوح المتّجه نحو إرساء فكر لساني عربي يتّسم بالدقّة والموضوعيّة، ويجمع بين التّراث والحداثة، الأصالة والمعاصرة، وإذا علمنا ذلك تبيّنت لنا قيمته العلميّة ومكانته الوازنة في السّاحة العربيّة. ومن ثمّ حُقّ لنا التّساؤل: رجل بهذه المواصفات العلميّة ولا نجده عضوا في مَجْمَعِ اللّغة العربيّة المصريّ؟! وهو السّؤال الذي وُجّه إليه في أحد اللّقاءات الصحفيّة، فأجاب بهدوء واطمئنّان: "ذلك أمر لا يعنيني"<sup>(2)</sup>. أيّ؛ إنّه ليس مسؤولاً عن اختيارات خارجة عن إرادته، ولكنّه مسؤول عمّا يُنتج من أفكار، وما يطرحه من آراء، وما يساهم به في رسالة العلم عموماً. وهذه صفة العلماء!

<sup>1</sup> - رامي علي أبو عايشة، اتجاهات الدرس الأسلوبي في مجلة فصول (1980-2005)، دار ابن الجوزي، الأردن، ط1، 2010، ص 214.

<sup>2</sup> - ينظر، سعد مصلوح، موازين - اللغة العربية واختبار الهوية، القناة: الجزيرة (AlJazeera Arabic)، 2024/12/21، [https://www.youtube.com/watch?v=x\\_edtRyJrJs](https://www.youtube.com/watch?v=x_edtRyJrJs)

### 3- مختارات من لُمع أقواله

لعلّ من أهمّ ما يستجلب الاهتمام ويستوقف النظر ويستدعي التأمل في مسيرة سعد مصلوح البحثية؛ أقواله العلمية التوجيهية التي يتولّى نشرها في مواقعها الرسمية عبر منصات التواصل الاجتماعي، والحقّ أنّها دُررٌ مائعة نافعة، ومن شأنها إضاءة طريق الباحثين وتحفيزهم لبلوغ مراتب الريادة والتّميّز. وهو ما وقفنا عنده عن كُتب منذ خمس سنوات أو أكثر، وفي ما يأتي إبراز لعدد من الأقوال اللافتة(\*):

- «النصّ القرآنيّ نصّ غلاب، نصّ سبق القاعدة، ولهتت القاعدة خلفه».
- «العربية كتاب واحد، ولا تجزئة بين لغة وأدب، وأيُّ تجزئة لهما يُخلّ بكليهما معاً».
- «من لم يربط لسانه بالقرآن فلا عربيّة له».
- «كُلُّ من إغترقه تخصُّصه، ولم يُمدِّ عينيه إلى تعالقاته المعقّدة بغيره من التخصّصات الحاقّة والمتجاذبة، سيكتشف يوماً أنّ معرفته باختصاصه منقوصة جدّاً».
- «كلمة للتأمل قالها مؤسس اللسانيّات الحديثة ف. دي سوسير، لا أملّ من قراءتها؛ إنّها تذكّرني دائماً بنصيحة شَيْخي عبد الرّحمن أيّوب - وقد كانت مبعث دهشة وإنكار من كثيرين. قال لي -رحمه الله-: "إن وجدت الكلام ينثال عليك انثيالاً وأنت عاكف على كتابة بحث علمي، فاتهم نفسك؛ فأكبر الظنّ أنّك تكتب كلاماً فارغاً". وقال دي سوسير: "سأكون مضطراً للاعتراف لكم بأنّ لديّ رعباً من الكتابة يكاد يكون مرضياً، وأنّ كلّ كتابة علمية تسبّب لي عذاباً حقيقياً؛ هذا هو ما منعني من النّشر ثماني عشرة سنة كاملة" {منقولة من مقدّمة حافظ علوي للعدد الأوّل من مجلّة اللسانيّ(\*)}».

\* اعتمدتُ في تجميع هذه الأقوال المتباينة زماناً ومكاناً على صفحتي الأستاذ سعد مصلوح الرّسميتين على موقع "الفيسبوك" <https://www.facebook.com/saad.maslouh> وموقع X (تويتر سابقاً) <https://x.com/saadmaslouh>. وكذا صفحة الأستاذ "خالد فهمي" <https://www.facebook.com/khald.fhmy.992347>، وصفحة الأستاذة "أسماء زيادة" على موقع "الفيسبوك" أيضاً <https://www.facebook.com/asmaa.zeyada.161>.

\* سبق أن طالعتُ مقولة دو سوسير مترجمة إلى العربية في تاريخ سابق على نشر العدد الأوّل من مجلّة اللسانيّ شتاء 2021، وتحديدًا ضمن منجز الباحث الجزائري مختار زواوي في السوسيرية الجديدة بدءاً من سنة 2018، وهو تاريخ صدور كتابه الأوّل "دو سوسير من جديد". ويحيل "حافظ إسماعيلي علوي" في المقال الذي نقل عنه مصلوح إلى كتاب "مصطفى غلفان" "لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد" ص 188. ووجدتها لاحقاً بصيغة معدّلة قليلاً ضمن المقولات التي قدّم بها الباحث "مبارك حنون" مقاله "رعموا أنّ سوسير بنيوي!" في كتابه "من اختلاف اللسانيات إلى لسانيات الاختلاف" تحت عنوان:

- «اعلم أنّ الاستمتاع بالألقاب والانتشاء بالنعوت والأوصاف، لا يجتمعان مع حبّ العلم وخليقة الإتقان وابتغاء التجويد في قلب من قلوب أولي الألباب».
- «إنّ الدين والمبادئ وكريم الأخلاق وأمانة المسؤولية الوطنية حزمة واحدة لا تتبعض».
- «ما يظهر في الإعلانات من عناوين الأطاريح العلميّة أكثره نذير خطر على المعرفة في جامعاتنا حاضرا ومستقبلا. ظنّي أنّ الأمر في حاجة لمراجعة دقيقة؛ لاختيار القضايا، وصرامة الإشراف، واستحياء الضمير العلميّ ووقف المجاملات».
- «رائع أن تقوم الرؤية البصيرة على التعلّق المنتج بين حقول المعرفة، وعلى نفس الجدران الموهمة بالتعارض بين القديم والجديد، والأصالة والمعاصرة، واللسانيّات والنقد. كلّ يمدُّ ويستمدّ، وكلّ يرفد ويسترفد».
- «ينبغي للمشتغل بطلب العلم وتعليمه أن يجتهد ويُنصّب ليحمل تاريخ العلم على التوقّف أمام منجزه المعرفيّ ولو لثوانٍ قليلٍ. فإن استطاع أن يحمله على إطالة الوقفة، فتلكم هي النعمة. في ظنّي أنّ عشرات ومئتين وألّوفا من الباحثين سيمرّ التاريخ بنتائجهم غير ملتفت أو مكترث أو مبالٍ».
- «البحث العلميّ مغامرة معرفيّة محسوبة لرؤية ثقوب، ولسان سؤل، وفكر عقول».
- «إنّي ليحزّني أنّ كثرة من النقاد - ومن بينهم أعلام - قد أيبسوا ما بينهم وبين القرآن، ومنهم من اتّخذوه وراءه ظهريّاً لا عن جحود أو إنكار، ولكنّه الإهمال. وأقول ناصحا: لن يستقيم لأحد

من رسالة وجهها سوسير إلى شتراتبرغ. (ينظر، مبارك حنون، من لسانيات الاختلاف إلى اختلاف اللسانيات، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2023، ص95).

كما سألت الأستاذ مختار زواوي عن مصدر المقولة الأجنبيّ - كونه من العارفين بدو سوسير في مصادره الأصليّة-، فأجابني بعد بحث وتقيب، وأحالني إلى:

Ferdinand de Saussure, « Brouillons de lettres », Ms. fr. 3957/2, cité par Jean Starobinski dans Les mots sous les mots, éditions Gallimard, collection « Le Chemin », Paris 1971, p, 13.

والملاحظ على المقولة من خلال هذا المرجع أنّ "ثمانية عشرة سنة" غير مذكورة. ولم يجدها الأستاذ زواوي في أي أصل حسب ما أفادني به. ما يعني أنها إضافة، أو قد تكون رواية أخرى للرسالة، لأن دو سوسير كثيرا ما يعيد كتابة رسائله ومقالاته ويحتفظ بالنسخ.

وبخصوص رسالة دو سوسير إلى شتراتبرغ التي اعتمدها مبارك حنون في التوثيق، أخبرني الأستاذ مختار أنه يملكها وفيها يخبره عن عمله حول الجناسات التصحيفية، وكان رومان جاكبسون أول من نشرها. لكن الرسالة لا تحتوي على إشارته التي تتعلق بصعوبة التأليف.

فقه في خصائص العربية - أيًا كان معتقده - حتى يجعل لتدبر القرآن من ذائقته نصيباً موفوراً».

- «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً». آية كريمة أنستني في غربة ابتعاني سنواتٍ أربعاً في موسكو».

- «القرآن نصّ يتحدّى جميع معايير النّصيّة التي تعارف عليها المنظرون».

- «يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنْ لَهَاتِ جَمَهْرَةَ شَبَابِ الْبَاحِثِينَ وَرَاءَ التَّطْبِيقَاتِ الْبَحْثِيَّةِ الْفِجَّةِ الْمَبْتَسِرَةِ لِمَنَاهِجِ وَالْمَذَاهِبِ الْقَادِمَةِ مِنَ الْعُدُودِ الْقُصُوى، لَا يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ وَلَعِ بَعْضِ الْأَغْرَارِ بَارْتِدَاءِ السَّرَاوِيلِ الْمَمْرُوقَةِ الْخَادِشَةِ لِلذُّوقِ السَّلِيمِ».

- «إذا لم يأنس الكاتب في ما يكتبه جديداً يُساق، فالأجمل به أن يطرح الأقلام ويطوي الأوراق».

- «مقاومة التّصخّر البَحْثِيّ فريضة معرفيّة ودينيّة وحضاريّة».

ومما لا شكّ فيه أنّ هذه الأقوال المنتقاة كاشفة عن الرّؤية العامّة التي يتبنّاها سعد مصلوح في مسيرته البحثيّة، وترتكز هذه الرّؤية على وجوب التّحليّ بالقيم النبيلة، وتوطيد العلاقة بالقرآن الكريم بالنّسبة للمتخصّص في اللّغة العربيّة بخاصّة، وضرورة الاشتغال وفق منظور بيّنيّ تتضافر فيه التّخصّصات وتتآزر، وأن يكون البحث عن المفيد والأصيل سبيل الباحثين إذا ما أرادوا تسجيل أسمائهم في الذاكرة البشريّة على مرّ الأزمان.

#### 4- قالوا عن سعد مصلوح

سنختار لذلك اقتباسات من فقرة الإهداء الرّاسية في صدر المنجزات العلميّة، والبداية بالإهداء الذي ضمّنه "أ. د عبد السلام السيّد حامد" كتابه الصّادر سنة 2018 "في العربيّة واللّسانيّات - أسس ومقاربات" - يقول: «إلى الأستاذ الإمام، عالم اللّسانيّات العظيم، النّاقد الشّاعر التّرجمان، شيخ العربيّة، أستاذنا الدكتور سعد مصلوح، تحيّة علم ومحبة؛ عرفانا بفضلّه، وشكراً له على وصاله ورعايته، عسى أن أكون من السّالكين سبيلّه»<sup>(1)</sup>.

وعطفاً على عبد السلام، نأتي إلى تلميذة الشّيخ "د. عبير صلاح الدّين الأيوبي" في كتابها الصّادر سنة 2017 "لغة الإعلان الصّحفيّ في صحيفة الأهرام المصريّة - دراسة لسانيّة تاريخيّة" - تقول: «إنّ الشّجاعة في القلوب كثيرة\*\*\* ووجدتُ شجعان العقول قليلاً»

<sup>1</sup> - عبد السلام السيّد حامد، في العربيّة واللّسانيّات - أسس ومقاربات، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2018.

- أحمد شوقي- إلى العقل الشجاع والقلب الكبير؛ الأب، المعلم، الأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، أهدي هذا الكتاب»<sup>(1)</sup>.

وثالث الإهداءات نسوقه من زميل عزيز على الدكتور مصلوح، اشتغل معه على موسوعة إعراب القرآن الكريم؛ إنه "أ. د عبد اللطيف محمد الخطيب" صاحب الكتاب الصادر سنة 2003 "المستقصى في علم التصريف". يقول: «إلى أخي العالم الجليل سعد بن عبد العزيز مصلوح؛ ذلك هو المستقصى في علم التصريف، توَعَرْتُ فيه المركب الذي أحجم عنه جمهرة أهل العلم، وليس أحد هو أَوْلَى منك بإهداء الكتاب إليه. تحية لصحبة طويلة كريمة في خدمة العلم، إن تكن قد حُقَّتْ بالمكاره فإنها توتِي أكلها ضعفين بإذن ربّها»<sup>(2)</sup>.

أمّا رابعها فجاد به الباحث المشهور في حقل اللسانيات العصبية؛ "أ. د عطية سليمان أحمد" في كتابه الصادر سنة 2022 "المعالجة العصبية للغة". يقول: «إلى العالم الجليل: أ. د سعد عبد العزيز مصلوح. كم علّمت من أجيال وما زلت تعلم/ سبقت عصرك بعصور وما زلت تسبق/ كنت رايةً للعلم، فما زالت بك تعلقو/ قدّمت علم الغد، وما زلت تقدّم/ ودفعنا لرؤيته، فانطلقنا خلفك نعدو/ بحثنا في ضوء علمك، وما زلنا نبحت. تلميذكم عطية سليمان»<sup>(3)</sup>.

وبخطّ يده كتب الدكتور "مصطفى غلفان" على الصّفحة الأولى من النسخة المهداة إلى الأستاذ مصلوح من كتابه "لسانيات سوسير في سياق التّلقي الجديد": «إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة إلهام المفتي، وإلى الأستاذ الدكتور الكبير سعد مصلوح. مع عبارات التقدير والاحترام. مراكش 2018/02/25». فردّ عليه الأستاذ بالقول: «مؤلّف قيّم للعالم الجليل الأستاذ الدكتور مصطفى غلفان، قرأته على مُكثِّ فأعاد عندي ضبط "البوصلة الفكرية" في كثير من المسائل. نعتزّ به أنا وزوجي في مكتبتنا، وبما حمّله من لطيف الإهداء أيّما اعتزاز»<sup>(4)</sup>. وعلى ذكر زوجه الفاضلة، نستحضر له موقفا طريفا على هامش تقديم محاضرة "الأسلوبية الإحصائية وتطبيقاتها"، وإذ هو مع شرح مقولة: "لولا الاشتراك لما تهياً لمتكلم مراد"، عثرت له الدكتورة

1 - عبير صلاح الدين الأيوبي، لغة الإعلان الصحفي في صحيفة الأهرام المصرية - دراسة لسانية تاريخية-، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2017.

2 - عبد اللطيف محمد الخطيب، المستقصى في علم التصريف، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2003.

3 - عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2022.

4 - ينظر إلى المنشور في الصّفحة الرّسمية للأستاذ سعد مصلوح على موقع X (تويتر سابقا)، 2024/04/30،

<https://x.com/saadmaslouh/status/1785081700160082150>

إلهام على صورتين توضيحيّتين لعرضهما على الحضور. فقال مازحا قياسا على المقولة السابقة: "لولا الدكتور إلهام لهلك سعد"<sup>(1)</sup>. فابتسم كلٌّ من كان في القاعة؛ وهذا من الأساليب التعليميّة الذكيّة الكاسرة للمل، والباعثة على التّشيط والتّنبيه واستيقاظ العقول من غفوتها بين الفترة والأخرى.

وعلى غرار غلفان، تضمّنت النّسخة المهداة من كتاب الدكتور "عبّاس أرحيلة"؛ "مقدّمة الكتاب في التّراث الإسلاميّ وهاجس الإبداع"، تقرّظًا لامعًا مكتوبا باليد، وجاء فيه: «بسم الله الرّحمان الرّحيم. إلى علامة من علامات الزّمان، إلى من سُدّت في دنيائي بمعرفته، إلى السّعد الذي حافظ على غَضارة العصر. وتحيّة إلى رفيقة العمر، تحيّة إلى الدكتور إلهام، إلى ملهمة الدكتور سعد. عبّاس أرحيلة، مراكش 28 فبراير 2018م، وغداً الواحد من شهر مارس الذي رأى فيه النّور، واستنارت به دنيا العلم». وعلّق عليه الأستاذ سعد بالقول: «إهداء حبيب إلى قلبي من شيخ البلاغيين ويعسوب حملة أمانة العلم، الحاصل على جائزة الفكر من جلاله الملك محمّد السادس ملك المملكة المغربيّة الشّقيقة»<sup>(2)</sup>. وللإشارة فإنّ صدور الطّبعة الأولى من الكتاب تحت العنوان المذكور سلفًا، كان سنة 2003 من المطبعة والوراقة الوطنيّة بالمغرب، وصدرت طبعته الجديدة سنة 2017 عن المؤسّسة العربيّة للفكر والإبداع ببلبنان تحت عنوان معدّل؛ "هاجس الإبداع في التّراث: دراسة في مقدّمات الكتاب الإسلاميّ"، ويبدو أنّ العنوان الثّاني أدقّ وأوضح من العنوان الأوّل.

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، الأسلوبية الإحصائية وتطبيقاتها، دار المخطوطات-إستانبول، القناة: مختارات، 2023/07/30، <https://www.youtube.com/watch?v=FUYL4FSMvwo&t=3047s>

<sup>2</sup> - ينظر إلى المنشور في الصّفحة الرّسميّة للأستاذ سعد مصلوح على موقع "الفيسبوك"، 2025/09/13، <https://www.facebook.com/share/p/19KNPjWGae/>

ونختم بهذه الدردشة سنة 2022 بين الأستاذين الجليلين في اللسانيات العربية والترجمة



والمراجعة النقدية؛ "سعد عبد العزيز مصلوح" و"حمزة قبلان المُرَينِي"، ومن ثنائهما على بعض نستلهم قيمتهما العلميّة، والمتابع لمنجزهما الرّصين يدرك هذه الحقيقة، وما دام البحث متعلّقاً بمصلوح فردٌ المُرَينِي أولى بالنظر، ولكلماته البرّاقة في حقّ مصلوح عظيم الأثر.

وبالرغم من المكانة العلميّة الوازنة لسعد مصلوح في الدّراسات اللّسانيّة العربيّة بشهادة كبار الباحثين - كما تقدّم-، إلّا أنّه لم ينل نصيبه الكافي من الاهتمام، ولم تقدّر إسهاماته حقّ التقدير، ولعلّ الوصف الذي عبّر عنه في إحدى مرثياته ينطبق عليه أيضاً: «هناك قامات لسانيّة عربيّة مثل: تمام حسّان والحاج صالح والمتوكّل وغلفان. لكن تبقى شجرا موزّعا في حقل كبير جدّا..»<sup>(1)</sup>. والمعنى المقصود على ما يبدو؛ أنّهم في حاجة لمنسّق يقرب بينهم ويجمع جهودهم، ويضمّ بعضها إلى بعض لتخليد شيء يُذكر وتحقيق نفع أكبر.

ومن الرّسائل الحقيقة بالنقل، الكاشفة عن التّهميش وعدم نسبة الفضل إلى أهله، ما كتبه الأستاذ مصلوح معاتباً به بعض المشتغلين في اللّسانيّات عموماً، والأسلوبيّات الإحصائيّة تحديداً، وفي ما يلي نصّها كاملاً:

«منذ أمد يوفي على ثلاث وأربعين سنة، يسّرني الله بفضلته وتوفيقه إلى إنجاز بحث جعلت عنوانه: "قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب: دراسة لنماذج من كتابات الرافعي والعقاد وطه حسين"، ونشرته في أول عدد يصدر من حولية كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز عام 1981. وكان أول بحث في العربية يعالج هذه الخاصية الأسلوبية المهمة بنماذج

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، حوار مفتوح حول قضايا لسانيّة متنوّعة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 24 سبتمبر 2024، <https://2u.pw/Fa32qNL5>

من نصوص الثلاثة الكبار معالجة إحصائية، وقد اقتضى ذلك استخدام مقياس جونسون، وتعريبه، وتعيين مصدره، وشرح كيفية تطبيقه، وانتخاب نماذج جيدة التمثيل، وصناعة الرسوم البيانية الموضحة. ويعلم الله وحده ما عانيت من مشقة القراءة والاستيعاب وتطوير المقياس وتطبيقه، وبيان طرق قياس النسبة الكلية للتنوع والقيمة الوسيطة وقياس تناقص التنوع وقياس تراكم التنوع حتى استوى البحث على الصورة المرصية المنتجة، ثم إنني ضمّنت البحث الطبعة الأولى من كتابي "في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية" الذي صدر عن نادي جدة الأدبي عام 1991 بالسعودية. ثم ماذا؟؟ ما عليك يا قارئ - إن شئت - إلا أن تكتب في خانة البحث على الشبكة عبارة: "قياس خاصية تنوع المفردات"، حينئذ سينثال عليك سيل دافق من الدراسات من صنيغة ما يأتي:

\* "قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب: دراسة تطبيقية لنماذج من روايات الطيب صالح وغادة السمان ونجيب محفوظ".

\* "قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب: دراسة لنماذج من كتابات خليل جبران والمنفلوطي والريحاني".

\* "قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب: دراسة لنماذج من أشعار السياب ونازك الملائكة وأحمد مطر".

\* "قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب الأدبي: دراسة تطبيقية لنماذج من كتابات ابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي".

\* "قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب: دراسة تطبيقية لنماذج من كتابات محمد مندور وسيد قطب ومحمد غنيمي هلال".

\* "قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب: دراسة تطبيقية في مجال الرثاء في الأدب الحديث لنماذج من أشعار أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران".

وهكذا طوّف المقياس البلدان، وسارت به الركبان حتى شمل تطبيقه كتابات نصر حامد أبو زيد ورضوان جودت زيادة وعلي حرب، السور المكية والمدنية، دعبل الخزاعي والشريف الرضي والبوصيري، كعب بن زهير والبوصيري وشوقي، طه حسين وميخائيل نعيمة وجبران

خليل جبران، كعب بن زهير والبوصيري، شعراء النقائض، كثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلي، وهلم على هذا الجر والسحب في هذا المقياس وغيره.

ولا ريب أن هذا أقصى ما يطمح إليه مجتهد مثلي في مجاله، وهو مظنة فرح وسعادة لي. بيد أن مهيب الأسي أن جميع هذه البحوث التي نال بها كاتبوها درجات وترقيات قد قفزت على ما كتبت، وأوهم المؤلفوها قارئها بأن كل ما أنفق من وقت وجهد في تطبيع المقياس وتطويره وتصميم الرسوم البيانية وطرق الحساب هو من عند أنفسهم؛ لا غير ولا سوى، وأوهموا قارئها أنهم رجعوا في أعمالهم مباشرة إلى المراجع الأصول، وهذا من صريح نقيض الصدق؛ إن هذه المراجع الأصلية غير معنية بأمر النص العربي بطبيعة الحال، كما أن عرض المقياس منقول عند أكثرهم من بحثي بالنص والعبارة. غير أنني -على كل حال - حمدت الله حمدا كثيرا حين وجدت من بينهم من انتبذ ببحثي مكانا قصيا في قائمة المراجع، وتمثلت قولاً لأمير الشعراء -رحمه الله-، لا أفتأ أردده وأتمززه:

إِنْ حَفِي النَّافِعُ فَالْنَّفْعُ ظَهَرَ \* \* يَا سَعْدَ مَنْ صَافَى وَصَوْفِي وَاسْتَتَرَ<sup>(1)</sup>. (ا. هـ)

وبالمناسبة مع هذا الاستشهاد الشعري، نودّ لفت النظر إلى أنّ الشعر العربي يحتلّ موقعا محمودا في صدر مصلوح، وهو على حدّ قوله: «قِبْلَةٌ أَرْضَاهَا؛ فَالشَّعْرُ - كان عندي ولا يزال - العشق الأول ممارسة وقراءة ودرسا»<sup>(2)</sup>.

لأجل ذلك، حُقّ لهذا العلم أن تُبَرَّرَ جُهوْدُه وتكون أفكاره محلّ بحث ودراسة، ويُنتَفَع بها دون تجهيل نسبتها وهضم فضل صاحبها، وتغيب حقّه في السبق إلى الطّرق والتّناول.

<sup>1</sup> - سعد مصلوح، واضرب لهم مثلا، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2023/08/01،

<https://www.facebook.com/share/p/1ADNmPwjPP/>

<sup>2</sup> - سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2015، ص10.

## الفصل الأوّل:

تجليات التفكير اللّساني لدى سعد مصلوح بين المرجعيّة والإجراء

بعدما تعرّفنا في المدخل على الشّخصيّة العلميّة لسعد مصلوح، نحاول في هذا الفصل إمطة اللّثام عن جوانب من تفكيره اللّسانيّ، مركّزين بالأساس على مرجعيّته الفكرية المتّبعة في عدد من القضايا اللّسانية المعالّجة ضمن كتاباته التّأسيسية النّظريّة، وكذا بعض ممارساته التّطبيقية التي هي انعكاس لقناعاته الفكرية. والبداية ببحث المرجعية الفكرية في تأسيس نحو نصّي للغة العربيّة، ثمّ تسليط الصّوء على المنظومة التّحليلية لدراسة النّصّ؛ من الأسلوبيات المعاصرة إلى علم الأدب للسّكّائي، ثمّ حديث عن الأسلوبيات اللّسانية بين المحافظة والانفتاح. وسنّتبّع كلّ قضية بما يعرضها تطبيقياً؛ أمّا الأولى فسنّلقّ بدراسة اختبار فيها النّصّ الشعريّ العربيّ من وجهة نظر نحو النّصّ، وأمّا القضية الثّانية فستشفع ببحث تطبيقيّ طريف استثمر فيه الأستاذ مصلوح بلاغة القرطاجنيّ في مقارنة النّصّ الإعلانيّ في الصّحافة المعاصرة، وثالث القضايا سنربطها بدراسة تطبيقية محضة وظّف فيها المقاييس الإحصائية في نقد لغة الخطاب النّقديّ.

### 1- المرجعية الفكرية في تأسيس نحو نصّي للغة العربيّة

سنتبني قراءتنا هنا على مجموعة من الدّراسات الأصيلية التي تفرّد بها الدّكتور مصلوح في الدّعوة الصّريحة إلى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النّصّ، وصياغة إطار نظريّ عربيّ لنحو النّصّ؛ أوّلاها «العربية من نحو الجملة إلى نحو النّصّ»، نُشر لأول مرّة سنة 1990 بجامعة الكويت، وثانيها «المذهب النّحويّ عند تَمّام حسان: من نحو الجملة إلى نحو النّصّ»، نُشر لأول مرّة بجامعة القاهرة سنة 1999. مع الإشارة إلى وجود إرهابات مبكرة قبل هذين التّاريخين تطرّق فيها الباحث إلى الفكرة وأهمّيّتها، يعود أوّلها إلى سنة 1980<sup>(1)</sup>، وهو تاريخ صدور الطّبعة الأولى من كتابه «الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية». وأمّا الإرهاب الثّاني فمحدّد بسنة 1988، ومائل في بحثه الموسوم بـ «مشكل العلاقة بين البلاغة العربيّة والأسلوبيات اللّسانية» الذي قدّمه في ندوة «قراءة جديدة لتراثنا النّقديّ» بجدة<sup>(2)</sup>، وظهرت الصّورة الأولى له سنة 1990 في المجلّد الآخِر من إصدارات نادي جدّة الأدبيّ. دون أن

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة - دراسات ومناقشات - عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2015، ص227.

<sup>2</sup> - ينظر، سعد مصلوح، في اللّسانيّات والنّقد - أوراق بينية -، ص ص53-54.

نغفل البحث التطبيقي المنشور بمجلة فصول سنة 1991 «نحو أجزومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية»<sup>(1)</sup>.

نستنتج إذن في ضوء ما سبق أنّ للباحث قدم سبق في ولوج غمار هذا الطرح الجديد في الثقافة العربية منذ تاريخ مبكر، وهو حلقة مهمة لا ينبغي تجاهلها في عرض حصيلة الكتابات العربية في إطار لسانيات النص. ولا أدلّ على ذلك من المقالين التعريفيين الموجودين في الشبكة؛ الأول للأستاذ عبد السلام السيد حامد تحت عنوان "نحو النص عند سعد مصلوح"، والثاني للأستاذة سامية بن دريس بإشراف الأستاذ يوسف وغيليسي. وقد خلصنا فيه «أنّ لسعد مصلوح فضل الريادة والتأسيس - مع آخرين - لهذا العلم إن على المستوى التّطبيقيّ أو الإجماليّ»<sup>(2)</sup>. وهاتان الدراستان من قبيل التمثيل لا الحصر.

غير أنّه كان من الأفضل جمع هذه الدراسات المتفرقة في مصنف واحد كما ذهب لذلك الباحث عبد السلام حامد؛ كونها تشكّل «لحمة واحدة ذات شأن وخطر، وهي أقرب إلى تقديم رؤية شاملة لنظرية عربية في لسانيات النصّ تنظيراً وتطبيقاً (...) ومن الأولى أن تنشر معا في المناسب من أحد الكتب الثلاثة، أو أن تنشر - وهذا أفضل - في عمل مستقلّ»<sup>(3)</sup>. حتّى تُلفت الأنظار إليها، وتحقق ما هو مرجو منها، وتتبوأ مرتبة الريادة التي وجب إسنادها إليها في منجزات اللسانيين العرب المتابعين لحركة التأليف والنشر.

وعلى ذكر الريادة في هذا العلم، أشار مصلوح في بحثه المذكور سابقاً "مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية" إلى أمر يغيب عن الكثير، وهو لفظة أمين الخولي<sup>(\*)</sup> «الزّائفة الدّاعية إلى مجاوزة البحث البلاغيّ مستوى الجملة إلى مستوى ما وراء الجملة في الفقرة والنصّ، ويزيدنا عجباً منها وإعجاباً بها، أنّ ذلك كان منه في تاريخ متقدم يعود إلى عام

<sup>1</sup> - ينظر، عبد السلام السيد حامد، نحو النصّ عند سعد مصلوح، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، 2015/11/22، ص 531.

<sup>2</sup> - سامية بن دريس، أجزومية النصّ لدى سعد مصلوح، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، مج 34، ع 1، 2020/08/05، ص 635.

<sup>3</sup> - عبد السلام السيد حامد، نحو النصّ عند سعد مصلوح، ص 544.

\* وردت هذه اللفظة في بحثه المعنون بـ (البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها)، وهو محاضرة ألقاها في الجمعية الجغرافية الملكية في 19 مارس 1930، وقد طبعت في كتيب صغير، كما ضمّها كتابه (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب) الصادر سنة 1961. (ينظر، عباس أرحيلة، مسألة التأثير الأرسطي في البلاغة المغربية من خلال كتاب التّبيّهات لابن عميرة، 28 أوت 2015، <http://abbasarhila.blogspot.com/2015/08/blog-post.html>)

1931. وأعجب كيف مرّت هذه الدّعوة، ولم تجد لها صدى على صعيد النّظر إلّا فيما كتبه أحمد الشّايب في كتابه "الأسلوب" الذي صدرت طبعته الأولى عام 1939<sup>(1)</sup>. وكانت الفكرة ستحدث ثورة حقيقية لو لقيت من يتبنّاها ويحسن توظيفها.

### 1-1 في ضوء بحثه التّأسيسي «العربية من نحو الجملة إلى نحو النّص» (1990م)

المتأمّل لبحثه التّأسيسي الأوّل سنة 1990، يلحظ أنّ الباحث يختم مسعاه بخلاصة مُغرية بالفحص والتّدقيق مفادها؛ «أنّ النّحو العربيّ هو أبعد شيء من أن يكون نحوًا جمليًا موفقًا، بله أن يكون صالحًا بصورته هذه لأن يكون نحوًا نصّيًا»<sup>(2)</sup>. وهذا حكم خطير، يوحي وكأنّه سينسف ذخيرة تراثيّة تحمل في طيّاتها الموقّ وغيره، وهو ينافي ما ذهب إليه من وجود محاولات رائدة ترتبط أشدّ الارتباط بما تقرّه لسانيّات النّصّ. ومن النّماذج التي يستدلّ بها ويتّخذها نبراسا نجد: سيبويه، الجرجاني، الرّمخسريّ، السّكاكي، إذ من الواجب فيما يراه «على من يريد تأثيل نحو النّصّ في العربيّة أن يولّي وجهه شطر صيغ النّحو المقاميّ في البلاغة العربيّة، فهي أوثق صور النّحو القديم عروة بنحو النّصّ»<sup>(3)</sup>. والقولان متضاربان في ما يبدو للقارئ! والآن فلنتأمّل مليًا وجهته التي يقصدها.

يرى سعد مصلوح أنّ الانطلاقة الفعلية لنحو النّصّ كانت مع "زيلغ هاريس" في بدايات النّصف الثّاني من القرن العشرين لتليه الدّراسات فيما بعد، وذلك «حين نشر دراستين اكتسبتا أهميّة منهجيّة في تاريخ اللّسانيّات الحديثة تحت عنوان تحليل الخطاب؛ إذ إنّ بهاتين الدّراستين لم يكن أوّل لسانيّ حديث يجعل من الخطاب موضوعا مشروعًا للدّرس اللّسانيّ فحسب، بل إنّه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياها التي ضمّنها برامجه بتقديم أوّل تحليل منهجيّ لنصوص بعينها، وقد خرج بذلك على تقليد أرساه "بلومفيلد" يقضي بأنّ التّعبير اللّغويّ المستقلّ بالإفادة (الجملة) هو ما يهتمّ به اللّسانيّ، أمّا النّصّ فليس إلّا مظهرًا من مظاهر الاستعمال اللّغويّ غير قابل للتّحديد»<sup>(4)</sup>.

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللّسانية - آفاق جديدة -، لجنة التّأليف والتّعريب والنشر، جامعة الكويت، ط1، 2003، ص ص 44-45.

2 - سعد مصلوح، في اللّسانيّات والنّقد - أوراق بينيّة-، ص 84.

3 - المرجع نفسه، ص 78.

4 - المرجع نفسه، ص 51.

واستنادا إلى ذلك، فإنّ نظرة الباحث في تحديد منشأ لسانيات النّص متّجهة نحو النّقافة الأنجلوسكسونيّة، وباستثناءها فنحن نسبح في إطار نحو الجملة الذي «سيطر على صياغة القواعد في جميع لغات العالم المعروفة في القديم والحديث إلى يومنا هذا، بتأثير من النّقايد الرّاسخة التي أرساها النّحو اليوناني»<sup>(1)</sup>. ومما يعضد هذا القول المكتوب تصريحه الشّفويّ المضمّن في حواراته العديدة، ومن بينها الحوار الموسوم بـ «قضايا لسانية متنوّعة»: «كلّ لغات العالم إلى عام ستّين، كانت لا تعرف شيئا اسمه نحو النّص»<sup>(2)</sup>.

وبتعبير آخر وتحديد زمنيّ أدقّ، يعدّ مصلوح نحو النّص «أفقا من آفاق الدّرس اللّسانيّ تجاهله علماء اللّسان منذ أقدم عصور التّفكير اللّسانيّ إلى بدايات العقود الثلاثة الأخيرة، وأنّ النّقلة الجوهرية لم تتحقّق له إلّا في العقد الماضي على وجه التّحديد»<sup>(3)</sup>. وهو يقصد بالعقود الثلاثة الأخيرة بالنّظر لتاريخ نشر دراسته 1990؛ سنوات الستّينات والسّبعينات والثّمانيات، وهذه الأخيرة تمثّل العقد الماضي، أو يُحتمل أن تكون التي قبلها (السّبعينات)، اعتمادا على فترة إعداده للبحث ما قبل النّشر، وكذا الدّراسة المنشورة سنة 1967 التي يحيل إليها، حيث يرى صاحبها "هندريكس"؛ أنّ «نحو النّص لم يوجد بعد، وأنّ المحاولات الهادفة إلى تحقيق نظرة نافذة واضحة إلى تراكيب ما وراء الجملة لم تبذل إلّا حديثا»<sup>(4)</sup>. واللافت فيما سبق استعمال مصلوح للفعل (تجاهله) بدلا من (غاب عنهم)، وهذا يعني أنّ نحو النّص موجود، لكن لم يلق الاهتمام اللازم في الدّراسة والتّحليل.

إنّ استدلال الباحث بأقوال العلماء الغربيين المؤسّسين لنحو النّص ليس انسلاخا من الهوية العربيّة الإسلاميّة وتماهيا في الآخر، ولا خطأ من قيمة التّراث النّحويّ، ولكنّه ضرورة يفرضها الهدف الأسمى الذي ينشده، وهو البحث في إطار جهودهم عن «ما يمكن الإفادة به في صياغة إطار نظريّ عربيّ لنحو النّص»<sup>(5)</sup>، «ورغبة صادقة - إن شاء الله - في أن نعالج قضايا لغتنا في هذا العصر بمثل الجديّة التي عالجا بها الأسلاف في عصرهم»<sup>(6)</sup>. وبهذا

1 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

2 - سعد مصلوح، حوار مفتوح حول قضايا لسانية متنوّعة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 24 سبتمبر 2024، <https://2u.pw/Fa32qNL5>

3 - سعد مصلوح، في اللّسانيات والنّقد - أوراق بينيّة -، ص 52.

4 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

5 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

6 - المرجع نفسه، ص 52-53.

يتبين لنا المنطلق الذي قصده الباحث، والخلفية التي أرادها أن تكون لواءه في ولوج حقل بحثي جديد لم تكن العربية فيه شريكا، حيث إن «مكمن الخطر في قضية النحو العربي يتجاوز انعدام التحليل النحوي للنصوص إلى عدم إحساس الحاجة إليه أصلا، مع أننا ننوط بهذه النقلة تحقيق المرجو من الخروج بالنحو العربي مما نحسه أزمة آخذة بخناقة، كابحة لدوره الفاعل في دراسة العربية ونتاجها وإبداعاتها الأدبية، حين ارتبط بغاية ضئيلة نحيفة لا تليق بجلاله وثرائه، ونعني بها عصمة اللسان من الزلل، وليته قد وُفق إلى القيام بها على النحو المأمول»<sup>(1)</sup>. وهنا تتجلى تلك الرغبة التي صرح بها، والمائلة بحسب هذا النص في توسيع مجال اشتغال النحو العربي، وإخراجه من نفق (قل ولا تقل) إلى رحابة التحليل النصي في شموليته دون تخل كلي عن الوظيفة الأولى.

يمثل البحث عن المفيد مهما كانت جنسيته السمة الأبرز التي تطبع طريق مصلوح نحو تثبيت أركان نحو النص في الوطن العربي خلال سنوات النشأة الأولى، فما هو في معرض تبيينه الأسباب والمقاصد التي استيقظت أنظار اللسانيين المحدثين إلى فكرة نحو النص، يصف هذا الأخير بنوع «من المقاربة اللسانية لا يحسن اللجوء إليه إلا إذا تحقق به من الفوائد ما لا يتحقق بغيره»<sup>(2)</sup>. وهو ذو فوائد كثيرة في نظره، ولولاها لما طرق هذا المجال. ومن بين فوائده؛ المعالجة اللسانية للنص الأدبي وما تكتسيه «من أهمية خاصة في تقديم الأساس الموضوعي للأحكام النقدية»<sup>(3)</sup>، بعدما كانت دراسته حكرا على نقاد الأدب، ومجالا لطرح الانطباعات الذاتية التي لا تستند إلى معيار واضح ودقيق.

ودائما في إطار تحقيق الفائدة والسعي نحو الاستراتيجيات الناجعة لفهم ظاهرة اللغة، وبعد نقده لتركيز الأنحاء التقليدية على الغاية المعيارية، وكذا المناهج اللسانية الحديثة أول أمرها، يرى أن «الفهم الحق للظاهرة اللسانية يُوجب دراسة اللغة دراسة نصية، وليس اجتزاء الجمل والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى كما ظهرت في اللسانيات البلومفيدية أول أمرها، ومن ثم كان التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النص أمرا متوقعا، واتجاهها أكثر

1 - المرجع نفسه، ص 53.

2 - المرجع نفسه، ص 55.

3 - المرجع نفسه، ص 56.

اتساقاً مع الطبيعة العلمية(\*) للدرس اللساني الحديث»<sup>(1)</sup>. ولا شك أنّ هذا من مسوغات الاشتغال في ميدان خصب يعد بالكثير، وهو ما أعطى المشروعية لعدد «من اللسانيين إلى تغيير تصوّره حول المجال الطبيعي للنحو، وكان من بين من عبّروا عن هذه الفكرة أوضح عبارة "جيرالد ساندرز" في بحث يحمل العنوان السابق، وفيه يرى ضرورة أن يمتد نطاق الوصف النحويّ ذو الكفاءة إلى ما وراء الجمل»<sup>(2)</sup>.

وبالإضافة إلى "ساندرز" نجده يستدلّ بباحثين غربيين آخرين على غرار: "بايك"، "هارتمان"، "جليسون"، "لونجاكر"، و"فان دايك".. في التأكيد على ضرورة الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النصّ، وتفعيل دور النحو في تفسير ظواهر اللغة وتجليات الإبداع.

إنّ استناد سعد مصلوح إلى المرجعية الغربية في بناء تصوّر نحو النصّ مردّه - بحسب ما أورده - إلى عدم وجوده في العربية؛ إذ «على الرّغم من عراقية إسهامنا في التّراث اللسانيّ الإنسانيّ، وهو ما يشهد به كلّ من تصدّوا لتأريخ اللسانيّات على اختلاف أجناسهم(\*).. لم يكن بّد من أن يتّخذ حديثنا عن ماهية نحو النصّ طابعا برامجيا، يستقي محدّداته من جهود علماء غربيين، استفرغوا وسعهم في صياغة هذا التّصوّر وتمحيصه ومناقشة مشكلاته وأطره النظريّة، واستخدامه في معالجة نصوص بعينها في لغات قديمة وحديثة على نحو نستبين به غناه وجدواه»<sup>(3)</sup>. يتبيّن إذن أنّ الحاجة كانت الدافع إلى استيراد المبادئ النظريّة من الغرب، ويمكن تلمّسها في الكلمتين الأخيرتين (غناه وجدواه)؛ أيّ إنّ تطبيقه على العربيّة سيكون مثمرا وذا

\* - يحيل هنا إلى الكتاب المشهور "اتجاهات البحث اللسانيّ" الذي ترجمه بالمناصفة مع وفاء كامل، وفيه إيضاح كاف عن الطبيعة العلميّة للدرس اللسانيّ الحديث، وأذكر أنّي اعتمدته كثيرا في رسالتي للماستر.

1 - سعد مصلوح، في اللسانيّات والنّقد - أوراق بينيّة-، ص 59.

2 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

\* يرى عبد السلام المسديّ نقيض ذلك. يقول: "وهكذا ينعدم ذكر العرب عند التأريخ للتفكير اللسانيّ البشري بما يحدث القطيعة في تسلسل التاريخ الإنساني. وهذه القفزة الاعتباطية أو ما يمكن أن نسميه بالثغرة العربية في تأريخ اللسانيّات لا يفسرها جهل المؤرخين للغة العربية بما أنهم يستعرضون ثمرة حضارات لا يعرفون لغتها، بل تراهم يقفون بالحدس والتخمين على عصور انقضت لغة الأمم التي عاشت فيها، وإنما يفترض فحسب أنهم وضعوا نظرية في اللغة. وليس تراث التفكير اللغويّ العربيّ هو وحده المنسيّ في هذا المقام، بل إن العربية ذاتها باعتبارها نمطا لغويا لا تجد حظها عادة عند استعراض اللسانيين لنماذج اللغات في العصر الحديث". (عبد السلام المسديّ، التفكير اللسانيّ في الحضارة العربية، الدار العربيّة للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 1986، ص22).

3 - سعد مصلوح، في اللسانيّات والنّقد - أوراق بينيّة-، ص 63.

فائدة، كما هو الحال حينما طُبِّق على اللغات الأخرى، ولو وجده في التراث لما توانى في إحيائه، وما كان ليترك القريب ويذهب إلى البعيد.

ولأن مصلوح واعٍ بخطورة تطبيق تصوّر غربيّ في غير أرضه، فقد وضع إجراءين اثنين يحتكم إليهما قبل أن يطمئن له ويثبت أركانه في صيغة عربيّة؛ أمّا الإجراء الأوّل فهو «عرض التراث النحويّ عليه بغية تقويم هذا التراث، وتشخيص العوائق المانعة فيه عن مسaire فكرة نحو النصّ وخدمتها، ولتأصيل الإطار النظريّ لنحو النصّ العربيّ حتّى لا يسقط على نصوص العربيّة من سماء غير سمائها، ولا تستتبت بذوره في أرض رافضة. ولا يكون ذلك إلاّ بتحديد المسافة الفاصلة بين التّصوّرين واستظهار وجوه الاتّفاق والافتراق»<sup>(1)</sup>. وهذا القول وغيره كثير في الدلالة على الحرص الشّديد من الباحث على التّقيب في التراث النحويّ العربيّ قبل غرس التّصوّر الغربيّ الجديد.

وأما الإجراء الثّاني فتطبيقيّ، ويتجلّى في أن ينجز الباحث «إطاراً نظريّاً إجرائيّاً يخضعه للتّجريب ويمتحنه بالتّطبيق، ولا مفرّ من أن يكابد هذا الإطار وجوها من النّقص لا يمكن توقّعها ابتداءً، ثمّ إنّ عليه ثانياً أن يعود إلى إطاره النظريّ بالتّقيح والتّعديل كلّما اتّسعت دائرة التّطبيق، ليستكشف بذلك أوفق صيغة ممكنة للنّظم الدّاخلية في تشكيل نحو النصّ العربيّ»<sup>(2)</sup>. وقد سعى فيما يلي بحثه هذا بسنةٍ إلى تطبيق منهجه على نصّ عربيّ من الشّعور الجاهليّ - كما سيأتي بيانه-.

تتجلّى أقرب التّصوّرات النحويّة العربيّة التّراثيّة إلى نحو النصّ - حسب سعد مصلوح - في ما يُصطلح عليه علم المعاني؛ «فبالإضافة إلى وصف المباني والمعاني الوظيفيّة للغة يُعنى الباحث بتشخيص المقام وربطه بالاستعمال اللّغويّ»<sup>(3)</sup>. لكن يدور هذا التّصوّر كغيره في فلك نحو الجملة - حسب وجهة نظره-، وهذا ما دفعه ليركن إلى تعريف غربيّ في تحديد الإطار النظريّ الذي «هو في جوهره نحو مقاميّ، ولكنّه ذو جهاز تحليليّ مركّب قادر على أن يصف التّركيب اللّغويّ للنصّ أو الخطاب»<sup>(4)</sup>. وهكذا نستنتج أنّ الباحث على دراية كافية بالمرجعيتين؛ التّراثيّة والغربيّة، ولم يكن استتجاده بهذه الأخيرة إلاّ من أجل أن يسدّ بعض

1 - المرجع نفسه، ص 64.

2 - المرجع نفسه، ص 71.

3 - المرجع نفسه، ص 65.

4 - المرجع نفسه، ص 66.

الثغرات التي لم يصل إليها التّراثيون، وبحثاً عن سُبُل مفضية إلى فهم وتحليل أنجع للغة البشرية.

ويُعدّ السّكاكي من خلال كتابه مفتاح العلوم أبرز نموذج تراثي يشير إليه في سياق الفكر اللسانيّ العربيّ، ولعلّ صيغته من «أوفق الصّيع التي يمكن الاستعانة بها في صياغة نحو النّصّ العربيّ، لما لها في هذا المقام من مزية لم تتفق لغيرها، ومن إحكام يزكّيها لتكون الإطار المرجعيّ في العربيّة إذا ما أردنا لنحو النّصّ العربيّ تأثيلاً وتأصيلاً»<sup>(1)</sup>. ومن المزايا التي يتوفّر عليها وغابت عن المصنّفات الأخرى، «الجمع بين جميع مستويات البحث اللسانيّ جمعا على وجه التدرّج والاستلزام؛ بادئاً بالصّوتيات ومثنيّاً ببناء الكلمة، فالنحو المقاميّ، مقرراً تضافر هذه المستويات في تشكيل علم الأدب»<sup>(2)</sup>. بمعنى أنّ المؤلّف مراعى لخاصّيتي النّسقيّة والهرميّة في نسج مباحث الكتاب، وهذا ما تقتقر إليه الجهود الأخرى.

لا يتوانى مصلوح في تمجيد التّراث العربيّ والاعتراف بالجهود اللّسانيّة الجبّارة المبذولة على صعيده، لكن هذا الاعتراف نابع من الموضوعيّة التي يتقمّصها في معالجة القضايا المتنوّعة، وحتّى لا يهضم للأول حقّه، ومن ناحية أخرى بدافع الاعتزاز والانتماء إلى الأمة العربيّة الإسلاميّة، ويأتي ذلك قبل تبين أوجه النقص والقصور الذي يحول دون استثمار الذخيرة التّراثيّة في المعالجة النّصيّة. وبعبارة أخرى؛ إنارة معشر القراء بما يفترق فيه القديم عن الحديث، وفي هذا النّصّ المقتبس أوضح بيان لذلك: «إنّ التّراث اللّسانيّ العربيّ قد تضمّن معالجة علميّة متميّزة لجمهرة من مسائل الأصوات والصّرف والنحو والدلالة، ولكنه أبدا لم يعرف فكرة المستوى التحليليّ الذي ينتظم مفردات المسائل ويفسّر علاقاتها النّسقيّة فيما بينها، ويعالج علاقات المستوى الواحد بغيره من المستويات التي تقع دونه أو فوقه في سلّم العلاقات الوظيفيّة»<sup>(3)</sup>. فبعد التّويه جاء بيان الاختلاف، وهذا من النّقد الموضوعيّ في ضوء فكرة النّسقيّة ذات المرجعيّة الغربيّة، إذ يُعدّ الباحث غيابها وجهاً من وجوه القصور المنهجيّ، ويشير هنا إلى كتاب سيبويه والمصنّفات التّحويّة التّالية له على غرار ألفيّة ابن مالك.

وإن كانت فكرة النّسقيّة غائبة عن الكتاب لسيبويه، فقد لعب هذا الأخير دوراً مهمّاً في التأسيس لعلم المعاني، وذلك بما حفل به من «ملاحظ مهمّة أعانت فيما بعد على اجتماع

1 - المرجع نفسه، ص 84.

2 - المرجع نفسه، ص 79.

3 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

تتأري البحث النحوي والدّرس البلاغيّ ليشكّل منهما ما عُرف فيما بعد بعلم المعاني. وهو نوع من النحو المقاميّ كان الإمام عبد القاهر ت471هـ، والزّمخشريّ ت538هـ، والسّكاكي ت626هـ، اليد الطولى في صبغه بالصّبغة المنهجية المتماسكة<sup>(1)</sup>. وهنا يتجلّى إنصاف مصلوح للتّراث، وتقويمه في إطار لسانيات النّصّ بمنظار دقيق تحضر فيه المحاسن والمثالب، ويبرز فيه الموجود والغائب، ويقدم فيه الاعتزاز والإشادة على البحث عن الجديد.

ولا أدلّ على ذلك الاعتزاز وتلك الإشادة من قوله هذا: «إنّ الانطلاق من الصّفر المنهجيّ في هذا المقام، يعني إهدار أربعة عشر قرناً من النّتاج اللّسانيّ المتميّز الذي هو إنجاز قوم من أعلم النّاس بفقّه العربيّة وأسرار تراكيبها وذخائر تراثها. وما يكون لنا - إن كُنّا حقّاً من أولي الألباب - أن نلوي رؤوسنا إعرافاً عن كنوز هي عمر هذه الأمّة، ومركّب جوهريّ من مركّبات ثقافتها»<sup>(2)</sup>. وهذا تأكيد قويّ على فكرة الصّيرورة المعرفيّة بدلا من القطيعة\*، والوعي العلميّ في مقابل القراءة الإسقاطيّة التي لا تُراعي الخصوصيّة الفكرية.

هذا الوعي العلميّ الذي يكرّسه سعد مصلوح يجعل من البحث عن المفيد مرجعيّته الرّائدة في معالجة القضايا اللّغويّة، وذلك ما يعبر عنه ببراعة متناهية في قوله: «ومن هنا تشكّلت لدى كاتب هذا البحث عقيدة منهجية عبّر عنها في أكثر من دراسة سابقة، تقوم على أنّ القيمة الحقيقيّة لأيّ فكرة جديدة مكتسبة؛ هي بمقدار ما تحلّ من مشكلة، أو تكشف من أفق، أو تسهم في صياغة فهمنا لما لدينا على نحو أكثر انضباطاً وتماسكاً وجدوى. ونحن في استثمارنا للجديد المكتسب إنّما نستثمره من غير شعور بحساسيّة مرضيّة؛ فهو تراث إنسانيّ، شاركنا كما شارك غيرنا في صنعه وصياغته على مرّ التّاريخ»<sup>(3)</sup>.

لذلك لم يكن بدّ من القول أنّ هذه العقيدة لا تتعصّب لمذهب بعينه أو اتّجاه خاصّ، ولا يهّمها ما إن كانت الفكرة عربيّة أو غربيّة، تراثيّة أو حديثة، ولكنّ قيمة «أيّ منهج أو تصوّر علميّ - قديماً كان أو حديثاً-، إنّما تتحدّد قيمته بمقدار مساعدته لنا على الفقه بالظّاهرة اللّسانية وتجليّاتها المتنوّعة التي تهتمّ لها اللّسانيّات وسائر العلوم الإنسانيّة»<sup>(4)</sup>.

1 - المرجع نفسه، ص ص77-78.

2 - المرجع نفسه، ص 73.

\* - ينظر على سبيل المثال، سعد مصلوح، قراءة التراث البلاغي - مثال من منجز السكاكي -، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 13 جانفي 2022، <https://2u.pw/xCEEAlpc>

3 - سعد مصلوح، في اللّسانيّات والنّقد -أوراق بينية-، ص 73.

4 - المرجع نفسه، ص ص73-74.

وهكذا نخلص في إطار ما سبق بيانه من هذا البحث إلى القول بأن مصلوح سلك مسلكاً نفعياً في إرسائه للسانيات النصّ ضمن الثقافة العربيّة، وبحثاً عن المفيد دون شعور بحساسيّة تجاه الآخر، إيماناً منه بأنه تراث إنسانيّ يسع الجميع، وأخذاً في الوقت نفسه خصوصيّة الثقافة بعين الاعتبار كلّما رأى ضرورة ذلك.

## 1-2 في ضوء مراجعته للمذهب النحويّ عند تمام حسّان (1999م)

على منوال البحث السابق سار سعد مصلوح في هذه المراجعة النقدية، وذلك ما يلاحظ عند إمعان النظر في ما كتب، وليست وجهتنا هنا أن نعرض لمواطن المطابقة والمخالفة مع شيخه تمام حسّان، ولكننا نحاول تتبّع ما يحيلنا على مرجعيّته في ثنايا مناقشته لوضع الأساس العلميّ الصحيح لنحو النصّ العربيّ.

يتكئ الباحث على مبدأ راسخ لا يحيد عنه في طريقه نحو التّجديد والإغناء، قد سبق الإشارة إليه تحت مسمّى "الصّيرورة المعرفيّة". فبعد الثّناء على المصنّف (اللّغة العربيّة؛ معناها ومبناها)، وعدّه من المحاولات القليلة «التي جاوزت الغاية التّعليميّة، واتّسع أفقها المنهجّي ليعالج مسائل العلم المتّصلة بوظيفة النحو البحثيّة وغاياته المعرفيّة»<sup>(1)</sup>، يأتي إلى بيان وتقرير النهج الواجب اتّباعه في ضوء مسلك شيخه التّجديديّ. يقول: «وكما هو العهد بكلّ تجديد بصير، لم يُقم شيخنا مذهبه على المفاصلة المنهجية بينه وبين التّراث النحويّ، بل أقامها على الوعي به، والاصطبار عليه، واستتبار أغواره، معترفاً طوال الوقت بالفضل لأعظم رجلين من رجال الدّراسات اللّغويّة في الثقافة العربيّة؛ وهما سيبويه وعبد القاهر»<sup>(2)</sup>.

بناءً على ذلك، يظهر أنّ النهج المتّبع قائم على التّجديد الواعي البصير، وليس تجديداً من أجل التّجديد والثّورة على القديم، ويقصد بالبصير دقّة التأمّل في المنجز التّراثيّ قبل الإقدام على مخالفته وسدّ الفجوات الملاحظة فيه، ومن ثمّة العودة إليه لتأصيل المستجدّ إن أمكن. وعلى ذكر الإمام عبد القاهر، يعدُّ الشّيخان (حسّان ومصلوح) نظريّته في النّظم استثناءً وجب الإشارة إليه، ويرتفعان بها «إلى مقام تناصي فيه أحدث النظريّات اللّغويّة في الغرب، وتفوق معظمها في مجال فهم التّركيب اللّغويّ»<sup>(3)</sup>.

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات - ص 206.

2 - المرجع نفسه، ص 207.

3 - المرجع نفسه، ص 213.

وفي السياق ذاته، يعتقد سعد مصلوح أنّ مصنّف شيخه ما كان ليحقّق هدفه إلا من خلال مجموعة من الإجراءات المنهجية تتمثّل في الآتي: «رَجْعُ البصر في مجمل التّراث النّحويّ، واستصفاء ما هو جدير بالاستصفاء، وجمع الشّبيه إلى الشّبيه، واقتراح الأبدال، واستكناه دلالات التّراكيب وإقامة النّظاميّة مقام التّقنيّة atomism، وتمييز القيم الجامعة من القيم المائزة، وتجريد الثّوابت الحاكمة على المتغيّرات»<sup>(1)</sup>.

ومما يلاحظ على هذه الإجراءات الهادفة لتقويم النّحو العربيّ، إضفاء صبغة المنهج الوصفيّ من خلال مصطلحات (النّظاميّة، القيم الجامعة، الثّوابت الحاكمة)، وتحمل أيضا إقرارا ضمّنيّا بأنّ التّراث في حاجة إلى الغرلة والتّقية، وإدخال بعض التّعديلات المنبعثة من النّظريّة اللسانية الغربيّة، وهو ما حقّقه هذا الكتاب بصورة جيّدة؛ حيث قدّم «صيغة متكاملة لنحو عربيّ حقيق بأن يوضع في باب نحو الجملة (...) استحقّ بها في تاريخ المصنّفات النّحويّة خاصّة واللّسانية عامّة، مكانة يشارف بها الأمّهات والأصول»<sup>(2)</sup>. والذي يهمنّا من هذا النّشاء، تبني مصلوح لطرح شيخه في نقد التّراث ووضع صيغة جديدة للنّحو العربيّ تستمدّ مرجعيّتها من النّقافة الغربيّة.

إنّ تجديد المنهج لدى الباحث يوازيه حرصه الشّديد على استعمال المصطلحات التّراثيّة الدّقيقة، واختيار أنسب المقابلات العربيّة لما يستعيره من الغرب، وهذا ما يلاحظ على مراجعته لبحث شيخه. وعلى سبيل المثال أثر مصطلحيّ السّبك (cohesion) والحبك (coherence)، بدلا من التّضام (يُعنى باللفظ) والاتّساق (يُعنى بالمعنى)<sup>(\*)</sup> اللّذين اختارهما تَمّام حسان (على التّرتيب)، ويعلّل ذلك بأنّ «قبول التّضام مصطلحا مشتركا بين نحو الجملة ونحو النّصّ يوجب الحذر؛ إذ إنّ مظاهر التّضام بالإضافة إلى الجملة غير مظاهر التّضام بإضافتها إلى النّصّ

1 - المرجع نفسه، ص 226.

2 - المرجع نفسه، ص 225.

\* يقول في هذا الشّأن: بذلت محاولات كثيرة لترجمة مصطلحي (cohesion) و (coherence) أشهرها ترجمتهما بالتماسك والانسجام والاتّساق والالتحام. وقد توصلنا بعد طول تفكر وإنعام نظر إلى السّبك مقابلا لمصطلح cohesion، والحبك مقابلا لمصطلح coherence. ونحسب أنهما مقابلا عربيّان يتّسمان بالإفصاح والإبانة والتّساوق، كما أنهما أقرب شيء إلى المفهوم المراد، وأكثر شيوعا في أدبيات النقد القديم. (ينظر، سعد مصلوح، في البلاغة العربيّة والأسلوبيات اللّسانية - آفاق جديدة -، ص ص 270-271).

(...)، وعلى ذلك يصعب سحب مصطلح التضام من مفهوم الجملة على مفهوم النص، إلا بتحميله قيمة جديدة مختلفة تناسب موضوع التحليل»<sup>(1)</sup>.

وفي معرض تعريفه بأحد معايير النصية؛ «الإعلامية»، نجد روح التراث حاضرة فيقول: «تتعلق باستقبال الكلام على أنه نص ذو محتوى، كما تتعلق بحكم المتلقي على طريقة عرض المحتوى بالجدّة، وبمدى توقّعه لطريقة العرض؛ إذ يرتبط ذلك بما سماه ابن سينا «الإغراب»، أو تحقّق الطرافة وإخلاف التوقّع لدى المتلقي»<sup>(2)</sup>. ولا شك أنّ استحضار المصطلحات العربية الأصلية في مثل هذه السياقات التجديدية لمن الصّورات التي تحفظ للباحث انتماءه وهويته. وإذا كانت الروح التراثية ماثلة في كتابه الباحث، فإن ذلك لم يثته عن الاستشهاد والتأسيس لطروحاته بأقوال اللسانيين الغربيين في سياق تحويل مسار الدرس النحوي العربي من الجملة إلى النص، والفكرة كما تبين سابقا غريبة المنشأ.

ولأنّ قصده من هذه الدراسة مراجعة أفكار شيخه وتقويمها، يرفض سعد مصلوح أن يكون أمن اللبس غاية الاستعمال وقوام النظام في نحو النصّ والممارسة اللغوية الحية، وهنا يميّز بين نوعين من اللسانيات استنادا إلى اللساني الأمريكي تشومسكي، «اللسانيات التقريرية (deterministic linguistics) وهي التي تقوم على افتراض التجانس في السلوك اللغوي على نحو ما أبان عنه تشومسكي، واللسانيات الاحتمالية (probabilistic linguistics) وموضوع دراستها هو مظاهر التنوع والتخالف في السلوك اللغوي باعتبار العوامل الفردية والاجتماعية والمقاماتية، وواضح أنّ نحو الجملة إنّما ينتمي بالأصالة إلى اللسانيات التقريرية؛ حيث يفترض أن يكون أمن اللبس هو غاية الاستعمال وقوام النظام، على حين ينتمي نحو النصّ إلى اللسانيات الاحتمالية قولا واحداً في ارتباطه المعقد سبكا وحبكا بمستويات الصياغة اللغوية المختلفة، وبمعايير القصد والقبول والإعلامية والتناص»<sup>(3)</sup>.

هذا التمييز الدقيق اللافت للنظر ينم عن أمرين؛ أولهما قدرة الباحث النقدية في ردّ ما يراه مخالفا للنظريات اللسانية والتعقيب عليه بمصطلحات مسبوكة جيّداً مثل: (بين أمن اللبس وقصد التلبس)، وثانيهما إحاطته بمستجدات الدرس اللساني الحديث إحاطةً منهجيةً ونظريةً

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات -، ص ص 230-231.

2 - المرجع نفسه، ص ص 233-234.

3 - المرجع نفسه، ص 237.

متّصلة بالأعلام المؤسسين، ولا شكّ أنّ الأسلوبية والمقاماتية (التداولية) ولسانيات النصّ أبرز العلوم الغربية التي يستند إليها في هذا السياق.

تلك المزوجة بين التراث والحداثة التي يلحظها القارئ لدى سعد مصلوح نجده يلخصها ويشير إلى ما يتغيّاه منها على وجه الإجمال حين يقول: «إننا حين نجهد لتحقيق هذه النقلة المنهجية<sup>(\*)</sup>، نكون قد وضعنا جلّ العلوم ذات الأرومة العريقة في الثقافة العربية وضعا جديدا مفتوحا على أصولها التراثية من جهة، وعلى المنجزات المنهجية للفكر البشري في حياتنا المعاصرة من جهة ثانية»<sup>(1)</sup>.

هذه هي الفائدة المرجوة من الاتجاه إلى نحو النصّ في نظره؛ إعادة قراءة القديم في ضوء مستجدات التفكير اللساني العالمي، أو وصلّ الماضي بالحاضر من منطلق أنّه تراث بشريّ واحد يكمل بعضه بعضا. وهنا نستحضر مثلا جيّدا قدّمه في دراسته الأولى ليعرّز به فكرته؛ «إنّ استحداث المجهر بدلا من العين المجردة في فحص الأشياء على سبيل المثال، لم يغيّر من طبيعة المرئيات، ولكنّه كشف عن خصائص وعلاقات كانت خارجة على سلطان الملاحظة والتسجيل بحكم الأداة المستعملة في الرصد. ومن ثمّ كان على الباحث أن يرجع البصر كرتين ليعيد تقويم الظاهرة المدروسة ويصوغ قوانينها من جديد»<sup>(2)</sup>.

ومن خلال هذا المثال اتّضحت الصورة أكثر عن مراد سعد مصلوح ونهجه المتّبع، وبالإمكان أن نصطح عليه المنهج التفاعليّ أو التواصليّ بين التراث والحداثة؛ حيث ينطلق من مواطن القصور في التراث ليس بهدف الحطّ من قيمته، ولكن من أجل سدّها وفق ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، ولا يدّخر جهدًا في التنبية إلى المواطن التراثية التي يراها الأقرب لتأصيل تلك الأفكار مع الإيمان باختلاف السياقات.

\* يلخص سعد مصلوح هذه النقلة المنهجية بدقّة متناهية في أمور خمسة: \* استبدال الغاية التشخيصية الوصفية بالغاية المعيارية/ \* استبدال المعالجة النظامية systematic بالمعالجة الذرية التقنيتية atomic / \* هرمية العلاقة بين مستويات التحليل اللساني والمكونات التركيبية للنصّ/ \* التحليّ عن ثنائية الشكل والمضمون في التحليل لا بإهدارهما، أو بإعلاء شأن أيّ منهما على الآخر، بل باعتبارهما جميعا، وإعمال الصواب التحليلية الكاشفة عن آليات العلاقة بينهما، أو الكيفية التي يسهم بها كلّ منهما في تشكيل الآخر/ \* شمول الاعتبارات الأسلوبية والمقامية والثقافية، بما هي جزء من الجهاز التحليلي الذي يجري إعماله في دراسة النصّ. (ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد -أوراق بينية-، ص ص 68-69).

- كما نجده يلخص مأخذه على النحو العربيّ في ضوء نحو النصّ ويجملها في ثمانية عناصر منتقاة بدقّة. (ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات-، ص ص 222-223).

1 - المرجع نفسه، ص 242.

2 - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد - أوراق بينية-، ص 72.

## 2- إختبار النَّصِّ العربيِّ من وجهة نظر نحو النَّصِّ

لعلّ من أهمّ ما يميّز سعد مصلوح المزوجة بين الأبحاث النظرية والممارسة التطبيقية حتّى يؤكّد جدوى الأسس والمبادئ الموضوعية(\*)، ومن ذلك مثلاً دراسته التطبيقية المبكرة في مجال نحو النَّصِّ الموسومة بـ «نحو أجرومية للنصّ(\*) الشعريّ - دراسة في قصيدة جاهلية -» (1991م)، المضمّنة في كتابه «في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية - آفاق جديدة» (2003م).

وتأتي هذه الدراسة في تسع وخمسين صفحة (215-274) لتدعم نهجه الذي سبق أن بيّناه حال الوقوف على مرجعيّته الفكرية، وهو «تغيير القبلة البحثية، وذلك بالانتقال بالنحو العربيّ (واللسانيّات العربية عامّة) من طور ظلّ فيه حبيس أسوار الجملة؛ أيّ الكلام المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، إلى طور يكون فيه النحو (بالمفهوم الواسع للمصطلح) قادراً بوسائله على محاصرة النَّصِّ ووصفه، والكشف عن علاقاته التي تتحقّق بها نصيّة النَّصِّ؛ بما هو حدث تواصليّ مركّب، ذو بنية مكثفية بنفسها، قادرة على الإفصاح والتأثير والفعل»(1).

وإذا كانت هذه الغاية المرجوة في هذا المقام، فإنّ الهدف الأسمى الذي يجمعها بالإضافة لغيرها من الدراسات الإجرائية؛ هو توجيه عناية النقاد إلى اعتماد المنظور اللسانيّ في دراسة النَّصِّ الأدبيّ عموماً، بعدما «كادوا أن يهدروا كينونة النَّصِّ وجوهر الأدبية فيه، وجعلوا منه خادماً وتابعا لكلّ علم، ولم يسلموا بأهليّته في أن يكون موضعاً للنظر العلميّ لذاته، بل إنهم لم يقدرّوا الأمور حقّ قدرها حين مدّوا أبصارهم إلى مجالات معرفية قصية، هي على أهميتها لا تغني عنهم من العلم شيئاً إن تجاوزوا عطاء اللسانيّات الحديثة ومنجزاتها في دراسة النَّصِّ الأدبيّ»(2).

\* يذهب الباحث حافظ إسماعيلي علوي في نتائج أحد أبحاثه التي ترصد تلقي لسانيات النَّصِّ في الثقافة العربية إلى الآتي: "إكراه النص العربي على قبول قواعد اشتقت من نصوص لغات مختلفة، ولذلك نعدّ جلّ النتائج المتحصلة هي بمثابة إختبار للنصوص أكثر مما هي إختبار للقواعد ولآليات الاشتغال" (حافظ إسماعيلي علوي، عندما تسافر النظرية - لسانيات النصّ نموذجاً-، مجلّة جسور، مكتبة الآداب، القاهرة، ع1، يناير 2012، ص 20).

لكن الذي يبدو أنّ إختبار ما يسميه (القواعد) تحصيل حاصل لإختبار النصّ، فلا مجال لأكثر أو أقلّ، وليس ثمة إكراه ما دامت قواعد عالميّة قابلة للتطبيق على كل النصوص، وقد سبق تعريبها بما يتماشى وروح النَّصِّ العربيّ تطبيقها.

\* أجرومية النَّصِّ = نحو النَّصِّ = لسانيات النَّصِّ (ينظر، سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية - آفاق جديدة -، ص224).

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية - آفاق جديدة -، ص 223.

2 - سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1992، ص10.

بيد إنّ هذه المحاولة الرّائدة تعترضها صعوبات عديدة يقف عليها القارئ، وهي صعوبات يعترف بها المؤلّف نفسه، ومن ثمّ فإنّ شرف السّبق إلى طرق هذا المجال بالتّطبيق بإمكانه حجب بعض التّفانص المسجّلة، والتي «يتّصل بعضها بمفارقة المعالجة للمألوف والمتوقّع، وبعضها بتطويع أجروميّة النّصّ بما هي إنجاز لسانيّ معاصر لنصّ عربيّ أوّلاً، وشعريّ ثانياً، وجاهليّ ثالثاً، وهي صعوبات متراكبة بعضها فوق بعض، ويتّصل بعض ثالث بضرورة إقامة نوع من الجسور الواصلة بين هذا النّمط الوافد من التّحليل والموروث النّحويّ»<sup>(1)</sup>.

ولا شكّ أنّها عوائق تحول دون تطبيق أمثل خاصّة إذا ما علمنا أنّ النّصّ المطبّق عليه شعريّ جاهليّ، وكانت المهمّة تكون أيسر لو طبّق النّظريّة على نصّ نثريّ حديث مقتبس من الصّحافة المعاصرة على سبيل المثال. والحديث عن التّطبيق يحيلنا إلى مرجعه المعتمد في ذلك، وهو «تعريف روبرت ألان دي بيوجراند (robert alain de beaugrand) وولفجانج أولرخ دريسلار (wolfrang ulirch dresslar) لمفهوم النّصّ؛ من حيث إنّه حدث تواصل (communicative occurrence) يلزم لكونه نصّاً أن تتوافر له سبعة معايير للنّصيّة مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير؛ وهي السّبك، الحبك، القصد، القبول، الإعلام، المقاميّة، التّناسّ»<sup>(2)</sup>.

هذه المعايير السّبعة يصنّفها مصلوح إلى ثلاثة أقسام: - ما يتّصل بالنّصّ في ذاته (text centered) ويدرج تحتها السّبك والحبك. - ما يتّصل بمستعملي النّصّ؛ منتجاً أو متلقياً (user-centered)؛ وتشمل القصد والقبول. - ما يتّصل بالسياق الماديّ والثّقافيّ المحيط بالنّصّ؛ ويضع تحتها الإعلام والمقاميّة والتّناسّ<sup>(3)</sup>. وكان بالإمكان حسب ما توصلنا إليه بالتّدقيق في هذا التّقسيم؛ الاكتفاء بالقسمين الأوّل والثّاني وتوزيع المعايير الثلاثة المتبقّية عليهما، فيلحق التّناسّ بالنّصّ في ذاته، والإعلام والمقاميّة بمستعملي النّصّ.

ومن المفارقة الظّاهرة لهذه المحاولة الإجرائيّة أن يعدّ الباحث تخلف أحد المعايير المذكورة عن النّصّ إخلالاً بنصّيّته، ثمّ لا نجده يطبّق جميعها على المدوّنة المختارة، وينتقي من بينها السّبك والحبك لا غير، وهذا ثابت سواء بتتبع الدّراسة في محطّاتها المختلفة، أو بأثره المكتوب الذي يقول فيه: «أمّا سلسلة الجمل التي يتخلف عنها أحد المعايير المذكورة فلا تعدّ نصّاً حتّى

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربيّة والأسلوبيات الّسانية - آفاق جديدة -، ص 224.

2 - المرجع نفسه، ص ص 225-226.

3 - ينظر، المرجع نفسه، ص 226.

وإن تحققت لها سلامة التركيب النحوي. ونحن معنيون هنا أصالة باختبار المعيارين المرتكزين على النصّ في ذاته، وهما معيار السبك والحبك، وسنلمّ تبعاً بما سواههما حين يقتضي المقام»<sup>(1)</sup>. ونحسب أنّ العبارة الأخيرة (سنلمّ تبعاً بما سواههما حين يقتضي المقام)، ممّا يخلّ بصلاحيّة النظريّة للتطبيق على جميع النصوص، ويفتح باب ذلك الإشكال؛ ما مدى صلاحية النظريات الغربية للتطبيق على مدونات العربيّة؟

إنّ اختيار سعد مصلوح لهذا النصّ الشعريّ الجاهليّ تحديداً لم يكن اعتباطاً، ولم تكن الغاية الوحيدة من ورائه اختبار نظريّة نحو النصّ، وإلاّ لكان غيره من النصوص اليسيرة كفيلاً بذلك كما أسلفنا القول، ولكنّ تلك الغاية تجاذبتها غايتان اثنتان، سعى سعياً حثيثاً لإثباتهما في ضوء تحليله النصّي؛ «فأمّا أولاهما فاتهام الأوزان العربيّة بالرتابة والقصور عن استيعاب تنوّعات التجارب الإنسانيّة وإبراز خصوصيّاتها؛ إذ هي - في رأي كثير منهم - لا تعدو أن تكون قوالب عامّة يجري حشوها بالكلام (...). وأمّا ثانية التهمتين فتتصل بما شاعت تسميته حيناً من الدهر بالوحدة العضويّة، وبقلّة حظّ شعر الجاهليين ومن نحا نحوهم من هذه الوحدة، والقول بحاجة القوائد الجاهليّة إلى إعادة الترتيب لتتوالى أبياتها على أساس من الضّرورة أو الاحتمال»<sup>(2)</sup>.

والحلّ في نظره بدلاً من التماهي في مقولات أرسطو والنقد الرومانسي، والوقوف عند هذا المظهر السطحيّ دون غيره في الحكم على النصّ، يكون «بإضاءة كاشفة عن المفاهيم التي يتشكّل منها النصّ، والعلاقات المنظّمة لحركتها، ثمّ بمقاربة لعلاقات الزّمن في القصيدة. وأمر النصّ الشعريّ في ذلك فدّ ونادر؛ فليس الزّمن هنا زمناً متجانساً أو مقيساً بمعيار واحد، ولكنّه منظومة معقّدة من الأزمنة المتجادلة؛ كلّها فاعل في تجربة الشّاعر، وفي العمليّات الذهنيّة والشّعوريّة السّابقة واللاحقة والمصاحبة لصياغة القصيدة، وفي المظهر اللّغويّ الذي تتحقّق فيه القصيدة، ممّا سمّيناه ظاهر النصّ»<sup>(3)</sup>. وهذا ما دفع به للتركيز على السبك والحبك، واستثمار مقولات التراث في الرّدّ على المشكّكين في الشعر العربيّ القديم.

وعلى ذكر التراث، يعتدّ مصلوح في هذا البحث بثلاثة أعلام بارزة، نجده يؤصّل بها لأفكاره؛ السّكاكي، القرطاجنيّ، محمود محمّد شاكر. وإيضاحاً لذلك نُورد بعض الأمثلة على

1 - المرجع نفسه، ص ص 226-227.

2 - المرجع نفسه، ص 247.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التّرتيب السّابق؛ حيث إنّهُ عند حديثه عن شبه التّكرار كتجليّ من تجلّيات السّبك يقول: «وهو أقرب شيء إلى ما سمّاه الإمام السّكاكي "الجناس المحرّف" بأنواعه: النّاقص والمذيل ثمّ المضارع واللّاحق وتجنيس القلب وغير ذلك»<sup>(1)</sup>. ودائماً ضمن تجلّي التّكرار يقول: «هذا التّكرار لإسم (ابنة عجلان) إلحاح يبرز به في صدر الكلام الذات الّتي هي محور القول أو "جهة الشّعر" بمصطلح حازم القرطاجنيّ»<sup>(2)</sup>.

وفي سياق حديثه عن أزمنة النّصّ وتقريعه بين الزّمن الموضوعيّ والزّمن الذاتيّ يستحضر شيخه فيقول: «وقد استيقظ الأنظار إلى هذا الفرق اللّطيف وأثره في دراسة الشّعر، والجاهليّ منه بصفة خاصّة؛ الأستاذ محمود محمّد شاکر حين تعرّض بالمدارسة للمفضّليّة الّتي أسلفنا إليها الإشارة، وذلك حين ميّز بين ما سمّاه زمن الحدث وزمن النّفس، ورأى الشّيخ الجليل أنّ ثمة زمناً آخر هو زمن التّغنيّ (...). بيد أنّ ما يزيدك عجباً وإعجاباً بهذا الكلام أنّه كلام عربيّ مبين، استنبتت شجرته الطّيبة في عمق تراث العربيّة، فجاء موافقاً لصحيح العلم ودقيق النّظر في أمر الشّعر بكلّ لسان»<sup>(3)</sup>.

هذه بعض الاستشهادات بأعلام التّراث في دراسته التّطبيقية للنّظرية الغربيّة، وفيها دلالة على الاعتزاز الّذي يُكنّه له، والعبارة الأخيرة الّتي ختم بها قوله، موضّحة لمنهجه القائم على التّأسيس لجسور تواصل بين الوافد الغربيّ والموروث العربيّ رغبة في تحقيق إفادة أكبر، وهو ما أشار إليه بالاستقهام الإنكاريّ الّذي ينمّ عن مقدار الإفادة المحصّلة بتحويل دراسة العربيّة من الجملة إلى النّصّ؛ «ترى لو أنّنا وقفنا بالمحسن البديعيّ عند حدود البيت لا نجاوزها إلى ما سواه، وحصرنا وظيفته في الزّخرفة وطرافة اللّعب بالأصوات، أكان يمكن لنا أن نستكشف وراء هذه البساطة الخادعة في النّصّ الجاهليّ هذه الشّبكة المعقّدة من العلاقات المتعانقة، ونلاحظ كيف يتجلّى باطن النّصّ في ظاهره، وكيف يهديك ظاهره إلى باطنه ليبرز من خلال ذلك كلّهُ روعة الفنّ وجماله وجلاله؟»<sup>(4)</sup>. وأنعم بها من فائدة! وهذا من مميّزات العربيّة؛ إذ يستعين القارئ بالمباني للتّوصّل إلى فهم المعاني الثّأوية وراءها، وتذوّق جماليّات الأساليب وإيحاءاتها.

1 - المرجع نفسه، ص 244.

2 - المرجع نفسه، ص 238.

3 - المرجع نفسه، ص ص 259-260.

4 - المرجع نفسه، ص 245.

ومما ينبغي الإشارة إليه عند ختام الحديث عن هذه التجربة التطبيقية؛ تجلي المقاربة البيئية في تحليل سعد مصلوح لهذا النص، وعدم اكتفائه بنحو النصّ فحسب، وهذا ما لمسناه بالفحص والإمعان، ووجدناه مصرّحاً به في العرض التعريفيّ بالبحث ضمن مقدّمة كتابه "في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية"؛ حيث إنّه «قام على استثمار الأدوات الأسلوبية والبلاغية ونحو النصّ لتشكّل ملامح صيغة مركّبة، نقارب بها نصّاً من أجمل ما أنتجته عبقرية الشاعر الجاهليّ القديم، ولنجعله نموذجاً ناطقاً بقدرة هذه الأدوات القديمة والمستحدثة - إذا ما تضافرت وأفاد بعضها من بعض - على استنطاق روائع النصوص القديمة، وتزييف الزعم الباطل بانحلال عراها وافتقارها إلى "الوحدة العضوية"؛ تلك التي سارت بذكرها الألسنة في غابر الزمان»<sup>(1)</sup>. ويبدو أنّ هذا التّضافر ضمن ما يُسمّى اللسانيّات البيئية، جاء من أجل غايات ثلاث؛ أبرزها ردّ الزعم المشار إليه، وثانيها التأكيد على أن العربية كتاب واحد ولا يمكن بحال الفصل بين علومها أثناء التطبيق، وثالثها إبراز مرجعيّته تطبيقياً بإيجاد قناة اتّصال بين التّراث والمستحدث من النظريّات والاتّجاهات.

1 - المرجع نفسه، ص 16.

### 3- المنظومة التحليلية لدراسة النص؛ من الأسلوبيات المعاصرة إلى علم الأدب للسكاكي

عظفا على ما سبق، وتفعيلا لذلك التكامل بين نحو النص والأسلوبية والبلاغة، وتأكيدا على احتلال النص المرتبة الأولى في اهتمام سعد مصلوح، «وأنّ التطبيق والإفادة البحثية الحق، إنّما يظهر أثرها وعطاؤها في معالجة نصّ بتمامه، بأجلى مما يظهر عند التعرّض لتفاريق مشعّثة من الأبيات والشواهد»<sup>(1)</sup>. يأتي هذا العنوان مستوحى من الدراسة التي سنخصّها هنا بالحديث؛ "مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات" (\* اللسانية" 1988، وقد بدا لنا أنّ المصطلح النّواة الذي عليه مدار البحث هو "المنظومة التحليلية"، تلك التي يسعى سعد مصلوح سعيا حثيثا في دراساته لتبيينها وتشكيلها من أجل معالجة النصّ الأدبي وفق منهج علمي منضبط.

وأما الشّطر الثاني من العنوان فتعمّدنا فيه تقديم الأسلوبيات على علم الأدب بالرغم من أسبقية هذا الأخير تاريخيا على الأولى، ومرّد ذلك إلى الفكرة والقناعة الراسخة الماثورة عن مصلوح التي مؤدّاها؛ «أنّ دراسة التّراث من الصّعوبة والأهميّة، بحيث ينبغي على الباحث أن يختم بها حياته لا أن يبدأ بها؛ لأنّ الرجوع إلى التّراث بعد تسمّع لغة العصر وتفهمها، يمكن أن يؤدي إلى نتائج أفضل بكثير ممّا لو كان المنطلق من داخل التّراث نفسه»<sup>(2)</sup>. وذلك ما يُلاحظ على صنيعه هنا، حيث انطلق من مرجعية معاصرة ليحاوّر بها مصنّفا في القرن السابع الهجري (مفتاح العلوم)، ويثبت قدرته بما حواه من أفكار ومبادئ على مجارة الأفكار اللسانية الحديثة، «وأته أقرب الصّيح إلى روح العلم، وأجدرها بأن تكون طرفا في علاقة الحوار بين التّراث البلاغيّ والأسلوبيات اللسانية المعاصرة»<sup>(3)</sup>، ويدحض ما نُسب إليه من تهم أوردتها مراجع عديدة؛ مفادها أنّه المسؤول عن تجميد البلاغة وفلسفتها، ومن ذلك ما قاله أحمد المراغي في كتابه "تاريخ علوم البلاغة والتّعريف برجالها": «بلغ الأمر بالسكاكي أن ادّعى في مفتاحه أنّ الاستعارة والكناية وغيرهما من مسائل علم البيان، ما هي إلّا أقيسة منطقيّة وإلزامات

1 - سعد مصلوح، ثابت الإيقاع متنوّع الوقع، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2023، ص 89. (وظهرت النسخة الأولى منه سنة 2019 عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة).

\* الأسلوبيات = علم الأسلوب = الأسلوبية، وقد فضّل المصطلح الأول تأسيا بالسلف في سكّ المصطلحات الشّبيهة كالرياضيات والطبيعيّات، ولأنّه يتسق بهذا المبنى مع مصطلح اللسانيات والصوتيات، وأمّا إضافة اللسانية ففيها تأكيد على المنطق اللساني في البحث. (ينظر، سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص21).

2 - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد - أوراق بينية-، ص46.

3 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص30.

يستعملها المتكلمون لإقناع المخاطبين بما يريدون إثباته أو نفيه من نظريات وآراء. وهالك ما قاله في كتابه لتعلم منه كيف كان الداء دويًا، وعلاجه مستعصيا لا يرجى له براء، ويعزّ منه الشفاء...!»<sup>(1)</sup>. ومما لا شكّ فيه أنّ هذه المبالغة في التعبير وغيرها، من الدوافع التي جعلت سعد مصلوح يعيد الاعتبار للرجل.

والمؤلف نفسه نجده يشيد به، ويعترف بإيجابياته في قراءة مخالفة تماما لما سبق إيراده، يقول: «فنحن إن أخذنا عليه تلك النبوة في الأسلوب والشغف بالمصطلحات المنطقية والفلسفية، نغترق له تلك الهناة كفاء ما قام به من جليل العمل في تهذيب مصطلحات هذه الفنون، والسير بها قدما نحو الكمال في استيفاء مباحثها، وتخليص أقسامها بعضها من بعض، حتى صارت متميزة مختلفة المناحي والأغراض بحسب ما تراءى له وظنّه مستقيما جهد الطاقة (...). وكلّ من جاء بعده من المؤلفين، اتّبع سبيله، وسار سيرته، ولم يأت بجديد؛ بل فسّر مبهما، أو فصل مجملا، أو اختصر مطوّلا»<sup>(2)</sup>. وفي حضرة هذه الأعمال الجمّة تختفي المثالب.

وعلى غرار نهجه في غير هذا البحث، تتجلى مرجعية سعد مصلوح في انفتاحها على الآخر وبحث سبل الاستفادة منه في حلّ المشكلات وإغناء الموجودات، وعدم الانسحاق العشوائيّ والانبهار المفرط دون تحصيل منفعة لتراثنا اللغويّ<sup>(\*)</sup>؛ فالواجب علينا «حين نرهف آذاننا لتسمّع أصوات العصر، أن نجعل عيوننا وعقولنا على مشكلاتنا؛ إذ لا قيمة عندنا لفكرة تستفاد من ثقافة أخرى، إلّا بقدر ما تلبي حاجة، أو تحلّ مشكلا، أو تضيء سبيلا»<sup>(3)</sup>. والذي يلاحظ أنّ استفادته من اللسانيّات الحديثة بمختلف نظريّاتها واتّجاهاتها في بحثه هذا، تمثّلت في إضاءة سبيله للتهدّي إلى براعة المنظومة التحليلية لدى السكاكي.

يحتلّ السكاكي في نظر سعد مصلوح مكانة بارزة في تاريخ البلاغة العربية، وهو زعيم الاتجاه التّعديديّ دون منازع، لذلك عمد إلى «تصنيفه على نحو يخالف ما درج عليه أكثر الباحثين، وإلى استجلاء أبعاد مستترة في عمله لم يتح لها أن تفهم على الوجه الصحيح. هذا والإقلال من الشواهد سمة مشتركة بين الاتجاهين الأصوليّ والتّعديديّ، وكلاهما يختلف في

1- أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط1، 1950، ص28.

2 - المرجع نفسه، ص ص 32-33.

\* يعبر سعد مصلوح عن التراث اللغويّ بالعلم الموروث، وعن اللسانيّات الحديثة بالعلم المستفاد. (ينظر مثلا إلى سؤاله الآتي ص28: ما نوع العلاقة المعرفية التي يمكن أن تنشأ بين العلم الموروث والعلم المستفاد في هذا المقام؟)

3 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص22.

هذه الخاصية عن الاتجاه الوظيفي. ومنزلة الأصولي من التّعدي هي منزلة أصول الفقه من الفقه، أما الوظيفي فله بالقياس إليهما منزلة القضاء والفتيا»<sup>(1)</sup>.

وهذه الأمثلة المعتمدة في توضيح صورة القسمة الثلاثية لاتجاهات البلاغة، مما يستعين به مصلوح عادة في تنوير القراء بمفاهيم ميسرة، وهي تتم عن موسوعيته وتنوع مصادره العلمية؛ خاصة الفقهية منها. كما يتصور أن "مفتاح العلوم" «وإن عُدَّ بداية التأليف في الاتجاه التّعدي المؤسس للقسمة الثلاثية في علوم البلاغة، هو عندنا من كتب الاتجاه الأصولي التي توصل لدراسة الظاهرة الأدبية، وهو يشارك في هذه الخاصية كتاب حازم القرطاجني "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، وإن كان باعتبار مخالف لما سار عليه حازم»<sup>(2)</sup>.

إنّ هذا الاستنتاج العميق يُؤتى فقط لمن قرأ المفتاح والمنهاج قراءة متمعنة، وأدرك قصد مؤلّفيهما، وأما من اكتفى بالظاهر - وهم الأغلبية-، فسيصنّف المفتاح على أنه كتاب تعدي لعلوم البلاغة فقط، وهو الذي جعلها تعاني الجفاف والعقم - على حدّ زعمهم -، في حين أنّ ذلك ما جعلها تواكب الأسلوبية في منهجها المنضبط.

### 3-1 القسمة الثلاثية لعلمي البلاغة والأدب.. أية علاقة؟

جرى العرف لدى الباحثين المنخرطين في الساحة اللغوية بنسبة القسمة الثلاثية لعلوم البلاغة؛ المعاني والبيان والبديع إلى أبي يعقوب يوسف السكاكي من خلال مفتاحه، ظانين أنّها موضوعه الرئيس، والحقيقة أنّ ذلك ما فهمه واستخلصه تابعوه، ويشمل القسم الثالث منه فحسب، وليس ما أراده المؤلف من مصنّفه في شموليته، وقليل هم الذين وقفوا وقفة تأمل وتدقيق مع المفتاح ليكتشفوا بأنفسهم حقيقة الأمر من عدمها.

ولقد تفرّد سعد مصلوح في هذا الشأن بقراءة جديدة<sup>(\*)</sup> نقضت قراءة الماضين، وفتحت بابا للنفاذ إلى الأسلوبيات اللسانية المعاصرة، وأكدت أنّ صيغة مفتاح العلوم أنجع الصيغ وأجداها لإقامة علاقة بين العلم الموروث والعلم المستفاد مع الإيمان باختلاف السياقات طبعا. وهو في نظره «الخطوة الطبيعية المنتظرة بعد كتابي عبد القاهر (الدلائل والأسرار)، ومؤدى

1 - المرجع نفسه، ص ص 27-28.

2 - المرجع نفسه، ص 50.

\* نستحضر هنا القراءة الجديدة لـ "دو سوسير" التي ظهرت خلال العقدين الأخيرين بعد العثور على مخطوطاته الأصلية المخالفة لما فهمه تلميذاه "شارل بالي" و"ألبير سيشهاي" وأخرجاه للناس في كتاب سُمي: "محاضرات في اللسانيات العامة". ينظر في هذا الموضوع - على سبيل المثال - إلى أعمال الباحث الجزائري مختار زواوي حول السوسيرية الجديدة، ومن بينها كتابه الأول: دو سوسير من جديد، دار ابن النديم (الجزائر)، دار الروافد الثقافية- ناشرون (بيروت)، ط1، 2017.

ذلك أن نظرية السكاكي في علم الأدب كانت ثمرة طبيعية لنظرية النظم، بيد أن السكاكي أضرب به تلامذته وتابعوه باجتزائهم القسم الثالث من كتابه وقطعه عن سياقه، وفصمهم لعري منظومته التحليلية، وإحلالهم ثلاثية المعاني والبيان والبديع محلّ الثلاثية الأصلية التي أقام عليها بناء كتابه؛ وهي ثلاثية الصّرف والنحو والمعاني<sup>(1)</sup>. وما وقع للسكاكي بسبب تابعيه وقارئيه ومختزليه، تكرر خلال القرن العشرين مع مؤسس اللسانيات الحديثة "فرديناند دو سوسير" حين فهمه تلامذته على غير ما أراده، والمخطوطات الأصلية التي عُثِرَ عليها في السنوات الأخيرة خير دليل.

توصل سعد مصلوح في ضوء قراءته المتمعنة للمفتاح إلى أنه كُـلُّ متكامل في حين «ضرب المشتغلون بعلوم البلاغة صفحا عن قسيمي الصّرف والنحو، وعن الفصول التي عقدها لعلم الاستدلال والشعر، ورأوا فيها تلخيصات لعلوم ازدحم عليها المصنّفون، ولم يتوقّعوا طريفا يمكن أن يضاف إليهما، واتّجهوا بكلّيتهم إلى علمي المعاني والبيان اللذين كان للسكاكي فضل وضعهما وضعا جديدا يباين ما كانت عليه مباحثهما»<sup>(2)</sup>.

والحقيقة التي بدت للباحث مصلوح، وهي توافق ما ذهبت إليه اللسانيات الحديثة، وبخاصة ما تقوم عليه النظرية البنيوية؛ ضرورة النظر للنصّ ومعالجته وفق منظومة متكاملة من المستويات التحليلية؛ الصوتي، الصّرفي، التركيبي، والدلالي. وهذا ما فعله السكاكي، حيث «لم يهدف إلى إيراد حقائق الصّرف والنحو، ثمّ المعاني والبيان ووجوه التحسين، ثمّ الاستدلال والشعر لما هي فيه، بل عالجهما جميعا بوصفها بنية منهجية متماسكة، تصلح في حال انتظامها لما لا تصلح له حال تفرّقها وانفراط عقدها، وبذلك تستحيل المكونات إلى عناصر في منظومة منهجية تشكّل متضافرة ملامح علم يسمّيه الإمام صراحة "علم الأدب"<sup>(3)</sup>.

وبهذا يتبيّن أنّ قوام علم الأدب عنده ثلاثية لا رابع لها؛ «ونعني بها الصّرف والنحو والمعاني (والبيان شعبة منها)، وليس ثلاثية المعاني والبيان والبديع التي ذاعت نسبتها إليه حتّى غطّت على مقصود السكاكي ومراده من كتابه»<sup>(4)</sup>. وأمّا علما الحدّ والاستدلال فألحقهما كذلك بعلم المعاني مثلما فعل مع علم البيان. «ولا ينبغي أن يُفهم من ذلك طعن الإمام في

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ص 65-66.

2 - المرجع نفسه، ص 51.

3 - المرجع نفسه، ص 52.

4 - المرجع نفسه، ص 60.

أهلية الحدّ والاستدلال ليكونا علما أو علمين بذواتهما؛ فالاحتياج إليهما قائم في علوم أخرى كثيرة، ولكنّ الإمام - في إطار المنظومة التحليلية التي يؤمن بها، وتشكّل عنده مفردات علم الأدب-، يقنع لهذين العلمين بأن يكونا تكملة لعلم هو الضلع الثالث من أضلاع ثلاثيته، ونعني به علم المعاني»<sup>(1)</sup>.

وقد يتساءل أحدهم عن علم الأصوات بالنظر لأهميته في المنظومة التحليلية لدراسة النصّ، وغيابه عن القسمة سابقة الذكر. والحق أنّ السكاكي لم يغفله هو أيضا، بل إنّه برع في إحلاله المكانة التي يلزم أن يشغلها، حيث «يذكر الإمام أنّ المعالجة الصرفية لا تتمّ إلاّ بمقدّمة صوتية فيقول بأنّ "مساق الحديث في كيفية الوصول إلى علم الصرف، لا يتمّ إلاّ بعد التنبيه على أنواع الحروف التسعة والعشرين ومخارجها..»<sup>(2)</sup>. وهكذا يستمرّ مصلوح في تأكيد البنية المنهجية المتماسكة للمفتاح، وعلاقة أجزائه بعضها ببعض ضمن ما يسمّيه "النسقية" في مقابل "التقنيّة" بإلهام من اللسانيات الحديثة.

إنّ المنظومة التحليلية التي يستهدفها سعد مصلوح بالدراسة، ويصرّ على وجودها في المفتاح، تقتضي الترابط بين جميع العلوم اللغوية، وفق ما يقرّره في بحثه: «علم الصرف يطلب النّحو، وثنانيتها محتاج إلى أولهما، والنّحو هو عنده علم مداره على دراسة التراكيب (...). وهو بهذا يطلب علم المعاني، والثاني منهما يطلب الأول؛ إذ إنّ علم المعاني هو نوع من النّحو المقاميّ على مستوى الكلام الأدبيّ (situational grammar)، ثمّ يأتي علم البيان الذي يعدّه السكاكي شعبة من شعب علم المعاني (...). أمّا الاعتبار الزائد في اعتقادنا فمرجعه إلى أنّ مباحث علم البيان واقعة في مجال الدلالة، ومجال الدلالة محتاج في هذا المقام إلى أن يسبقه علم المعاني...»<sup>(3)</sup>. وبذلك يتبين مدى تماسك عناصر المنظومة التحليلية للمفتاح، وأنّ ثلاثيته الحقّة إنّما هي الصرف والنّحو والمعاني، وليست المعاني والبيان والبديع؛ «أمّا ما سوى ذلكم ممّا تضمّنه الكتاب كعلم الحدّ والاستدلال والعروض والقوافي، فإنّما هي علوم مساعدة ورافدة لهذه الثلاثية المنهجية التي ارتضاها السكاكي في مفتاحه»<sup>(4)</sup>.

1 - المرجع نفسه، ص 61.

2 - المرجع نفسه، ص 63.

3 - المرجع نفسه، ص ص 64-65.

4 - المرجع نفسه ص 82.

### 3-2 لماذا مفتاح العلوم وسيط بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية؟

لم يكن اختيار سعد مصلوح مفتاح العلوم دون سواه من المؤلفات البلاغية العربية لإقامة علاقة حوار مع الأسلوبيات اللسانية اختياراً اعتباطياً، فقد جاء ذلك تماشياً مع مشروعه العلمي القائم على عقلنة النقد وضبطه وتخليصه من الآراء الذوقية والانطباعات الذاتية، ولأن المؤلف (المفتاح) يصنّف ضمن المؤلفات البلاغية التّعديدية ذات السمة التشريعية، كان أولى من غيره ليكون محطّ نظر ودراسة، وذلك ما نلمسه في قوله: «الصيغة التي اقترحها السكاكي هي أوفق الصيغ وأوفرها حظاً من النجاح لتكون طرفاً تراثياً في الحوار مع الأسلوبيات المعاصرة، بفضل ما تحقّق على يده من إنجازات تحوّلت به البلاغة من أنظار وآراء وملاحظ إلى علم منضبط»<sup>(1)</sup>. والضبط والدقة والصرامة من مميزات المنهج العلمي الذي طبع لسانيات القرن العشرين، وإذا أردنا التّحديد أكثر نقول أنّ الدراسات اللسانية الحديثة قامت في ضوء نظرية المعرفة (الإبستمولوجيا)<sup>(\*)</sup>، حتّى تكسب نفسها قيمة نظرية ومنهجية معتبرة.

أمّا الدافع الثاني الذي يبدو لنا من وراء هذا الاختيار، أنّ الأسلوبيات اللسانية المعاصرة تتبني على مفهوم النظام أو النسق<sup>(\*)</sup>، والتي تعني في جوهرها؛ أنّ العالم نظام متكامل، وليس خليطاً مبعثراً من العناصر التي لا يجمعها رابط، ومن ثمّ فاستكمال معرفتنا عنه تتجلى في البحث عن العلاقة بين هذه الوحدات. «ولتأكيد هذه الحقيقة، جعل الدرس العلمي في القرن العشرين من القاعدة التالية شعاراً لعمله: لكي نستكمل معرفتنا عن العالم ينبغي أن نبحث عن

1 - المرجع نفسه ص 81.

\* Théorie de la connaissance : يطلق اسم نظرية المعرفة على مجموعة تنظيرات هدفها تحديد قيمة معارفنا وحدودها. أو هي دراسة تتناول طبيعة المعرفة البشرية، آليتها العامة ومداها. (أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل - أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط2، 2001، ص 1455).

- نشير إلى أنّ الفرنسية تجري تفرقة بين الإبستمولوجيا (فلسفة العلوم) ونظرية المعرفة، وهذا ما لا نجده في الإنجليزية. (المرجع نفسه، ص ص 356-357).

\* لم يوظّف "سوسير" مصطلح "بنية" إلا ثلاث مرّات، في حين استعمل "النظام" أو "النسق" (système) 138 مرّة. (ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص 163). ويعدّ "جاكسون" (1896-1982م) رفقة "ترويتسكوي" (1890-1938) المنضويّن في إطار ما يسمّى (حلقة براغ)، أوّل من أشاعا مصطلح "بنية" (structure) التي اشتقّ منها اسم النظرية؛ "البنوية" (structuralisme)، في البيان الذي أعلنه المؤتمر الأوّل للغويين السلاف سنة 1928. (ينظر: عماد غنوم، تطوّر النظرية اللغوية من سوسير إلى جاكسون، مجلّة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 2، ع29، ديسمبر 2016، ص ص 61-62).

"بنية" النظام؛ أي العلاقة بين مفردات النظام، وهكذا ظهر عصر البنيوية في البحث العلمي»<sup>(1)</sup>.

وقد وجد سعد مصلوح بعد النظر الدقيق أنّ مفتاح العلوم يشكّل بنية منهجية متماسكة عُرِفَتْ عنده بـ "المنظومة التحليلية"، ما يعني أنّها يسيران منهجياً وفق مبدأ واحد. يقول في هذا الشأن: «الجامع بين هذه الاتجاهات هو الخروج من التفتيتية التي ميّزت لسانيات القرن التاسع عشر وما قبلها إلى التسقيّة التي تميّز مباحث اللسانيات الحديثة، ومنها المبحث الأسلوبية. وإذا اعتبرنا ذلك، علمنا مدى ما مُنيت به الدراسة الأدبية واللسانية في العربية من خسارة، حين ذهبت سدى جهود الإمام السكاكي لإقامة "علم الأدب" على أساس من أعمال منظومة تحليلية ذات بنية منهجية صارمة»<sup>(2)</sup>. بالتالي فإنّ دراسة مصلوح وفق هذه الرؤية، تحاول قدر الإمكان تدارك الوضع بتأسيس نظرية أسلوبية عربية جادة، تجمع بين العلم الموروث والمستفاد.

ويأتي الدافع الثالث -حسب وجهة نظرنا - ليجمع ما سبقه، ويحيل إلى الطريق والمرجعية التي ارتضاها مصلوح عنواناً له، وهي «ما يقترحه من حوار معرفي لا يعرف القطيعة بين تراث العربية وعلوم العصر»<sup>(3)</sup>. أو ما اصطلح عليه في مواضع أخرى؛ الصيرورة المعرفية؛ أيّ إيجاد أرضية خصبة تجمع بين علمين متشابهين، أحدهما قديم والآخر حديث، وبحث سبل الإفادة والتأثير المشترك بينهما، وهو ما استهدفه بهذه القراءة، بعدما توصل إلى أنّ المفتاح «الصورة الوحيدة التي يمكن الانتفاع بها في المبحث الأسلوبية المعاصر»<sup>(4)</sup>.

والنفع والانتفاع كلمة حاضرة بقوة في قاموس سعد مصلوح وعليها مدار أبحاثه ودراساته، إذ قلّمنا نقرأ له ولا نجد لها أثراً سواء بالتصريح أو التلميح، فانظر إلى سموّ الغاية التي يعبر عنها في قوله صدد بحثه: «قامت الدراسة بتشخيص لأهمّ وجوه التمايز بين المبحث البلاغي التراثي والأسلوبيات اللسانية لنهتدي من ذلكم إلى كفيّات الانتفاع بهذا التراث العظيم في رسم قسّمات وسمات واضحة لمشروع أسلوبية لساني عربيّ معاصر، يستمدّ روافد زكائه ونمائه من

1 - ميلاكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر، سعد مصلوح - وفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ط2، ص 101.

2 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 71.

3 - المرجع نفسه، ص 82.

4 - المرجع نفسه، ص 67.

جذوره الضاربة في تربة التراث، ومن المنجز اللساني الحديث في آن<sup>(1)</sup>. ولا شك أنه قول محكم الصياغة بليغ الدلالة على نهجه المتبع حيال ثنائية التراث والحداثة.

### 3-3 ملاحظ على تقويم البلاغة لسانياً

يتصور سعد مصلوح أن السبيل المفضي إلى بناء أسلوبية عربية لا يكون إلا بإعادة قراءة مفتاح العلوم للسكاكي قراءة لسانية جديدة، أو ما يسميه "تقويماً لسانياً" «تتحدّد به مسوّغات المباشرة المعرفية القائمة بينها في صورتها الموروثة وبين الأسلوبيات اللسانية، كما تتحدّد به الصورة المثلى التي يتحقّق بها الانتفاع من خلال تجاوز هذه المباشرة المعرفية وتلافي أسبابها»<sup>(2)</sup>.

والحقّ أنّ الموضوعي في هذا الطرح إتيان الباحث على وجوه الاختلاف القائمة بين العلمين، وهي أحد عشر وجهاً للمباشرة، تتمّ عن إدراكه ووعيه بالفرق المنهجي والنظري والإطار الخاصّ بكلّ علم، لكن ثمة سؤال يطرح نفسه في هذا السياق: هل من الممكن أن نخضع البلاغة للأسلوبية ونلوي عنقها حتّى تستجيب لمفاهيمها ومبادئها وننتفع بها حقّ الانتفاع؟ وهل ثمة جدوى من تغيير المصطلحات القديمة بالحديثة لنعبّر بها عن المفاهيم المتشابهة؟ ألا نكون متعسّفين في التعامل مع النصّ التراثي عندما نحمله ما لا يجانسه؟

ومن المقولات التي تنطبق عليها هذه الأسئلة ما أورده مصلوح في قوله مثلاً: «لكننا إذا استحيينا تلك الصيغة المماتة (يقصد الصيغة الكبرى: علم الصرف والنحو والمعاني) وتفحصناها وجدنا فيها وعياً من السكاكي بالمفهوم الذي يطلق عليه بعض الأسلوبيين المعاصرين مؤخّر الصورة backgrounding في مقابل مقدّم الصورة foregrounding. وبيان ذلك أنّ الصرف والنحو يوفّران لنا في التحليل ما سمّاه السكاكي "أصل المعنى مطلقاً"، وهو ما يمكن تسميته "خلفية التحليل"، على حين يتولّى علم المعاني (بشعبه الثلاث المكوّنة للصيغة الصغرى: المعاني، البيان، البديع) إمدادنا بمقدّم التحليل...»<sup>(3)</sup>.

1 - المرجع نفسه، ص 82.

2 - المرجع نفسه، ص 67.

3 - المرجع نفسه، ص 74.

إنّ هذا المثال وغيره يندرج ضمن ما يسمّى "لسانيات التّراث"، حيث يقسّم الباحثون العرب على نحو ما نجده عند المغربيين؛ "مصطفى غلفان" وتلميذه "حافظ إسماعيلي علوي"<sup>(1)</sup> اللسانيات العربيّة إلى خمسة مجالات؛ اللسانيات التّمهيدية، لسانيات التّراث، اللسانيات الوصفية، اللسانيات التّوليدية، اللسانيات الوظيفية، وتحتلّ كلّ واحدة من هذه التّخصّصات حيّزا بحثيا في إطار الثقافة العربيّة، يسعى رواده إلى الإحاطة به نظريًا وتطبيقيًا وتحديثه وفقًا لمستجدّات الدّرس اللسانيّ الغربيّ. ومن المعلوم أنّ هذا الأخير بات يشكّل معامل تأثير مهمّ في مختلف العلوم الإنسانيّة مقارنة بنظيره العربيّ الذي ما يزال في كثير من الأحيان يدور في دوامة إشكالات عديمة الفائدة من قبيل ثنائية؛ التّراث والحداثة، ما من شأنه عرقلة مسار التّوق إلى فكر موضوعيّ ناضج، ونظريّات نفعيّة خادمة للقضيّة اللغوية في كلّ جوانبها.

وإذا كانت لسانيات التّراث تقتصر على الثقافة العربيّة؛ وهي تعني قراءة الموروث اللغويّ العربيّ في ضوء النظريّات الحديثة، ومحاولة عقد مقارنة موضوعيّة بين متشابه المنجز العربيّ التّراثيّ ونظيره اللسانيّ الحديث، فإنّ الوصفية والتّوليدية والوظيفية اتّجاهات عالميّة تتعدّى حاجز البيئة والثّقافة، شأنها في ذلك شأن اللسانيات التّمهيدية التي تتضاعف أهمّيّتها والحاجة إليها في غير رقعة نشأة العلم وتكوينه، بيد أنّ هذا الحقل المعرفيّ وثيق الصّلة باتّجاهات اللسانيات سالفة الذّكر، ولا يشكّل رؤية في فهم اللّغة ودراستها؛ إذ هو شرح وتبسيط وتيسير لمرتكزات العلم ومحاوره الأساسيّة.

ويرى مصطفى غلفان أنّ الكثير من الدّراسات التي تشتغل حول قراءة التّراث في ضوء اللسانيات المعاصرة مجرد إنشاء، وليس ثمة إضافة يمكن أن يقدّمها هذا النّوع من الكتابة للّغة العربيّة؛ إذ لا بدّ من استثمار النظريّات الحديثة في دراسة وتحليل بنيات اللّغة<sup>(2)</sup>.

ويذهب عبد القادر الفاسي الفهري في هذا الإطار، إلى أنّ العلماء الحقيقيين المنتمين لحلقة البحث العلميّ الموضوعيّ يشتغلون بكلّ شيء إيجابيّ، سواء وجدوه في التّراث أم ضمن المناهج الحديثة، دون التّعصّب لجهة معيّنة ومحاولة إثبات ما لا يمكن<sup>(3)</sup>. وهنا نستحضر

<sup>1</sup> - ينظر، حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة - دراسة تحليلية نقدية في قضايا التّفكي وإشكالاته، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2018، ص433 إلى ص437.

<sup>2</sup> - ينظر، مصطفى غلفان، قراءة التراث اللغوي في ضوء اللسانيات المعاصرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب، 2015/02/23، <https://www.youtube.com/watch?v=uNQGbSB7fnM>

<sup>3</sup> - ينظر، عبد القادر الفاسي الفهري، مشروع المعجم البنائي التوعوي، كلية الآداب، جامعة الكويت، 2021/06/11، <https://www.youtube.com/watch?v=Fm1ClOQMYNQ>

كذلك المقولة الشهيرة للأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح مروية عن تلميذه محمد صاري، وهي توافق إلى حد بعيد النهج البحثي لسعد مصلوح: «سئل الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في ندوة علمية عرّف من خلالها بمشروعه في القراءة التجديدية للتراث اللغوي العربي: هل أنتم من المحافظين؟ فأجاب بصريح العبارة: لست محافظاً ولا مجدداً، ولكن أبحث عن المفيد، اكتشفنا في القديم شيئاً عظيماً لم نجده في الحديث، ولو اكتشفناه لأخذنا به»<sup>(1)</sup>.

ولعلّ من الملاحظات المهمة التي تستوقفنا صدد القراءة التجديدية لسعد مصلوح، والمنضوية تحت لواء ما أشرنا إليه بـ "لسانيات التراث"، تكمن في توزيعه أو بالأحرى إسقاطه لمكونات المنظومة التحليلية للمفتاح على المجالات المعاصرة للأسلوبية (أسلوبيات اللغة، أسلوبيات الأدب، الأسلوبيات المتعينة). وقد بدا لنا كما بدا له «عدم الاتساق بين توزيع المجالات والفنون في مفتاح العلوم وهذا المخطط الإجرائي الذي قدّمناه. والحق أنّ جانباً كبيراً من مظاهر عدم الاتساق في التوزيع يعود إلى أنّ الغاية التعليمية التشريعية التي حكمت رؤية الإمام لعلم الأدب جعلته ينصبّ لأقسام العلوم التي اقترحها أهدافاً وغايات...»<sup>(2)</sup>.

وهنا تحوّلت الغاية التشريعية في نظره إلى عامل ضعف، بعدما كانت تشكّل عامل قوّة خلّص البلاغة من الآراء غير المنضبطة حسب ما أورده وأشرنا إليه سلفاً. وبين القوّة والضعف، يبدو لنا أنّه من غير المنطقي أن نتوقّع تطابقاً كلياً واتساقاً إجمالياً بين علمين مختلفين زماناً ومكاناً؛ علم الأدب والأسلوبيات المعاصرة، وكلّ منهما له سياقه الخاص، وإطاره المنهجي والنظري. بالتالي يمكن عدّ هذه الإسقاطات مجازفة محفوفة بالمخاطر، خاصّة إذا ما ربطنا هذا بالمقولة الشهيرة للأستاذ مصلوح التي يقول فيها: «الأسلوبية ليست وريثاً للبلاغة لأنّها لم تمت»<sup>(3)</sup>. ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أنّ البحث كلّه يندرج في إطار القراءة الإسقاطية التي تأبأها العقول الموضوعية، وهي حرية بالإسقاط على لسان مصلوح نفسه، ولا شك أنّ القراءة

1 - محمد صاري، من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث، مجلة اللسانيات العربية، الرياض، السعودية، ع7، يوليو 2018، ص59.

2 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص76.

3 - سعد مصلوح، الأسلوبيات التعاقبية وصناعة التحقيق، كلية العلوم الإسلامية، جامعة السلطان محمد الفاتح، تركيا، القناة:

د. محمد مصطفى الكنز، 2024/09/11، <https://2u.pw/J725GCmn>

المتبعة يسمها بقراءة الصيرورة المعرفية التي تربط ماضي الأمة بحاضرها، وقد وجد من خلالها أن صيغة السكاكي أقدر الصيغ التراثية على محاورة الأسلوبيات المعاصرة<sup>(1)</sup>.

ولأجل معالجة خلل عدم الاتساق المشار إليه، يقترح ما يلي: «وعلينا إذا أردنا أن نوزع مكونات الصيغة الصغرى على مستويات المخطط المقترح، أن نحلّ أنفسنا من الالتزام بالأسوار التي أقيمت بين العلوم البلاغية في "مفتاح العلوم" وشروحه وتلخيصاته، وحينئذ تبدو تفاصيل الصورة أكثر ثراءً ووضوحًا، ولا سيما إذا اعتبرنا توسع البلاغيين بعد السكاكي في التماس فنون البديع وسكّ المصطلحات المناسبة لها»<sup>(2)</sup>. ومن الملاحظ هنا، اعتداد مصلوح بشروح المفتاح وتلخيصاته حتى تكتمل الصورة ويُملاً ذلك الفراغ المسجل والنقص البادي، في حين أنه نسب إليها - كما ذكرنا سابقاً - تغيير وجهة المفتاح وقصد صاحبه من مؤلفه، فهل بالإمكان الجمع بين هذين النقيضين!؟

وتأكيداً لذلك، نجده في موضع آخر يربط السكاكي بالتابعين ويوجّه الأنظار إليهم من أجل الإفادة من أعمالهم في الأسلوبيات. يقول: «وجميع هذه الفنون التي جهد الإمام السكاكي وخالفوه في تحديدها وتوصيفها والاستشهاد لها، هي عندنا خصائص أسلوبية بالقوة، قابلة لأن تكون مادة للتشكيل في النص الأدبي، وقابلة لأن يعاد فيها النظر بحيث نشكل منها سلماً تحليلياً يمكن اعتماده في الفحص الأسلوبى للنصوص وتشخيصها»<sup>(3)</sup>. وإنّ ممّا يمكن استنتاجه من هذا النصّ المقتبس، ضرورة إعادة الاعتبار للتراث البلاغيّ في الدراسات الأسلوبية الحديثة، وأن تكون العلاقة بينهما تكاملية؛ يفيدان من بعضهما البعض، ويكمل أحدهما نقص الآخر، وهو يدلّ في الآن ذاته على الروح التراثية التي تسري في شخصية الباحث.

إنّ لجوء سعد مصلوح إلى شروح وتلخيصات المصنّف محلّ الدراسة، لا سيما "الإيضاح" للخطيب القزويني الذي هو شرح لكتابه "تلخيص المفتاح"، يدلّ على أهميتها وعلاقتها الوثيقة به رغم ما قيل عنها، وبخاصة في الشقّ المتعلّق بعلم البديع، هذا العلم الذي هو الضلع الثالث للصيغة الصغرى، كثيراً ما يشير إليه ويعتمده الأستاذ في بحوثه التطبيقية مثل: "نحو أجرومية

1 - ينظر، سعد مصلوح، قراءة التراث البلاغي - مثال من منجز السكاكي-، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر،

القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2022/01/13، <https://2u.pw/xCEEAlpc>

2 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 77.

3 - المرجع نفسه، ص 80.

للنص الشعري - دراسة في قصيدة جاهلية -، والنظرية أيضا مثلما هو الحال في بحثه هذا؛ "مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية".

أما في بحثه التطبيقي وعلى سبيل المثال يقول: «ولعل في التراث البديعي من الثراء والخصوبة من هذه الوجهة (يقصد الوسائل التي يتحقق بها السبك)، ما يحفز الجادين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي»<sup>(1)</sup>. «وقد أثمرت هذه الأسطر المعدودات ثمرتها الطيبة في الأطروحة التي حصل بها جميل عبد المجيد على درجة الدكتوراه بعنوان: (البديع بين البلاغة العربية واللسانية النصية 1998)»<sup>(2)</sup>.

ويتصور مصلوح في إحدى محاضراته المرئية الحديثة؛ أن علم البديع مظلوم كثيرا في تاريخ البلاغة العربية<sup>(3)</sup>، إذ لا بد من إعادة الاعتبار إليه بإعطائه حقه في الدراسات التحليلية للنصوص، ولا يمكن - في نظره - أن يُدرس النص من طريق اللسانيات النصية إلا باستصحابه<sup>(4)</sup>. واستصحابه يعني المزوجة بين ما هو تراثي وحدائي في التحليل، وبمعنى آخر إلباس علم البديع حلة جديدة صالحة لقراءة النص بدلا من الوقوف به عند حدود الزخرفة اللفظية في الشاهد والمثال.

1 - المرجع نفسه، ص 237.

2 - المرجع نفسه، ص 272.

3 - ينظر، سعد مصلوح، الأسلوبيات التعاقبية وصناعة التحقيق، كلية العلوم الإسلامية، جامعة السلطان محمد الفاتح، تركيا،

القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2024/09/11، <https://2u.pw/J725GCmn>

4 - ينظر، سعد مصلوح، قراءة التراث البلاغي - مثال من منجز السكاكي -، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر،

القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2022/01/13، <https://2u.pw/xCEEAlpc>

#### 4- استثمار بلاغة القرطاجني في مقارنة النصّ الإعلاني في الصحافة المعاصرة

من الأبحاث الطريفة التي اشتغل عليها سعد مصلوح حديثاً\* (2014) بحثه الموسوم بـ "النصّ الإعلاني في الصحافة المعاصرة بين الإقناع والتّخيل"، المضمّن في كتابه "في اللسانيات والتّقد - أوراق بينية -" (2017)، ونورده هنا على سبيل الدّراسة التّطبيقية بعد الحديث عن قراءته الجديدة للسّكاكي للاعتبارين الآتيين:

- يمثّل هذا البحث عيّنة تطبيقية لمنهجه في الرّبط بين المنجز التّراثي والحديث، أو ما يسمّيه الصّيرورة المعرفية، وقد سبق الإشارة إليها في كثير من المواضع.

- ربطه في البحث السّابق بين السّكاكي والقرطاجني، ولفته الانتباه إلى ضرورة العودة إليهما؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله: «ولعلّ حظّ "المفتاح" و"المنهاج" من التّأثير في الدّرس البلاغيّ والتّقدّي يمثّل جامعا مشتركا بينهما في الجوهر على اختلافه في المظهر، فقد مضى كتاب القرطاجني دون أن نلمح له الأثر المرتجى، أمّا المفتاح فقد أحدث أكبر الأثر، ولكن على غير الوجه الذي أراده له صاحبه»<sup>(1)</sup>.

يؤكّد الأستاذ من خلال هذا الطّرح إمكانية العودة إلى القديم من بوابة المستجدّ، وأن لا مسوّغ لإحداث قطيعة معرفية بينهما، ويرى أنّ البلاغة العربيّة «لا تزال قادرة على التّجدّد ومحاورة العلم في أطواره المتعاقبة، والإسهام في تشكيل أدواته واتّجاهاته التي يساوق بعضها بعضا حيناً، ويقطع بعضها على بعض أحيانا في تلاقح منتج بهيج (...). والمباينة المعرفية لا ينبغي أن تفضي إلى القطيعة التي يزعمون، بل إنّ معاودة قراءة القديم قراءة منتجة في سياقات متغيرة، كثيرا ما يهب المحاولة مذاقا معرفيا فادّا، يستعيد به القديم عافيته وقدرته على إخراج ما هو كامن وخبيء فيه بالقوّة إلى حيّز الفعل»<sup>(2)</sup>.

تلك هي إذن عقيدته العلميّة في الموضوع جليّة صريحة لا تحمل أدنى غموض، وفيها تتّضح فوائد العودة لقراءة التّراث التي يرفضها البعض بدعوى أنّ فيها تلبيسا على النّاس وخطا بين منجزين متباينين. وسدّا لذلك الباب الذي يدركه مصلوح جيّداً، وهو أنّ فئة من الباحثين،

\* سألتُ الدكتور مصلوح عن سنة نشره أوّل مرّة - وهي غير موجودة في الطّبعة المعتمد عليها -، فأجابني عبر تقنية "المسنجر" بتاريخ: 2024/12/17؛ "تحية وسلاماً: البحث المسؤول عنه نُشر أوّل مرّة في كتاب صدر عام 2014؛ أبحاث مهداة إلى يوسف بكار.

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص50.

2 - سعد مصلوح، في اللسانيات والتّقد، ص ص 157-158.

كلّما توصل الغربيون إلى فكرة لسانية أو منهج إلّا وهرعوا إلى التّراث من أجل إيجاد مقابل وهمي للافْتخار بشرف السّبق، «فأفسدوا على النّاس فهم التّراث وفهم اللّسانيات الحديثة في نفس الوقت، وميّعوا مضمون الثّورة اللّسانية وفوائد تطبيق اللّسانيات على اللّغة العربيّة تطبيقاً ناجعاً، ودراسة مختلف مشاكلها من منظور العلوم اللّسانية المقارنة والمتعدّدة والمختلفة»<sup>(1)</sup>. هذا بتعبير الفاسي الفهري، وأمّا مصلوح في أحد حواراته فيرى أنّ ذلك عبث في العلم، ويصفه بالتّطبيق الميكانيكيّ الآليّ التلقائيّ؛ كأنّ يحمل أحدهم قُبعة تشومسكي ويكبسها في رأس الإمام عبد القاهر، أو يحمل عمامة الإمام عبد القاهر ويلوثها حول رأس تشومسكي<sup>(2)</sup>. فما أبلغ المثل الموظّف! وما أدقّ الكلمات التي وصف بها علاقة الارتباط (تلاقح منتج بهيج)! علاقة تنبني على مبدأ الاستفادة؛ أيّ استفيد من الآخر بقدر احتياج ثقافتي<sup>(3)</sup>.

#### 4-1 في مفهوم الإقناع والتّخيل

يستند مصلوح في النّظر إلى النّصّ الإعلانيّ في الصّحافة المعاصرة إلى مفهوميّ؛ الإقناع والتّخيل كما وردا عند حازم القرطاجنيّ، وقد ارتبط الأوّل بالخطابة وأمّا الثّاني فكان لصيقاً بالشّعر. وبهذه المقاربة الجديدة يحاول الباحث أن يُعمّلهما في فنّ قوليّ معاصر له أهميّة بالغة، حتّى يبعث فيهما حياة جديدة، ويؤكّد فاعليّة المفاهيم التّراثيّة في الارتباط بالمستحدث من فنون القول، وهو بذلك يؤسّس للمرتكزات الواجب مراعاتها عند كتابة إعلان صحفيّ.

وباستثمار بديع وإسقاط مفيد لنصوص التّراثيين؛ ابن وهب في كتابه "البرهان في وجوه البيان" والقرطاجنيّ في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، يسلّط الأستاذ الضّوء على النّصّ الإعلانيّ؛ أمّا الكتاب الأوّل فخلص منه إلى عدّ الإعلان واقع في دائرة المشتبه، حيث «يذهب ابن وهب إلى تقسيم البيان على ثلاثة أضرب: فمنه حقّ لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبه يُحتّاج على تقويته بالاحتجاج له، ومنه باطل لا شكّ فيه. وإذا أردنا أن نجد للإقناع مكاناً في هذه

<sup>1</sup> - محمد مرزوق وآخرون، السياسة اللغوية العربيّة والبيئة والبقاء، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2016، ص26

<sup>2</sup> - ينظر، سعد مصلوح، حوار عن اللسانيات والعربية والتراث 1، القناة: أثاره من علم، 2022/05/30م، <https://www.youtube.com/watch?v=bqS-OafHj9U>

<sup>3</sup> - ينظر إلى المحاوره ذاتها. كما نصّ على الفكرة في المحاوره الثانيه (حوار عن اللسانيات والعربية والتراث 2، 2022/06/09)، فقال ما في معناه: نستفيد من الفكرة في اللسانيات الغربية بإعادة النّظر للمنجز اللسانيّ العربيّ. <https://www.youtube.com/watch?v=Pv0PzKPwr30>

الثلاثية فلا شك أنّ مجال وقوعه إنّما يكون في "المشتبه"<sup>(1)</sup>. وبعد تحديد مجال الوقوع، يعود إلى مفهوم "الإقناع" عند حازم الذي هو الطّريق الأوّل لتحقيق مقاصد الإعلان؛ ويقوم على «تقوية الظنّ لا إيقاع اليقين، وأنّ هذه المنطقة الرمادية هي المجال الأثير للتنافس بين المعلنين في معركة الوصول إلى المستهلك، واجتذابه إلى اقتناء السلعة أو استعمال الخدمة المعلن عنها»<sup>(2)</sup>. وهنا تبرز براءة الباحث في توظيف مفهوم تراثي لحاجة معاصرة.

أمّا الطّريق الثاني لاستمالة الزبائن وكسب الجمهور لاقتناء السلعة، ولا يتمّ الأوّل إلّا به؛ فهو "التّخييل"؛ هذا المفهوم في نظر مصلوح «واقع في الصّميم ممّا يمكن أن يسمّى بلغة العصر "علم النفس الأدبي". وبيان ذلك أنّ التّخييل وثيق الصّلة بمباحث الإدراك ومراتب القوى النفسانية وعملها في المدركات إستقبالا وإنتاجا، وتأثير عمل المدركات في القوى المتخيّلة بالبسط إلى ما تحبّ، والقبض عمّا تكره طلبا للذة والمنفعة»<sup>(3)</sup>. ولو حاولنا تبسيط هذا التّصوّر، نقول إنّ التّخييل يخاطب الجانب النفسيّ في الإنسان، ويلعب على وتر الإحساس، فيقبل بموجبه إلى أشياء وينصرف عن أخرى.

ووفق تعبير آخر أكثر دقّة ووضوحا، يلخّص مصلوح المفهوم كما جاء عند ابن سينا ومن بعده حازم -ولإشارة فإنّ الأوّل هو الفيلسوف الأثير عند الثاني-، فيقول: «هو مخاطبة القوّة المتخيّلة وتفعيل القوّة النزوعية، تلك التي تستجيب بالتحرك طلبا للذة أو هربا من الألم؛ فالتّخييل معدّ نحو العمل في نفس المتلقّي بالقبض والبسط، وعمل المخيلة في ذلك يتمّ على نحو تلقائيّ يشبه ردود الأفعال، ولذلك فإنّ الكلام المخيل تدعن له النفس فتنبسط لأمر أو تتقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار، ولا يعني ذلك أنّ كلّ ما هو مخيل كاذب بالضرورة»<sup>(4)</sup>. والذي يبدو على المفهوم بالصّيغتين الواردتين عن مصلوح، استحضار المصطلحات الصّوفيّة (مراتب القوى النفسانية - القوّة النزوعية)، وهي تدلّ على إحاطته وقراءته وميله لأعلام هذا الاتّجاه الدينيّ، ونذكر منهم الذين ذكرهم: محي الدين بن عربي، أبي منصور الحلاج، وعمر بن الفارض.

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد -أوراق بينية-، ص 162.

2 - المرجع نفسه، ص 163.

3 - المرجع نفسه، ص 166.

4 - المرجع نفسه، ص 167.

#### 4-2 المزوجة بين الإقناع والتخييل في صناعة الإشهار(\*)

تأكيداً منه على فاعلية البلاغة وقدرة مفاهيمها على احتواء المستجد من فنون القول سواء من ناحية الإنتاج والصناعة أو التحليل والدراسة، عمد مصلوح إلى استثمار أحد نصوص القرطاجني المعد في الأصل لغرض نسج وصياغة النص الشعري وكذا الخطب النثرية، في تحديد كيفية تشكيل النص الإعلاني وضبطه في الصحافة المعاصرة، وبحث آليات تحقيق مقاصده، وهو موضوع مهم يحتاج إلى دراية كافية بأساليب الإقناع وفنانيات التخييل، وقبل ذلك إحاطة بنوعية المنتج المراد الترويج له وطبيعة الجمهور المستهدف، والمقاصد المرجو تحقيقها من الإعلان.

وحتى نضع القارئ في الصورة، لا بد من إيراد النص التراثي النفيس الذي اعتمده الأستاذ، وبنى عليه تحليلاته واستنتاجاته. يقول القرطاجني: «وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة الواقعة في الشعر تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانيها، مناسبة لها في ما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمد، وكذلك الخطابة ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها، مؤكدة لمعانيها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمد. وينبغي ألا يستكثر في كلتا الصناعتين مما ليس أصيلاً فيها كالتخييل في الخطابة، والإقناع في الشعر، بل يؤثر في كليهما باليسير من ذلك على سبيل الإلماع»<sup>(1)</sup>.

يرتكز هذا النص البديع على فكرة جوهرية مفادها؛ أن نوعية الصناعة (شعر أو نثر)، والمقاصد التأوية وراءها، هي المحدد الأول لنوع المعجم المستخدم وأسلوب الكتابة الموظف؛ إقناعاً وتخيلاً، ومن ثمّة حُقّ للباحث مصلوح أن يستفيد منه في موضوع معاصر. وهو بذلك يدعّم مرجعيته التوفيقية بين التراث والمعاصرة، وقد رأينا سابقاً إفادته من الثانية في إضاءة الأول، وأمّا في هذا البحث فهو يضيء بالأول سبيل الثانية، إيماناً منه بأنّ «للبلاغة العربية القديمة قدرة متجددة على محاورة العلم في أطواره المتعاقبة، والإسهام الجاد في إضاءة

\* بدا لنا أنّ المقابل الأنسب لما يُطلق عليه سعد مصلوح "النصّ الإعلانيّ في الصحافة المعاصرة" هو "صناعة الإشهار"؛ هذا المجال الخصب من مجالات اللسانيات التطبيقية، وبالعودة إلى التراث نستحضر أول نصّ شعريّ إشهاريّ منسوب للدارمي، حينما استجد به بائع الخمر في الترويج لبضاعته. (قل للمليحة في الخمار الأسود... ماذا فعلت بناسك متعبّد)..

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها. (وقد ورد في المنهاج ص362).

المشكلات والظواهر وتتويرها؛ إذا ما كان لنا أن نستعير من حازم مصطلحيه الأثيرين في المنهاج (الإضاءة والتّوير)»<sup>(1)</sup>.

يشير سعد مصلوح إلى عدد من المحدّات التي ينبغي على منشئ الإعلان أن يستحضرها قبل الشّروع في صياغته إذا ما أردنا له النّجاح وتحقيق الآمال المعقودة عليه، ويجملها في: «نوع السلعة أو الخدمة التي يروّج لها النّصّ - نوع التّأثير المراد إحداثه في المتلقّي - الابتكارات والصّياغات المستخدمة في النّصوص الإعلانيّة المنافسة - صوّر الإعلان (شكله في الصّحيفة)»<sup>(2)</sup>. هذه المحدّات وغيرها كفيلة بتحديد الإستراتيجيّة المتّبعة في صناعة الإشهار للسلعة أو الخدمة المستهدفة، وليس الإقناع السبيل الوحيد لذلك كما يغلب على الظنّ.

يرى مصلوح بإلهام من البلاغيّ الفذّ حازم القرطاجيّ أنّ التّخييل شريك للإقناع في العمليّة، والمعايير سالفه الذّكر هي التي تحدّد مقدار ووزن كلّ طرف، «ولا بدّ للنّصّ الإعلانيّ النّاجح من المزوجة بين الضّربين على تفاوت في المقدار، وفي أنماط التّداخل بينهما، وفي توزيع المقنعات والمخيّلات داخل النّصّ في مظهره اللفظيّ، ويزيد النّصّ الإعلانيّ على ذلك توزيع التشكيلات البصريّة على مساحة الإعلان»<sup>(3)</sup>. واللافت في هذا هو "تفاوت المقدار"، بحيث لا ينبغي أن يكون ثمة تساوي بين الإقناع والتّخييل، ويضرب لذلك مثالا يكون فيه الإقناع هو الغالب، كأن يوجّه الإعلان للنّخبة والمختصّين لا عموم القراء، ويتضمّن إشهارا لنوع معيّن من الأدوية أو الأجهزة العلميّة والخدمات الطّبيّة والمصرفيّة، في حين يكون التّخييل هو الغالب عندما يكون الإعلان مخصّصا للسلع والخدمات الكماليّة والترفيهيّة، كالسيّارات والملابس والعطور، وبعض الأدوية ذات الطّبيعة الخاصّة، والأجهزة المنزليّة والعقّارات<sup>(4)</sup>.

ولا شكّ أنّنا بمثل هذه القراءة لمقولات التّراث، نكون قد بعثنا فيه الحياة من جديد، ولا يؤتى ذلك إلّا لمن أفنى حياته في تقليب صفحاته وإمعان النّظر في كتابات فطاحلته وعلمائه المخلصين للعربيّة.

1 - المرجع نفسه، ص 169.

2 - المرجع نفسه، ص 171.

3 - المرجع نفسه، ص 173.

4 - ينظر، المرجع نفسه، ص 174.

إنّ في هذا البحث بيان وإفصاح من الأستاذ سعد مصلوح على تعلّقه الشّدِيد وتمجيدِه الكبير للتراث اللّغويّ العربيّ، بما حواه من كنوز دفيئة تستحقّ الإحياء والاستثمار في المجالات المعاصرة، وتلك أعظم خدمة نقدّمها له، أمّا أن نظلّ حبيسي الماضي بترديد الأقوال والتّعني بها دون أن يكون لذلك الأثر البارز، فلا نظنّ عاقلاً يوافق هذا الصّنيع، وهذا الكلام المستنتج يوافق صريح قول الأستاذ: «والذي يهّمنا هنا هو الدّعوة إلى استحياء البلاغة العربيّة التّراثيّة، بتكليف مقولاتها وإعادة تعريف المصطلحات وإجراءات التّحليل، وتوظيفها لتشكّل ملامح بلاغة عربيّة تمتدّ بأعراقها في تربة التّراث البلاغيّ، وتكون قادرة على مقارنة ما هو جديد ومعاصر من ضروب القول ومناشط التّواصل والبيان»<sup>(1)</sup>.

إذن فهي دعوة لتعزيز أواصر العلاقة بين القديم والحديث، وفيها حتّ لجمهوره الباحثين على بعث الرّوح من جديد في نصوص السّكّاكي والقرطاجني وغيرهما، بإعمالها في ما يخدم الحاجة المعاصرة، أو قد يكون البعث في شكل قراءة جديدة تسلّط ضوء مقولات اللّسانيّات الحديثة بفروعها المختلفة على التّراث اللّغويّ العربيّ؛ البلاغيّ في هذا الإطار.

1 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

## 5- الأسلوبيات اللسانية(\*) بين المحافظة والانفتاح

من المجالات التي تفرّد سعد مصلوح بتتبّع حيثياتها والتنقيب في أعماقها والكشف عن فائدتها، ما يحبذ الاصطلاح عليه بـ "الأسلوبيات اللسانية"، والتي هي مرادف للمصطلح الشائع في الثقافة العربية؛ "الأسلوبية". كتب فيها عديد البحوث والدراسات؛ سواء العامة أم الخاصة؛ أمّا العامة فمن بينها: "هل ثمة آفاق للأسلوبية المعاصرة؟" (1994)، وأيضا بحثه؛ "بين الأسلوبيات المعاصرة والأسلوبيات العربية: أبعاد الفجوة وآفاق التجاوز" (2010)، وهما مضمّتان في كتابه؛ "في اللسانيات والنقد - أوراق بينية -". وأمّا الخاصة فتندرج ضمن فرع معيّن تميّز فيه الباحث وكان ميدانه المفضّل، ألا وهو "الأسلوبية الإحصائية"، وسيكون لنا فيها حديث لاحق.

وقد كان المبتغى من ولوج الباحث هذا الحقل العلميّ ماثلا في البحث عن مسوّغات عقلانية للأحكام الدوقية(\*)، ونظرا لاكتنازه مجموعة من الخصائص المائزة؛ كالدقّة والصرامة المنهجية المفضية لأحكام حاسمة، هذا ما جعله ميدانه الأثير لتحقيق المراد. وذهب بعض أهل النقد إلى «أنّ اتكائها على عكازتين من الدرس اللسانيّ والتّحليل الإحصائيّ لا يمكن أن يعجّل بدخولها فردوس العلوم المنضبطة، وهذا الكلام يبدو مقبول الظاهر، ولكنّه عند أهل التّحقيق موقوف الباطن»<sup>(1)</sup>. وسعد مصلوح أحد هؤلاء المحقّقين الذين توصلوا نظريًا وتطبيقيًا إلى أنّ الأسلوبية عموما والإحصائية على وجه خاصّ، أحد العلوم المنضبطة التي يُستعان بها في دراسة النصوص الأدبية وغير الأدبية دراسةً علميةً مستندة لأسس واضحة لا مجال فيها للدّوق والانطباع.

\* وسم سعد مصلوح أحد مباحثه بـ "الأسلوبيات بين الأدبية واللسانية: تقسيم لا يستقيم"؛ وفحوى ذلك - في نظره - أنّه حال إعمال مصطلح "الأسلوبيات" ينبغي أن يكون منصرف الحديث إلى "الأسلوبيات اللسانية" لا غير، وهي عبارة يقوم فيها المنوعت مقام النّعت بالاكْتفاء المستغني عن مزيد بيان. وسبق هذه الخلاصة توضيح للفرق بينهما عند القائلين به؛ فالأدبية تُعزى إليها ممارسة النقد الشكلي، لحفايتها البالغة بالتّحليل اللغوي للنصوص، ورائد هذا الاتجاه (ليو شبيترز) ذو المنزع النفسي الحدسي، وأمّا اللسانية فتعني إعمال مناهج اللسانيات في دراسة النصّ الأدبي. (ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص 194 إلى ص 197).

\* يسمّيها سعد مصلوح بصريح العبارة في إحدى المحاورات المرئية المطوّلة، ملخّصا بها مشروعه العلميّ: "استراتيجية البحث عن مسوّغات عقلانية للأحكام الدوقية". (ينظر، سعد مصلوح، سردية/ أ.د سعد عبد العزيز مصلوح، القناة: التّقافية،

<https://www.youtube.com/watch?v=CyuDjjbc7Lk&t=3086s>، 2025/03/12

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص 179.

وعلى غرار نهجه المتبع في التعامل مع علوم اللسان الأخرى، نجد الباحث حريصاً أشدّ الحرص على أن تكون علاقته بالأسلوبية ممتدة ومتصلة بقضايا لغته وثقافته ومعتقده، فلا يأخذ منها إلا ما يراه نافعا بحق، وهو مقتدٍ في ذلك بالأسلاف «حين لابسوا ثقافة اليونان، فكانت عيونهم على خاصّة معتقدهم ولغتهم وثقافتهم، فاستقاموا على الطّريقة، وكان أخذهم وودعهم كلاهما عن بيّنة. أمّا الخلف فقد عدّت أعينهم عن كلّ ذلك تريد زينة العصر، جاعلةً مستحدثات المذاهب كمستحدثات التّجميل وصيحات الأزياء مكانا سؤى. ونحن عسيّون إن فقهنّا مذهب السّلف أن نصلح آخر هذا الأمر بما صلح به أوّله»<sup>(1)</sup>.

ولا شكّ أنّ هذا النّصّ يبيّن عن التّعلّق الشّديد بمنهج اللّغويين الأوّلين في الكيفيّة التي تعاملوا بها مع علوم الغربيين، فهو لا يدعو إلى القطيعة الصّريحة معهم، ولا يدعو في الوقت نفسه إلى النّقل العشوائيّ عنهم، كما هو حال الكثير من المفتونين، ولكنه يريد أن تكون العلاقة وثيقة الصّلة بقضايانا، فلا نأخذ إلا ما ينفعنا ويخدم التّفكير اللّساني. ويتجلّى ذلك أكثر في قوله: «إنّ ذروة الأمر وسنامه هما: هل نحن بحاجة إلى الأسلوبية أم لا؟ والجواب بيّن، فإنّنا ما قضينا نحبّنا بعد من دراسة الخصائص الأسلوبية للّغتنا على ملّة "بالي" ومدرسته، ولا أدينا لأدبيّة النّصّ العربيّ قديمه وحديثه حقّها من الفحص الأسلوبيّ الرّصين على ملّة "جاكسون" ومدرسته، ولا نهذنا إلى استحياء تراثنا النّحويّ والبلاغيّ والنّقديّ وشروح الشّعْر لنحاور به عصرنا الذي نعيش فيه. إنّنا لم نفعل شيئاً من ذلك كلّ، أمّا هم فقد فعلوا»<sup>(2)</sup>.

وإن كان هذا القول يعود إلى أواخر الألفيّة الماضية، فإنّ ما أنجز بعده من بحوث في السّاحة العربيّة كثير، والملاحظ فيه ربط كلّ عبارة بين القضيّتين اللّغويّتين؛ العربيّة والغربيّة، وقد انصبّ تركيز الأستاذ مصلوح في دراساته ومثاقفاته على الوجهة الثّالثة؛ أيّ إنّ عمده إلى إحياء بعض المفاهيم التّراثيّة من طريق المحاورّة مع اللّسانيات الحديثة، دون إغفاله للجانب التّطبيقيّ.

وفي خضمّ دفاعه القويّ عن جدوى الأسلوبية والحاجة إليها في الثّقافة العربيّة، وكذا النهج الواجب اتّباعه، من منطلق أنّه أحد المؤسّسين، ينعقد بشدّة الوضع الرّاهن خلال العقد الأوّل من الألفيّة الثّالثة بالمقارنة مع البدايات التي أرساها ووضع لبناتها خلال الثّمانينات من القرن الماضي، «وكيف آلت الحال بهذه المسيرة من بدايات طموح، قام فيها نفر من رادة هذا

1 - المرجع نفسه، ص 181.

2 - المرجع نفسه، ص 181-182.

العلم (وهو أبرزهم) بضرب من الوساطة الواعية بين الثقافة العربية والدّرس الأسلوبية في ثقافات الغرب، إلى عجز مُصمّت لا تكاد تخالطه نامة مشعرة بحياة، أو كاشفة عن حقيقة وجود»<sup>(1)</sup>. وهذا التّوصيف الدّقيق للزّاهن العربيّ، إنّما غايته مواصلة المسيرة التي بدأها باعتماد ما يحدّد تسميته بـ "الوساطة الواعية"؛ أيّ توطين العلم عن بيّنة ودراية وفق "الصّيرورة المعرفية" التي تعني كما في قوله: «وصل حاضر الثقافة العربية بماضيها وصلا يضمن تحقيق الصّيرورة المعرفية، ويضمن للذّات العربية تحقيق شروط الأصالة والتّجدّد في آن»<sup>(2)</sup>. وهذا ما وجدناه سالكا إياه في بحوثه الدّاعية إلى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النّصّ، وتلك إشارة على أنّه نهج راسخ في عقيدة الباحث العلميّة.

إنّ الوجهة المعتدلة التي يقرّها سعد مصلوح تجاه الأسلوبيات المعاصرة تقع بين المحافظة والانفتاح كما سبق البيان، فهو يلوم المكتفين بالتّراث، كما يعاتب القائلين بالقطيعة، وهذا في سياق تبين ما من شأنه تصحيح الوضع وتعديل المنحى البحثي العربيّ، والحاصل أنّ ثمة «انفصال بين مَنْ يرون أنّ حيّاة التّراث والدّفاع عن الأصالة مُوجب لرفض كلّ جديد، (وأولئك هم الفُئع الغالبون في الاكتفاء بما بين أيديهم ممّن يرون أنّ القديم له السّبق في كلّ ميدان، وأنّ كلّ ما جاء به علماء الغرب، إنّما هو عربيّ المنبت والجدور، لبس أثوابا غير الأثواب، وسُمّي بأسماء غير الأسماء)، وبين المؤمنين بالانقطاع المعرفي بين البلاغة العربيّة والأسلوبيات المعاصرة، (وأولئك هم الدّاعون إلى القطيعة المعرفية والبدائية من الصّفر المنهجي)»<sup>(3)</sup>. وبمفهوم المخالفة؛ -وهذه العبارة ممّا يستخدمه مصلوح بكثرة في كتاباته-، نجد أنّ الباحث يدعو إلى الالتئام لا الانفصال، وإلى التّوافق لا التّنافر بين الفريقين، ومنه نستنتج أنّ البحث اللسانيّ العربيّ تتجاوزه ثلاثة فرق لا اثنين؛ فريق متمسك بالتّراث، وآخر بالمستجدّ، وثالث يمثله مصلوح باحث عن المفيد، وقائل بالتّواصل المعرفي بين الأوّل والثّاني.

والقول بالتّواصل يعني التّسلّح بالمعرفة التّراثية والغربيّة في آن، والجمع بين المحافظة على هويّتنا والانفتاح على الآخر، ولا شكّ أنّها مهمّة صعبة للغاية، ولأنّ نزعة المحافظة متأصلة في الأستاذ مصلوح، فهو يخشى التأثير السّلبّي للفلسفات الأجنبيّة، لذلك دائما ما يصرّح بأنّه يتحاشى استعارة الفلسفات الأجنبيّة، لكنّه لا يستتف من استعارة الأدوات؛ لأنّ

1 - المرجع نفسه، ص 187.

2 - المرجع نفسه، ص 191.

3 - المرجع نفسه، ص ص 220-221.

الأدوات لا جنس لها، مثل الإحصاء؛ فهو أداة غير متحيزة قابلة للاستعمال في أيّ لسان (...). وقد استهواه لأنه ليس مخصوصاً بلغة ولا بعلم ولا بفلسفة، وهو صالح في ما وُضِعَ له، وضابط مهمّ لقياس النسب بين المتغيّرات<sup>(1)</sup>. و(يتحاشى) توحى بأنه من الممكن أن يستعيرها أحياناً، لكن الأولى اجتنابها خوفاً على معتقداتنا، والتّوصّل عبرها إلى نتائج منافية لهويّتنا الإسلاميّة العربيّة، وبخاصّة عندما يتعلّق الأمر بالتّطبيق على القرآن الكريم، فهنا يصير حكم الاجتناب على الوجوب لا الإباحة؛ فعلى سبيل المثال يشير إلى أنّ تطبيق منهج الاستعارة المعرفيّة في القرآن خطر، وإذا طُبّق لا بدّ أن يحاط بكثير من الحذر حتّى لا نقع في المحذور، وكذلك الحال في التّعامل مع الفلسفات الأجنبيّة كالبنويّة والتّفكيكيّة والمعرفيّة<sup>(2)</sup>..

ومن تجليات المحافظة التي يلحظها المتابع للباحث؛ أنّه كثيراً ما يردّد ويكرّر "ثقافة الأمة" ويجعلها بؤرة حديثه، ومن ذلك على سبيل المثال قوله: «وإنّ القارئ لو وجد إياها أزواجاً ثلاثة؛ فمنها ما صدق فيه كاتبه نفسه وثقافة أمته وأمانة العلم التي نيطت به، وهو قليل»<sup>(3)</sup>. وكذلك قوله: «والذي يحمل بكده وحده على ثقافة أمته همّا شريفاً؛ هو فتح النّوافذ لاستقبال الطّيب والرّخاء من ريح المعرفة، واستنبات الصّالح من بذورها في تربة الثّقافة الوطنيّة، مع ما يستلزمه ذلك من رعاية وسقيا، وما يلزم عنه من اجتناء لليانع من الثّمرات»<sup>(4)</sup>. والتّكرار يفيد الحرص، والحرص دليل على التّعلّق بالشّيء، ومنه نقول: إنّ لنزعة المحافظة حضوراً قوياً في ذهن مصلوح لا يتردّد في إبدائه والترغيب فيه.

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، الأسلوبية الإحصائية وتطبيقاتها، دار المخطوطات-إستانبول، القناة: مختارات، 2023/07/30،

<https://www.youtube.com/watch?v=FUYL4FSMvwo&t=3047s>

<sup>2</sup> - ينظر، سعد مصلوح، تنبيهات أسلوبية ومعرفية مهمة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2024/09/25،

[https://www.youtube.com/watch?v=ZFHix\\_Zki7s](https://www.youtube.com/watch?v=ZFHix_Zki7s)

<sup>3</sup> - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص 222.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 224.

## 5-1 الوسيط المعرفي الأسلوبي؛ متابعة وتقويم

كما هو دأب سعد مصلوح في مختلف كتاباته، لا يتخلف أبداً عن تقويم الوضع وإبداء ملاحظاته بخصوص الموجود، ومراجعة ما أمكن مراجعته وتوجيهه، حتى يتحقق المرغوب وينتقل بالدرس اللساني العربي حيث مرفأ الجودة وموطن الدقة والسلامة. وإن لم يُشر في كثير من بحوثه العامة إلى مؤلف بعينه، ولم يُفرد مبحثاً مستقلاً يتطرق فيه إلى المبادئ الواجب اتّباعها، فإنّ اللبيب يستنبط ذلك في ضوء مفهوم المخالفة من خلال رصده للمسيرة وما يكتنفها من اختلالات.

ولتبيين ذلك، نورد نصّاً نفيساً أورده الباحث، مشخّصاً به حالة غير مرغوب فيها، رغبةً في حالة أفضل لما يُسمّى بالوسيط المعرفي. يقول: «فليس حقيقاً بالزيادة من ينقطع عن قضايا لغته وتراثه، حتى لكانّه يحرق من ورائه سفائن "طارق". وليس حقيقاً بها من يرى في الإغراب على القراء بالمصطلح الأجنبي والتترس بأعلام الفرنجة ميزة يتمزى بها على بني ثقافته، ووزراً يحتمي به من مواجهة النصوص. ومن يتصدى للترجمة ونقل الفكر عن مصادر الأسلوبية في الغرب دون أن تستحكم أدواته اللغوية والمفهومية، فيخرج على الناس بمعمّيات أ جاءت الكثيرين منه إلى أطراح أمر الجديد بالكلية. ودعك من كثرة كاثرة لا ترى منهم إلا كلّ هجوم على ما لا يُحسن، يحتاز لنفسه أخطر العنوانات فيورد تحتها أهون الكلام طلباً للمثالة بين الناس، وبداراً أن يعالجها العارفون المتلبّثون»<sup>(1)</sup>. ولا بأس أن نستخلص في ضوء هذا النصّ ما يجب أن يتمتّع به الوسيط قبل خوض تجربة الوساطة:

\* ربط الاهتمام بقضايا العربية والتراث والإشكالات المنوطة بهما.

\* الترجمة الدقيقة للمصطلحات وفاءً للعربية.

\* التمكن من ناصية اللغة والمعرفة في مصدرهما قبل مباشرة الوساطة.

\* إضفاء الصبغة التعليمية على المعرفة الموطنة.

\* مناسبة العناوين للمضامين، والتدرّج في تناول المواضيع بحسب الكفاءة العلمية.

وبالإضافة إلى ذلك، ثمة نصّ آخر في هذا الإطار، يحيلنا على مبادئ أخرى حقيق بنا استحضارها في البيئة العربية. يقول: «وهنا يستيقظ نظرنا في السياق العلمي العربي ما نلحظه من انقطاع بين الاختصاصات، وتدابير بين المناهج والاتجاهات، وتقارس بين أهل العلم يغيب

1 - المرجع نفسه، ص 183.

به مفهوم الفريق البحثي بما يذهب بكل منفعة (...). ومن بدهيات المعرفة أنّ العلم إنّما يزكو بالحوار والخلاف بأكثر ممّا يزكو بالمطابقة والاتباع. وفي هذا يكمن أحد أسرار الإنجاز العظيم الذي تحقّق للأسلوبيات وغيرها من مجالات الاختصاص اللساني في الغرب»<sup>(1)</sup>. بالتالي فإنّ المبادئ التي تضاف لما سبقها تكون كالآتي:

\* الاشتغال العلمي في ضوء مفهوم البيئية؛ خدمة للبحث وتقريباً بين التخصصات.

\* الانخراط ضمن الفرق البحثية؛ ربحاً للوقت والجهد وتكريساً لروح الجماعة.

\* النظر الإيجابي للمراجعات النقدية الصادرة عن أهل التخصص، وتفعيلها بما يخدم العلم.

وإن كان النصّ الأول الذي أوردناه يتناول ما يمكن تسميته "الوساطة الخارجية"؛ أيّ نقل المعرفة الأسلوبية من موطنها الأجنبيّ إلى الثقافة العربية، وقد بيّنا أنّ ذلك يستوجب التمكن الجيد من اللغة والمعرفة في مصدرهما قبل مباشرة الوساطة، فإنّ ثمة ما بالإمكان تسميته "الوساطة الداخلية"، وهو ما فهمناه ضمناً من النصّ الثاني، وبوجه أخصّ من النصّ الثالث الذي يقول فيه مصلوح: «إنّ بحثاً أسلوبياً لا ينبغي على معرفة تخصصية معمّقة بمدارس البحث اللساني وطرزه وتقنيات تحليله الصوتية والصرفية والتركيبيّة والدلالية، ويقنع من ذلك كلّه بالنزّر والكفاف ومشهورات المسائل، هو بحث حامل في باطنه جرثومة فساد وأمارة زيفه. ولست أرى بأساً على طالب علم في الاستعانة بالعارف المختصّ في اللسانيات أو الإحصاء أو علم النفس أو ما شئت من فروع العلم»<sup>(2)</sup>.

وهي تعني -حسب قراءتنا لها-؛ أن يتولّى باحث معيّن تبسيط العلم وتقريب مفاهيمه من خلال المؤلفات المترجمة، أو أن يكون توجّهه تطبيقياً باستثمار الأدوات اللازمة لذلك، وهذا الصنف الذي يعنيه مصلوح بنصّه؛ إذ يجب على الممارس أو الدارس أن يحمل في جعبته ذخيرة لسانية معمّقة ومتنوّعة، توصل إلى تحليل صائب ودقيق، مع الاستعانة بالباحثين في فروع العلوم الإنسانية الخادمة للموضوع قيد الدراسة، وهو ما ينضوي تحت مفهوم "البيئية" التي رصدناها كمبدأ مهمّ من المبادئ الواجب توفّرها في عملية الوساطة.

1 - المرجع نفسه، ص ص 215-216.

2 - المرجع نفسه، ص 222.

## 5-2 شواغل الأسلوبية؛ من النص الأدبي إلى قضايا حية

قد يتصور البعض أنّ الأسلوبية تقتصر فقط على دراسة النصوص الأدبية، والحق أنّ ذلك أحد اهتماماتها الرئيسية، ومع تطورها وتسارع الأبحاث فيها، وبخاصة في البلاد الغربية، أصبح للأسلوبية حضور فعال ومؤثر في معالجة قضايا حية وحساسة ترتبط بواقع الناس المعيش، وهو ما أشار إليه سعد مصلوح سواءً في دراساته أو محاضراته المرئية، ففي إحدى دراساته على سبيل المثال يعرّف بأهمّ فروعها في نظره؛ ألا وهو "الأسلوبية القضائية" أو "الجنائية" forensic stylistics، «وإغاية هذا الفرع هي التأسيس العلمي والممارسة العملية لفحص ما يخلّفه مرتكبو الجرائم وراءهم من آثار مكتوبة أو منطوقة بإعمال إجراءات التحليل اللساني ووسائله للكشف عن حقيقة عزوها إليهم، ومدى صحة ثبوتها في حقهم، وينضاف إلى ذلك فحص الوثائق والوصايا وما إلى ذلك ممّا يطلب فيه شهادة العلم (...). ويتصل بسبب من ذلك قضايا الانتحال plagiarism للعلامات التجارية وبرامج الحاسوب وانتهاك حقوق الملكية الفكرية الدولية International Property Rights»<sup>(1)</sup>.

والحق أنّها مجالات تطبيقية مغرية، وجدير بالأسلوبية الانفتاح عليها والتعلّق بها إذا ما أرادت إثبات ذاتها، ولا يعني ذلك انصرافها عن دراسة النصوص الأدبية على اختلاف أجناسها. ومما يبدو لنا في تلك القضايا أنّه على الرّغم من الأهمية الكبرى التي تضطلع بها الأسلوبية، لكن تبقى في رأينا قرينة واحدة من قرائن كشف الأسرار وتبيين الحقائق، وليست هي المكوّن الوحيد، فلا بدّ من الاشتغال وفق المنظور البياني كما هي عقيدة مصلوح الراسخة، من خلال تضافر وتعالق وتآزر علوم شتى للوصول إلى نتائج دقيقة وحاسمة، لعلّ أهمّها؛ علم الأدلة الجنائية، علم الأصوات الجنائي<sup>(\*)</sup>، المعلوماتية، علوم الإعلام والاتصال، العلوم القانونية، الفيزياء.. مع الاستعانة في ذلك بأجهزة حديثة ومتطورة تيسر العملية.

1 - المرجع نفسه، ص ص 203-204.

\* صدر مؤخراً (2024) عن دار "أمّ الدنيا" بمصر، كتيب مهمّ يتشكّل من اثنتين وتسعين (92) صفحة، تحت هذا العنوان: "علم الأصوات الجنائي والتحليل الآلي للبصمة الصوتية" للمؤلف: صفوت علي صالح. وقد جاء على غلافه ما يأتي: "هذا الكتاب يقدّم دراسة تطبيقية لحجية الدليل الصوتي في التحقيق الجنائي والإثبات القضائي، وتقييم مدى دقة نتائج التطبيقات الحاسوبية وحجيتها في التّحقّق من تفرّد البصمات الصوتية بما يفيد في المجالات التطبيقية المختلفة، ومنها التّحقيقات الجنائية والتّعرّف على هوية المتحدّث باستخدام أحدث التطبيقات الحاسوبية (برنامج Praat). كما يقترح آلية رقمية لتنميط البصمات الصوتية لاختزانها في بنك إلكتروني للبصمات في صورة باركود. يسهّل استرجاعه ومضاهاته بعينات جديدة في حالات

وبتتبع محاوراته المرئية، وتحديدًا عندما يُسأل عن تطبيقات أخرى للأسلوبية خارج إطار النص الأدبي، نجد المجالات ذاتها التي أتى على ذكرها في النص السابق بيانه. ففي إحدى مرئياته مثلاً، وبعد التعريف بالأسلوبية كونها منهجية لكشف الخصائص المميزة لأي منجز بشري، وأهمية انفتاحها على العلوم الجنائية، يوب هذا الموضوع تحت عنوان؛ "دور الأسلوبية في قاعات المحاكم"، ويقسمها إلى شقين؛ "لغوي" مثل: فحص صحة الوصية، فحص نسبة رسالة تهديد إلى شخص ما، و"غير لغوي" مثل: كشف سرقة العلامات التجارية<sup>(1)</sup>. ولكن تبقى هذه المجالات الخصبة والجديرة بالبحث حبراً على ورق ما لم تعرف سبيلها إلى الممارسة التطبيقية خصوصاً في الوطن العربي، إدراكاً منا لصعوبتها وأنها بحاجة لمنظومة معرفية متكاملة، وقبل ذلك ترسيخاً للوعي بأهمية الدراسة اللغوية لدى القائمين على الشأن العام، وأن الأسلوبية بمنظومتها التحليلية مكون مهم وضروري في مثل تلك القضايا، وكفى بالباحث شرفاً أن يفرض نفسه بتطبيق ناجح ومساهمة فعالة تعيد الاعتبار للعلوم اللغوية وفعاليتها في صناعة الواقع والتأثير فيه.

ولأن سعد مصلوح مدرك أن فاعلية الأسلوبية تكون خارج النص الأدبي أكثر مما تكون داخله، على الرغم من كونه أحد المشتغلين فيه بتطبيق المقاييس الإحصائية الغربية، ذلك ما جعله ينبه في أكثر من سياق إلى جدوى الانفتاح على قضايا واقعية، وإلى «بعد ما بين هذه الأضرب من الممارسة التحليلية الأسلوبية ومعالجة النص الأدبي بخصوصه من حيث بنيته وجمالياته ووظائفه الثقافية والاجتماعية. وإذ تستمد الأسلوبيات مشروعيتها العلمية - في هذا السياق - لا من عكوفها على نص أدبي، بل من التوسع في شواغلها، وإرهاق أدواتها ووسائلها لتلائم بها ما تنتصب لتحليله من مادة منطوقة أو مكتوبة، بعد أن وجدت لها صوتاً مسموعاً في قضايا مشهورة شهدتها قاعات المحاكم الأوروبية عامّة والأمريكية خاصة»<sup>(2)</sup>. وكما نحن بحاجة إلى أن نبلغ هذه المرتبة من الوعي ونجد هذا الأثر في البيئة العربية! فإن حصل ذلك،

الاشتباه والتحقق. ولأن موضوع هذا البحث موضوع بيني، فقد تطرق إلى عدد من المفاهيم اللغوية والقانونية والفيزيائية والتكنولوجية، وعدد من القضايا النظرية والتطبيقية والأفكار البحثية والمشاريع المستقبلية.

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، حوار مفتوح حول قضايا لسانية متنوعة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 24 سبتمبر 2024،

<https://2u.pw/Fa32qNL5>

<sup>2</sup> - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص 204.

سيكون تنفيذًا لدعوة الأستاذ مصلوح - وغيره من الباحثين - إلى الانفتاح على الواقع، وحضه على الاستفادة من تعالق العلوم، وخير دليل ما ساقه من أمثلة(\*) حية ناجحة في غير بيئتنا.

### 3-5 الأسلوبية الإحصائية؛ البديل الموضوعي لفحص النصّ

#### 1-3-5 الوفاء بالغاية التعليمية

تعدّ الأسلوبية الإحصائية - كما تقدّم بيانها - إحدى فروع الأسلوبيات اللسانية التي تفرّد سعد مصلوح بطرقها في الثقافة العربية ولم يسبقه إليها أحد، وتتدرج تحت مظلة أوسع هي الأسلوبية الكميّة، وقد بدأ نشاطه فيها خلال فترة تواجده بجامعة الملك عبد العزيز في السعودية<sup>(1)</sup>، ومن أشهر مؤلفاته فيها وأولها؛ "الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية- (1980)". هذا الكتاب الذي زوج فيه بين التنظير والتطبيق، جعله أداة طيعة في متناول القارئ العربيّ الرّاغب في استكشاف المعرفة الأسلوبية الإحصائية، وكان هدفه بحسب ما أورده في فاتحته؛ «أن يجنب الباحثين اللغويين كثيرا من العقبات التي تعوق طريقهم، وتصدهم عن معالجة لغة الأدب وفق منهج علمي منضبط، وأن يدعو دارسي الأدب الخُص إلى الاطلاع على الأفكار السائدة الآن في مجال دراسة الأسلوب، واختبار هذا النهج، والاستفادة منه في مجالات بحثهم»<sup>(2)</sup>.

ونظرا لأهميّة الكتاب آنذاك ومركزيته في المجال، فقد حاول سعد مصلوح أن يخالف ما دأبت عليه المؤلفات التمهيدية في تقديم المعرفة وتوطينها، حيث لم يكن متبعا سبيل التأصيل والوصل بين الموروث والمستفاد كما هو حاله في كثير من الأعمال العلمية الأخرى، ولا مقدّما للعلم على هيئة مصطلحات ومفاهيم ومبادئ ميسرة، والسبب في ذلك أنه «ما إن انفتح باب القول حتّى وجد كثيرا من الباحثين، ومنهم أئمة الصّناعة يتخالجهم الشكّ إلى الإنكار، ثمّ من الإنكار إلى صريح النّقد والمناقضة. ولم يكن بُدّ من أن ينحو في عمله نحو عمليّ، غايته التقريب والحضّ وضرب المثال وتطويع المقاييس الإحصائية الأسلوبية لرسوم العربية وقوانين

\* يستدلّ في هذا السياق بقضيتين وُظفت فيهما الأسلوبيات القضائية؛ قضية جون بنيت رامسي John Benét Ramsy، وهي فتاة في السادسة من عمرها، وُجدت ميّنة بمنزلها في السادس والعشرين من ديسمبر 1996، وُجد في المنزل مع جنتها رسالة مكتوبة بطاب الفدية. وقضية وصية مزوّرة حول ميراث امرأة تدعى فيوليت حسين Violet Houssien. (ينظر إلى الهامش، المرجع نفسه، الصّفحة نفسها).

1 - ينظر، سعد مصلوح، سردية/ أ. د سعد عبد العزيز مصلوح، القناة: الثقافية، 2025/03/12، <https://www.youtube.com/watch?v=CyuDjjbc7Lk&t=3086s>

2 - سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-، ص22.

بنيتها، وسوق نماذج تطبيقية تتحقق بها مباشرة النص كفاحا بلا إحالة ولا عنعنة»<sup>(1)</sup>. وفي ضوء ذلك نكتسب قاعدة تعليمية مهمة؛ وهي أن نجعل المتلقي نصب أعيننا، ونراعيه حق المراعاة بخطابنا، ولا يكون ذلك إلا بمسح شامل لمجال التخصص، وتدقيق النظر في الكيفية السليمة التي يتحقق بها الهدف، وليس شرطاً موافقة الطرائق التعليمية السائدة، ولكن طبيعة المادة والمتلقي هما الكفيلان بتحديد نوعية المنتج وطريقة العرض.

إن مخالفة مصلوح لغيره كانت وفق رؤية استشرافية وقراءة لواقع التأليف ومراعاة لعقول المتلقين، ولم تكن مخالفة من أجل المخالفة، بل إضافة الجهد إلى الجهد، كما هو صريح قوله: «وهكذا اكتسبت الوساطة في أولياتها طابعاً تعليمياً ظاهراً، خالفتُ به عن السنن الشائع وقتئذٍ بين كرام الأساتذة من رفاق هذا الدرب؛ إذ كان همُّ أكثرهم التعريف بالعلم وأعلامه وتاريخه وتقديم المفاهيم النظرية والمنظومات المصطلحية. ولم تكن مخالفتي عن صنيعهم إلا إيثاراً مني لسبيل إضافة الجهد إلى الجهد، وتحقيق التكامل بين الأدوار (...). والوفاء بالمتطلب البيداغوجي يوجب أن تكون عين الوساطة على القارئ المتلقي، وإمكاناته واستجاباته المتوقعة؛ إيلافاً لعقله، واستقزازاً لملكاته في آن. وقد اقتضى ذلك جهداً غير قليل من الشرح والتبسيط واعتماد الوسائل الموضحة»<sup>(2)</sup>.

وهنا تبرز لنا ملاحظة جديرة بلفت النظر، وهي أن مصلوح في بحوث كثيرة يعمد إلى المخالفة من طريق المراجعة والنقد وتبيان النقائص وسد الثغرات في أعمال غيره<sup>(\*)</sup>، على عكس صنيعه هذا الذي أراده أن يكون جهداً مضافاً لغيره ضمن ما يعرف بمبدأ التراكم العلمي. كما أن الجهد يجب أن يُصرف بطريقة منظمة وأسلوب واضح مدعم بما يسهل الفهم ويزيد الإقبال.

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص ص 224-225.

2 - المرجع نفسه، ص 225.

\* ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر إلى بحثه: "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب - ردّ على صلاح فضل-، وأيضا بحثه: "في مسألة البديل لعروض الخليل - دفاع عن قائل -"، وكذلك بحثه: "المذهب النحوي عند تمام حسان - من نحو الجملة إلى نحو النص -".

### 5-3-2 من ذاتية التذوق إلى صرامة المنهج

يشكل هذا التوجه غاية الغايات لدى سعد مصلوح، وهو سبب إقباله على الأسلوبية الإحصائية تنظيراً وتطبيقاً. ولما كان النقد الأدبي للنصوص العربية يسير في اتجاه معاكس للنقد اللساني، أراد مصلوح أن يضبطه ويوجه مسيرهما إلى اتجاه واحد، يسترشد فيه الأول بالثاني. وهو ما سعى لأجله في كتابه "الأسلوب(\*)" الذي عمل فيه «على إرساء منهج لغوي في نقد الأدب العربي يكون فيه النصّ the Text والخطاب الأدبيّ the discourse أولاً وقبل كلّ شيء هو موضوع الدراسة، ويكون منهج الدراسة فيه لغويًا Linguistic بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح»<sup>(1)</sup>.

كما يتجلى ذلك في قوله: «ومن منطلق الحاجة إلى الكشف عن الخصائص الأسلوبية في النصّ الأدبيّ بمقاييس موضوعية منضبطة، كانت المحاولة التي تقدّمها في هذا الكتاب»<sup>(2)</sup>. إذن فهو لا يتصور وجود نقد للغة الأدب دون منهج لسانيّ محدّد ومؤسّس وفق قواعد واضحة، هذا المنهج ماثل في الأسلوبية الإحصائية؛ أيّ التحليل الإحصائيّ للنصوص أو ما يسمّيه "القياس الكميّ" Quantitive measurment، وبالإمكان حصر منهجه - كما يرى أحد الباحثين - في:

«- ضبط المقاييس الأسلوبية التي جرى إعمالها في النصوص، وتعيين مصادرها، وتطويعها للنصّ الإبداعيّ العربيّ.

- استثمار المعالجة الإحصائية في تشخيص الأساليب»<sup>(3)</sup>.

وقد جرى العرف وسط النقاد على تمييز الأساليب من خلال الحسّ الأدبيّ، أو إن شئت قلّ بالذائقة الأدبية، بيد أنّ مصلوح كان له رأي آخر، فعمل على ضبط العملية وتخليصها من الآراء الدوقية. ولأنّ النصّ يحوي مجموعة من السمات الدالة؛ مثل «استخدام وحدات معجمية معينة Lexemes، الزيادة أو النقص النسبيّان في استخدام صيغ معينة أو نوع معين من

\* يمكن تعريف الأسلوب بأنه "اختيار Choice أو انتقاء Selection يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين. ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة. ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين" (سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-، ص ص 37-38).

1 - المرجع نفسه، ص 29.

2 - المرجع نفسه، ص 36.

3 - رامي علي أبو عايشة، اتجاهات الدرس الأسلوبي في مجلة فصول (1980-2005)، ص 166.

الكلمات (صفات، أفعال، ظروف، حروف جرّ..)، طول الكلمات المستخدمة أو قصرها، طول الجمل، نوع الجمل، إيثار تراكيب أو مجازات واستعارات معيّنة. هذه السمات اللغوية حين تحظى بنسب عالية من التكرار، وحين ترتبط بسياقات معيّنة على نحو له دلالاته تصبح خواصّ أسلوبية stylistic markers تظهر في النصوص بنسب Ratios وكثافة Density وتوزيعات Distributions مختلفة<sup>(1)</sup>. والقياس الكميّ كمعيار موضوعيّ دقيق جدير بهذه المهمة.

ومن المقاييس الغربية التي طوّعها مصلوح للنصّ العربيّ في كتابه هذا ضمن الجزء التطبيقيّ؛ مقياس العالم الألمانيّ "بوزيمان" (Busemann)<sup>(\*)</sup>؛ ويقوم على قياس النسبة بين الأفعال والصفات لتشخيص الأساليب، ويرمز لها ب (ن ف ص)، وهي «تستخدم في فرضية بوزيمان مؤشراً لقياس مدى انفعالية أو عقلانية اللغة المستخدمة في النصوص، ومن ثمّ استخدمت مقياساً لتشخيص الأسلوب الأدبيّ»<sup>(2)</sup>.

ولأنّ الأستاذ سعد دائماً ما يحبّذ دراسة المقالات الواردة في الصحافة المعاصرة من زوايا شتى، وهو ما ننمّنه ونعدّه ميزة يختصّ بها الباحث، بالتالي إرتأينا أن نضرب لذلك مثالا من هذا الجانب. يقول: «والفرضية التي تبدو لي صحيحة في هذا المجال؛ أنّ لغة الصحافة اليوم تتميز باتجاه واضح نحو زيادة استعمال الصفات على الأفعال، وهي تتميز بالتالي بانخفاض قيمة ن ف ص إذا ما قورنت بصحافة الأمس (...). وقد قمنا بحساب قيمة ن ف ص في أخبار الصفحة الأولى من جريدة "النّودة" (ن ف ص = 0.7)، وجريدة "الشرق الأوسط" (ن ف ص = 0.7)، وكذا مقال المحرّر في "النّودة" (ن ف ص = 0.6)، ومقال المحرّر في "الشرق الأوسط" (ن ف ص = 0.8). وتوصّل إلى ملاحظتين: انخفاض قيمة ن ف ص في الأسلوب الصحفيّ بالنسبة لغيره من الأساليب الأدبية، وتجانس الأسلوب الصحفيّ في الصحف السعودية وربّما العربية من حيث هذه الخاصية»<sup>(3)</sup>. فيما أرجأ دراسة تطوّر الأسلوب الصحفيّ

1 - ينظر، سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-، ص ص 33-34.

\* ينبغي الإشارة إلى أنّ "فرضية بوزيمان لم تكن في نشأتها الأولى فرضية لسانية أو أسلوبية، بل هي فرضية سيكولوجية، توصل إليها هذا العالم بملاحظة السلوك اللغوي عند الأطفال، واختلاف خصائصه بتقديم أعمارهم؛ أي باتجاههم من الانفعالية إلى العقلانية، وبنمو قدراتهم المفكرة. وبوزيمان نفسه هو عالم نفس قبل أن يكون لسانياً". (سعد مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف -، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2010، ص ص 186-187).

2 - سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-، ص ص 79-80.

3 - ينظر، المرجع نفسه، ص ص 91-92.

تاريخياً إلى فرصة أخرى، وكان الأولى إتيانه، حتى يبرهن على فرضيته، ولا يخالف منهجه في الدعوة إلى عقلنة التدوّق.

أمّا المقياس الآخر المشار إليه ضمن الكتاب، وقد سلكه في أحد أبحاثه التطبيقية المحضّة، فيعود إلى العالم الإنجليزي "يول" (Yule)، وأراد من خلاله دراسة الثابت والمنسوب من شعر شوقي، وردّا في الوقت نفسه على دراستين اعتمدتا الانطباع الدوقي؛ الأولى "الشوقيات المجهولة" لمحمد صبري، والثانية "الإنسان روح لا جسد" لرؤوف عبيد. وكان بحثه موسوماً بـ "تحقيق نسبة النصّ إلى المؤلف - دراسة أسلوبية إحصائية في الثابت والمنسوب من شعر شوقي" (\*). وضمّنه فيما بعد كتابه؛ "في النصّ الأدبي - دراسة أسلوبية إحصائية -" (1991). ويُجأ إلى هذا المقياس «عندما تنعدم الشواهد التاريخية أو الوثائقية النصّية التي يمكن الاعتماد عليها لترجيح قول على قول. حينئذ يكون القياس الكميّ لسمات معيّنة في نصوص مقطوع بنسبتها إلى مؤلفيها، ومقارنة نتائج القياس بما يتمخض عنه قياس السمات نفسها في النصّ مجهول المؤلف أو المشكوك في نسبته إلى مؤلفه، أساساً طيباً لحلّ مثل هذه المشكلات»<sup>(1)</sup>. ولا شك أنّ هذا المعيار الموضوعي المفضي لحلّ مشكلات تتعلق بنسبة النصوص، من فوائد اتّصالنا بالدرس الغربيّ، وتحديدًا بالأسلوبيات الإحصائية، لكن يبقى الإشكال في إخضاع العربية لهذه المقاييس، فهو مرهون بإجادة الباحث وتمكّنه من ذلك.

ومن الفوائد الأخرى للمعالجة الإحصائية التي يوردها سعد مصلوح للترغيب في هذا الميدان، والتّحسيس بأنّه يسهم في تدقيق الكثير من القضايا اللغوية؛ «تمييز الأساليب وتشخيصها على فرض تعاصر هذه الأساليب، وهي ما يسمّى بالدراسة السنكرونية Synchronic Study، كما أنّ استخدامها في تمييز التطور التاريخي للأساليب ليس بأقلّ جدوى، ويسمّى هذا النوع من الدراسة بالدراسة الدياكرونية Diachronic Study (...) وهذا المنهج الأخير جدير بأن يحتلّ في تاريخ الأدب مكانة خاصّة، ونحن نرى فيه بديلاً موضوعياً

\* ينظر إلى البحث في الشابكة ضمن مجلة "فصول"، أو ضمن كتاب "في النصّ الأدبي": سعد مصلوح، تحقيق نسبة النصّ إلى المؤلف - دراسة أسلوبية إحصائية في الثابت والمنسوب من شعر شوقي -، مجلة فصول، مصر، مج3، ع1، 1982، ص122 إلى ص140.

ومن البحوث الأخرى التي تصدّت لذات الغرض؛ إلهام عبد الوهاب المفتي، تحقيق التراث والأسلوبيات الإحصائية - دراسة تطبيقية في ديوان أبي تمام -، مجلة معهد المخطوطات العربية، مصر، مج46، ع2، نوفمبر 2002، ص87 إلى ص138.

1 - سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية -، ص63.

لما جرى عليه العرف السائد في التأريخ للأدب العربي؛ إذ يتم تقسيم مراحلها إلى فترات زمنية تتحدّد بقيام الدّول أو سقوطها، وأحياناً ينقسم باعتبار المكان»<sup>(1)</sup>.

وإن كانت الفائدة الأولى والثانية متعلّقتين بالفصل في أحكام خارج اللّغة، فثمّة فائدة أخرى نجنيها من دراسة اللّغة للبتّ في قضية اللّغة ذاتها، وهو المشهور في الأسلوبية، وتتمثّل في «نقد الأسلوب بتمييز خصائصه؛ كالتنوّع أو الرّتابة، والسّهولة أو الصّعوبة، والطّرافة أو الإملال، ذلك لأنّ هذه الأحكام الذاتيّة التي يصدرها القراء وطائفة من النّقاد الذين يحتكمون إلى أدواقهم، ترتبط بوجود منبّهات هي في معظم الأحيان سمات لغويّة معيّنة ترد في النصوص بتكرار معيّن ونسب وكثافات وتنويعات معيّنة. وحين يتمكّن الباحث من الرّبط بين مؤشّر إحصائيّ ما وبعض هذه الأحكام الذاتيّة، فإنّ أهميّة هذا الكشف تتجاوز مجرد تشخيص الأسلوب إلى مجالات كثيرة ذات أهميّة في نقد الأدب»<sup>(2)</sup>.

وهذه الفائدة على الرّغم من تأخيرنا لها في التّرتيب، فهي تمثّل مرتكزا رئيسا في مشروع مصلوح الدّاعي إلى التّأني عن الأحكام الدّوقيّة وإن كانت صائبة أحيانا، ولا نقول تعويضها ولكن تدعيمها وشدها بعلم الإحصاء وما يتضمّنه من مقاييس ومعاملات تطبع الأحكام بصبغة علميّة. واختصارا نجمل الفوائد الواردة في ما يلي:

- التّحقّق من نسبة النّصوص إلى أصحابها في ضوء مقياس "يول".
- التّأريخ للعصور الأدبيّة في ضوء الأسلوبية التّعاقيبيّة (الحركيّة).
- التّمييز بين أنواع النّصوص (علميّة، أدبيّة..) في ضوء مقياس "بوزيمان"، وعقلنة نقد اللّغة الموظّفة (الأسلوب) من خلال القياس الكميّ.

يدخل ما سبق في إطار حصّ مصلوح على الأسلوبيات الإحصائيّة ردّا على المشكّكين في جدواها، خاصّة ونحن نعلم ذلك الصّراع الذي نشب في بداياتها في السّياق الغربيّ بين فريق النّقاد واللّسانيين، «وكان فارسا الحلبة "فردريك ويلز باتسون" F. W. Batson، وروجر فاوُلر (\*) Roger Fawler. وفي هذا الجدل بلغت حدّة الصّراع مداها في قولّة باتسون: "إنّ اللّسانيين من الغفلة بحيث لا يصلحون أن يكونوا نقّادًا". وكان هذا القول عبارة صريحة عن

1 - المرجع نفسه، ص ص 61-62.

2 - المرجع نفسه، ص 62.

\* له كتاب مشهور تحت عنوان (Linguistic Criticism) "النقد اللساني" (1996)، نُشر مترجما إلى العربيّة سنة 2012. (ينظر، روجر فاوُلر، النقد اللساني، تر: عفاف البطاينة، المنظمة العربيّة للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، نوفمبر 2012).

تتازع الاختصاص بين الفريقين على دراسة النص الأدبي. واعتصم فريق من النقاد حيناً من الدهر بموقف المناقضة للنقد اللساني، وتجلياته الأسلوبية خاصة، أو التهوين من شأنها<sup>(1)</sup>. لكن سرعان ما أفل الصراع، وأثبتت اللسانيات عامة والأسلوبيات خاصة مكانتها في تحليل النص الأدبي ونقده. ومن الثابت أن «النقد الأدبي منذ كان، هو أكثر الاختصاصات الإنسانية لياداً بغيره من العلوم، واتكأ على مقولاتها، واستعارة لمناهجها وإجراءاتها؛ وإذا كان ذلك كذلك، فاللسانيات هي أولى علوم الإنسان بالنقد، وأوشجها رحماً به»<sup>(2)</sup>. وهي حقيقة لا محيد عنها، ولا تنفي في الوقت نفسه الحاجة إلى تخصصات محاكمة أخرى، إيماناً بمفهوم البيئية وكبير فائدته، وكلمة (أولى) مناسبة في الدلالة على الصدارة لا الاحتكار.

والملاحظ غالباً في سياق النقد والمراجعة؛ أن يعدّ مصلوح الانتقادات الموجهة لما يعتقد صحته ويسلم بأحقّيته، أو ما يراجع ويثبت هفواته، (مما لا يزكو العلم إلا به)، وهي عبارة يشتهر بها، وكثيراً ما نجدها في كتاباته عن القضية محلّ الجدل؛ سواء حال الدفاع أو المعارضة؛ فالأسلوبيون على حدّ تعبيره؛ «لا يزعجهم ما يوجّه إليها من وجوه الانتقاد مما لا يزكو العلم إلا به، ويرون أنّ في انتقادها إضاءة لمسارها، واستدراكاً لفوائدها»<sup>(3)</sup>. «وكان الأولى بهما (الأسلوبيات والنقد الأدبي)، التعاضد لا التعاند، لتحقيق الفهم الأمثل للإنسان والثقافة»<sup>(4)</sup>. وللابتعاد عن بوتقة التهم الظالمة والمطالب التعجيزية كما يحلو للأستاذ تسميتها.

ومن أوجه التعاضد غير المعلنة؛ أنّ الدراسة الأسلوبية للنص الأدبي مدينة في نظر مصلوح إلى المذهب الشكليّ في النقد Formal Criticism؛ فهو «من أهمّ الاتجاهات التي نبّهت إلى دراسة لغة النصّ، ومهّدت بذلك لإثارة اهتمام علماء اللغة الخُصّ بقضية الأسلوب وإقامة الجسور ما بين علم اللغة ودراسة الأدب»<sup>(5)</sup>. «وهو أقرب المذاهب إلى روح العلم، ولقد استمدّ هذا المذهب فلسفته النظرية من الوضعية المنطقية Logical Positivism»<sup>(6)</sup>. ومن

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص ص 191-192.

2 - المرجع نفسه، ص 194.

3 - المرجع نفسه، ص 200.

4 - المرجع نفسه، ص 205.

5 - سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية -، ص 28.

6 - المرجع نفسه، ص 27.

اللافت هنا الإحالة التي أوردها مصلوح في الهامش بسبب ذكره للوضع المنطقية(\*)، خشية أن يظن القارئ تبنيّه لهذه الفلسفة، وهو المعروف بحافظته وتمسّكه بمبادئ العقيدة الإسلامية، حيث يقول: «يقوم هذا المذهب على أساس الفلسفة الوضعيّة المنطقية، ولكن لا ينبغي أن ينشأ عن امتداحنا إيّاه كمذهب نقديّ قبولنا للوضعيّة المنطقية كـ«فلسفة»<sup>(1)</sup>. وهو توضيح في غاية الأهميّة لتجنّب مزلق التّأويل.

ومهما يكن من أمر، وعلى الرّغم ممّا تعرّضت له الأسلوبية الإحصائية من انتقادات بسبب اعتمادها على لغة الرّقم في نقد النّصوص، وهو ما يراه مصلوح طريقة ناجعة جدّاً في دقّة الأحكام وعلميّتها، ويراه آخرون(\*) خروجاً عن نطاق الأدب ولغته، فإنّ الأستاذ له قصب السبق «في البحث عمّا هو جديد في علم الأسلوب، غير مؤمن بعرض مبتور يُبنى على اللّعب بالكلمات ويُخلّ بقواعد النّظرية، ولكن غايته تفعيل الخواصّ الأسلوبية ذات الأهميّة في الدّلالة على مكانم النّص»<sup>(2)</sup>.

ولكلّ كاتب كما هو معلوم سمات أسلوبية وخواصّ تميّزه عن غيره، فعلى سبيل المثال يعرض الأستاذ سعد لبعض ما يميّز "الرّافعي"(\*) فيقول: «كان للرّافعي - رحمه الله - إشارات مميزة ككلمة (الدّخينة) تعريباً لكلمة (السّجارة)، والتّعبير بقوله: (آخر أربع مرّات) بديلاً للتّعبير

\* "Positivisme: يطلق بالتّوسّع اسم وضعانية على المذاهب المتعلّقة بعقيدة أوغوست كانت أو المشابهة لها، ولو بكيفية بعيدة جدّاً أحياناً، والتي تجمعها أطروحات مشتركة تقول إنّ معرفة الوقائع هي المثمرة وحدها؛ وإنّ العلوم الاختبارية هي التي تمدّنا بنموذج اليقين، وإنّ العقل البشري لا يجانب في الفلسفة كما في العلم اللفظية أو الضلال إلّا بشرط الاتّصال الدائم بالاختبار، والإقلاع عن كل ما هو قبلي...". (أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص 1002).

1 - سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية -، ص 27.

\* من هؤلاء؛ صلاح فضل. وقد ردّ مصلوح على تحفظاته الواردة في كتابه؛ "علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته - (1985)، من خلال المقال الآتي: سعد مصلوح، علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب، مجلّة فصول، مصر، مج 5، ع 3، 1985، ص 207 إلى ص 215. وضمّنه فيما بعد كتابه: في النّقد اللساني - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف - وانتبهنا من خلال الكتاب إلى وجود خطأ في رقم المجلّد والعدد والسّنة، وبالعودة إلى أعداد مجلّة فصول المتاحة إلكترونياً تأكّدنا من ذلك، ومن ثمّ أخطنا الأستاذ سعد به علماً.

وتعني (المصادرة على المطلوب) "عند المناطقة؛ مغالطة برهانية، تجعل من المطلوب إثباته جزءاً من مقدمات البرهان المراد إنتاجه". (سعد مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف -، ص 189).

2 - رامي علي أبو عايشة، اتجاهات الدرس الأسلوبي في مجلّة فصول (1980-2005)، ص 170.

\* أحد الكتاب المفضّلين لدى سعد مصلوح في العصر الحديث، وقد أوصاه والده بكاتب وشاعر من القديم؛ وهما أبو حيان التّوحيدي والمتنبّي، وكاتب وشاعر من الحديث؛ وهما الرّافعي وشوقي. (ينظر، سعد مصلوح، سردية/ أ. د سعد عبد العزيز مصلوح، الفناة: النّقاية، 2025/03/12، <https://www.youtube.com/watch?v=CyuDjjbc7Lk&t=3086s>).

الشائع (رابع مرة). كما كانت له ابتكارات خاصة من مثل قوله: (أما قبل) قياساً على التعبير الشائع (أما بعد) وهكذا»<sup>(1)</sup>.

وقياساً على ذلك نقول: إن سعد مصلوح إشارات تعبيرية أيضاً في أبحاثه المختلفة؛ فهو يستعمل (بدهي) و(بدهيات) عوضاً عن (بديهي) و(بديهيات)، ويوظف (فاتحة) في مقابل (مقدمة)، ويستخدم (خالصة القول) بدلاً عن (خلاصة القول)، ويؤثر (الخلص) على (الحقيقيين أو الراسخين)، ويفضل (السبك والحبك) على (الاتساق والانسجام)، و(الطرز النحوي\*) على (المنهج النحوي أو النظرية النحوية)، و(النظامية/النسقية) على (البنوية)، و(التقنيّة) على (التاريخية/ ما قبل البنوية)، و(المقاماتية/البراماتية) على (التداولية)، و(الحاق/لحق) على (ملاحق/ ملحق)، وينأى عن النسبة لنفسه بالياء، معوضاً إياها بقوله: (صاحب هذه الورقة/ كاتب هذه الدراسة)..

## 6- توظيف المقاييس الإحصائية في نقد لغة الخطاب النقدي

من الدراسات التطبيقية التي استوقفنا الإشارة إليها في أحد بحوث سعد مصلوح حول واقع الأسلوبيات العربية؛ دراسته الموسومة بـ "حاشية أسلوبية على لغة الخطاب النقدي"، والمضمنة في كتابه؛ "في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية" (2003)، وكانت الإشارة ماثلة في قوله: «ولقد عالجتنا بالتحليل في غير هذا الموضع لغة الخطاب النقدي لدى طائفة من أعلام النقاد، وهم: طه حسين والعقاد والنويهي ويوسف خليف وأبو ديب وأدونيس، وبيّنا ثمة بإعمال مقاييس الأسلوبيات الإحصائية كيف كان التفاوت راتباً بينهم في علمية اللغة وانضباط الحكم»<sup>(2)</sup>. هذه الإشارة كانت دافعاً للنظر في البحث على سبيل التطبيق لما وقفنا عنده بخصوص فوائد الأسلوبية الإحصائية واستخداماتها الممكنة، ومقاييسها التي تقوم عليها.

المميز في البحث تعرّضه لأربعة مقاييس أو معايير موضوعية غير المقاييس اللذين تعرّفنا عليهما سابقاً؛ "بوزيمان" و "يول"، وهذه المقاييس هي: مقياس كثافة الاستشهاد، مقياس

1 - سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية -، ص 39.

\* يقصد بالطرز النحوي هنا؛ الصورة المجردة أو المعادلة التي تستخدم لوصف العلاقات بين المكونات التركيبية في الجملة. وثمة أنواع كثيرة من الطرز النحوية، كالطرز التقليدي الذي يقوم على فكرة المقولات الأرسطية وأجزاء الكلام والتأويل. والطرز الوصفي الذي يبنّي تحليله على أساس الكشف عن المكونات المباشرة، والطرز التوليدي التحويلي الذي يبنّي تحليله على وجود قواعد أساسية محدودة يتولد منها عدد لا متناه من الجمل. (سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية، ص 46).

2 - سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص 207-208.

كثافة المجاز، مقياس تنوع المفردات، ومقياس القابلية للتأليف. وقد طُبِّق مصلوح ثلاثة منها، وأرجأ الأخير إلى فرصة أخرى نظراً لتعقيده.

وهو يعتقد أننا باحتكامنا إليها، سَنَميّز بين الخطاب النقديّ الجيد والردّيء، الخطاب الذي يصطبغ بصبغة التحليل العلميّ، وذلك الذي هو حشو وإسهاب ونقل للمقولات ليس إلا. «والواضح المستعلن لمن اعتاد قراءة كثير من مصنّفات النّقد؛ أنّ أعظم الشعراء والكتّاب كثيراً ما حظوا بأهون الدّراسات، وأنّ المنشئ كلّما علا كعبه في الصّناعة الأدبيّة، كان نصيبه من سوء الدّرس أوفى وأفر، ذلك أنّ كينونة العبقرية تكون من الخفاء والتّعقيد والإحكام واللّطف بحيث يصعب اختراقها أو استيعابها إلاّ بوسائل وأدوات تكافئها دقّة ورهافة وتلفظاً»<sup>(1)</sup>. لإثبات ذلك، وحتى لا يكون الكلام متحيّزاً وغير مؤسّس، يلجأ الباحثون إلى تلك المعايير المقترحة في الفصل بين الخطابات النقديّة، ومدى صوابيّة وعلميّة تحليلها للنصوص الأدبيّة؛ فالموضوع إذاً في نقد النّقد.

وقبل إبداء الملاحظات على الجانب التّطبيقيّ، نوّد أن نحيط القارئ بفحوى تلك المقاييس الموظّفة في تشخيص الخطاب النقديّ. والبداية تكون بمقياس كثافة الاستشهاد وهو أوجهها وأدقّها على ما يبدو؛ «وتفترض الدّراسة أنّ قياس النّسبة التي يحتلّها الكمّ الاستشهاديّ إلى الطّول الكليّ للنّصّ النقديّ، يمكن أن تكون مؤشّراً شكليّاً دالّاً على مدى عناية النّاقِد بالجانب التّحليليّ، وتجافيه عن حشد الشّواهد والتّكثّر منها، وإعطاء النّصّ المدروس قسطه الموفور من عناية الباحث لسبر أغواره واستكناه دلالاته (...). ومن ثمّ يتّخذ المقياس صورة المعادلة الآتية:

$$\frac{\text{كمّ الشّواهد}}{\text{الطّول الكليّ للنّصّ}} = \text{كثافة الاستشهاد، وقد اتّخذ "السّطر" وحدة للقياس}»^{(2)}$$

وهنا نتساءل: ما معدّل الكثافة الذي يتحدّد في ضوءه الارتفاع والانخفاض؟ أم إنّ ذلك مرتبط بمقارنة كثافة الخطابات فيما بينها كما فعل مصلوح! والأسلم ضبط متوسّط المعدّل كما هو الحال في قياس درجة الحرارة مثلاً (37.5°C/36.5°C)، ما دمنا نتغيّاً نقداً علمياً محضاً.

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 198.

2 - المرجع نفسه، ص ص 198-199.

المقياس الثاني المعتد به هنا، وهي المرّة الثانية التي يطبقه فيها(\*)؛ مقياس كثافة المجاز، حيث «إنّ ارتفاعه في النصّ النقديّ يفسّره - في رأي مصلوح -، ضيق ذرع الناقد بالعبارة العلميّة القادرة على حمل المضمون النقديّ، أو عجزه عن اللّحاق بها والتقاطها (...). غير أنّ علميّة اللّغة النقديّة، هي في إحكامها، والإحكام لا ينافي الجمال، والجمال لا عُقّة له على جهة الصّورة بكثافة المجاز، وكثافة المجاز حجاب مستور بين لغة النصّ النقديّ وتحصيل العلميّة فيه»<sup>(1)</sup>. ومعادلته كالآتي:  $\text{كثافة المجاز} = \frac{\text{عدد المركبات اللفظية المجازية}}{\text{مجموع المركبات اللفظية في النص}}$  وما تساءلنا بخصوصه في المعيار السابق ينطبق على هذا أيضاً.

تتمثّل الخاصيّة الثالثة بعد خاصيّتيّ؛ التّناسب الكميّ بين التّحليل والاستشهاد ومجازيّة اللّغة، في العلاقة بين المضمون والعبارة، وجنّد لها مقياسين اثنين، يأتيان - حسب رأينا - في المستوى الثاني من حيث دقّة النّتائج، بالمقارنة مع مقياس كثافة الاستشهاد ومقياس كثافة المجاز، وبخاصّة فيما يتعلّق بالمقياس الذي أرجأه. ذلك أنّه «ربّما تكون العبارة في النصّ النقديّ مقدودة على المضمون في قصد وإحكام، وربّما تنطوي على قسط وافر من التّكرار والترديد يُخِلّ بالوزن النسبيّ للعلاقة بين المضمون والعبارة»<sup>(2)</sup>.

أمّا الأوّل فهو مقياس تنوّع المفردات، وسبق أن وظّفه أيضاً في دراسة تعود إلى تاريخ مبكّر(\*)، مع اختلاف في الغاية، حيث كان آنذاك مركزاً على دورها في الإبانة عن الثّراء المعجميّ والكيفيّة التي يتحكّم بها الكاتب في ثروته، وتمييز الأساليب من حيث الصّعوبة، وأمّا

\* كانت المرّة الأولى في مقاله: سعد مصلوح، في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة (تطبيق على أشعار البارودي وشوقي والشابي)، مجلة الفكر، تونس، ع2، 1 نوفمبر 1984، السنة الثلاثون، ص233 إلى ص248. وضمّته فيما بعد المبحث الرابع من كتابه؛ "في النصّ الأدبي - دراسة أسلوبية إحصائية-".

ويشير في موضع آخر إلى أحد تلاميذه؛ وهو "أحمد عزت البيلي". يقول: "كما قام (بعض تلاميذي) في رسالة لدرجة الدكتوراه بدراسة الظاهرة نفسها بالمنهج نفسه في شعر أبي تمام والبحثري، ليقدم موازنة أسلوبية جديدة بين الطائيين". (سعد مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف -، ص174).

وقد صدرت فيما بعد تحت عنوان: أحمد عزت البيلي، المعجم الشعري عند أبي تمام والبحثري - دراسة لغوي إحصائية-، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، 1988.

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ص 199-200.

2 - المرجع نفسه، ص202.

\* وظّفه في الدراسة الآتية: سعد مصلوح، قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب - دراسة لنماذج من كتابات العقاد والرافعي وطه حسين-، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ع1، 1981، ص49 إلى ص169. وضمّته فيما بعد المبحث الثاني من كتابه؛ "في النصّ الأدبي - دراسة أسلوبية إحصائية-".

هنا، فيتصور «أنّ انخفاض نسبة التتوّع يرتبط بزيادة فرص التكرار، وزيادة التكرار معناه اتّساع مساحة العبارة على حساب المضمون (...)» إنّها حساب للنسبة بين الكلمات المتنوّعة في النّصّ، - ويسمّيها و. جونسون W. Johnson صاحب فكرة المقياس بالأنماط -types، والمجموع الكليّ للكلمات التي يتكوّن منها النّصّ، - ويسمّيها هو أيضا بالتحقّقات -tokens، ومن هنا جاء اختصار تسمية المقياس إلى (Type - Token Ratio) TTR<sup>(1)</sup>. واللافت في هذا إشارته إلى المرجع الغربيّ للمقياس، وهو ما لم نلاحظه في المقياسين السابقين، حتّى بدا لنا أنّهما مُتّرحّين في السياق العربيّ.

وللخاصيّة ذاتها أشار إلى مقياس آخر في إمكانه إيجاد النسبة وتحقيق الغرض، بيد أنّ الطّريقة التي يقترحها مصلوح لتطبيقه فضفاضة نوعا ما، حينها تكون النّتائج المتوصّل إليها عبره نسبيّة إلى حدّ بعيد. وفحواه؛ «حيث تكون قابليّة النّصّ للتّليخ مع الإبقاء على فكرته الرّئيسة وتشكيل فكره الجزئيّة عالية، تكون نسبة الفضفضة (redundancy) عالية كذلك. ويهبط النّصّ بالقدر نفسه في سلّم الكفاءة efficiency والفعاليّة effectiveness والملاءمة appropriateness<sup>(2)</sup>. تبدو هذه الفكرة جيّدة في الدّلالة على جودة الخطاب النّقديّ، لكن هل يمكن التّحكّم في طريقة تنفيذه المتضمّنة لسلسلة من الإجراءات المعقّدة، ونوردها ملخّصة كالآتي<sup>(3)</sup>:

- إجراء تحليل أوليّ للنّصّ تتحدّد به الفكرة العامّة والأفكار الجزئيّة.
- تقديم النّصّ لمجموعة من الباحثين المتخصّصين قصد تلخيصه، مع تحديد عدد الأسطر!
- فحص التّليخيصات حسب وفائها بالشّروط (يجب أن تشير إلى الأفكار المحدّدة).
- حساب نسبة الطّول بين النّصّ وكلّ تلخيص من تلخيصاته.

هذه إذن مجموعة الإجراءات الواجب اتّباعها لتنفيذ المقياس بأسلوب واضح مبسّط، ولا ندري علّة تحديد عدد الأسطر، والأولى تركها، لأنّ في ذلك توجيه وتقيد للباحثين، بل لو التزم كلّ باحث بعشرين سطرا مثلا، لتساوت الملخّصات وانتفى الغرض من المقياس! أم أنّ

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص ص 203-204.

2 - المرجع نفسه، ص 204.

3 - ينظر، المرجع نفسه، ص ص 204-205.

ثمّة مغزى من كلمة (يسترشدون) في قَوْلِ مصلوح؟؛ «أن يقوموا بتلخيص النّصّ المفحوص في حدود يسترشدون بها (في عشرين سطرا مثلا)»<sup>(1)</sup>.

كانت هذه ومضة تعريفية بالمقاييس المقترحة للتّطبيق في هذا البحث، والحال أنّ أفكارها جيّدة، والغاية التي يرومها من خلالها أجود، لكن ثمّة في الجانب الإجماليّ ما يُلفت الانتباه ويستدعي التأمّل، ويقودنا إلى ملاحظات من المهمّ تداركها إذا ما أردنا عقلنة التّقّد، أو بالأحرى علمنته والخروج به من ذاتية التّدوّق إلى صرامة المنهج.

أولى الملاحظات التي تُستخلص؛ الانتقائية في التّعامل مع المقاييس، حيث إنّ رصد في البداية ستّة أعلام، وبرّر الاختيار بالاشتراك أو التّشابه في الموضوع المطروق، لكن ما إن شرع في قياس النّسب، إختار أربعة نقّاد للمقياس الأول؛ (طه حسين، العقّاد، النّويهّي، يوسف خليف)، وأربعة للثاني؛ (العقّاد، النّويهّي، أدونيس، كمال أبو ديب)، وثلاثة للثالث؛ (طه حسين، النّويهّي، أدونيس). وهذا ما يفتح الباب للاستفهام، وكان الأولى اختبارهم جميعا حتّى لا يختلّ شرط الموضوعية، وتقلّ القيمة المنهجية والمعرفية للممارسة التّطبيقية.

الملاحظة الأخرى متعلّقة بالانتقائية أيضا، لكنّها على مستوى المدوّنة هذه المرّة، ففي مقياس كثافة المجاز يختار صفحات معيّنة من نصوص مخصوصة لكلّ ناقد؛ (الصفّحات 137-143 من نصّ العقّاد رقم 2)، (الصفّحات 11-16 من نصّ النّويهّي رقم 3)، (الصفّحات 27-30 من نصّ أدونيس رقم 5)، (الصفّحات 222-226 من نصّ كمال أبو

ديب رقم 6). ألا يُخِلّ هذا بدقّة النتائج، خاصّة وهو يعتمد المقارنة في عملية التّحليل؟

ومن تجلّيات الانتقائية أيضا، ما نجده في مدوّنة مقياس تنوّع المفردات، وذلك باختياره الكلمات الألف الأولى فقط لحساب نسبة التّنوّع، وهو ما يدفعنا للبحث عن علّة التّحديد، كونه مؤشّرا غير مُطمئنّ عن مدى صحّة النّسب من عدمها، وهل يمكن الأخذ بها في تصنيف التّحليل العلميّ للخطابات التّقديّة إلى جيّد ومتوسّط وضعيف؟

وإنّ ممّا يضاف إلى ملاحظة الانتقائية، ما يتعلّق بوضع المقارنة فاصلا في التّمييز بين النّقّاد. ماذا لو أردنا دراسة ناقد واحد للبتّ في جودة خطابه من عدمها؟ هل المقارنة شرط لازم لتطبيق المقياس والتّوصّل إلى الحكم؟ ألا توجد نسبة متوسّطة قارة تُفاضل بين هذا وذاك - كما أشرنا سالفًا-؟

1 - المرجع نفسه، 205.

كلّ أولئك من عوامل النسبية التي تطبع الدّراسة الإحصائية، وعندما نقول النسبية فحضور الذاتيّة حاصل لا محالة، على الرّغم من السّعي للتخلّص منها بالرّكون إلى القاعدة الرّياضية واتّخاذ الإحصاء مطيّة لذلك؛ الذاتيّة في اختيار النّاقذ والموضوع والمدوّنة وكذا طريقة التّحليل واستخلاص الحكم.

وتتجلى نزعة الذاتيّة أكثر في مقياس القابليّة للتّخيص، - وإن لم يطبّقه مصلوح في هذه الدّراسة ولا فيما بعدها من دراسات في حدود البحث-(\*)، وتحديدًا في إجراء انتقاء الملخّصين، ولا شكّ أنّ كلّ ملخّص له عقيدته العلميّة التي تؤثر في الملخّص، ومن ثمّ تتفاوت عدد الأسطر ارتقاعًا وانخفاضًا، ولا نعتقد أنّ الحرص على ضبط الملخّصات بالأفكار الأساسيّة سيجنّب الوقوع في مصيبتها.

وعليه نوّد القول؛ أنّه لا ينبغي الانبهار المطلق بالمعالجة الإحصائية على ما فيها من إيجابيات عديدة، ولا الاستسلام المطلق لنتائجها. صحيح أنّها البديل الأفضل للأذواق الانطباعية، وضابط مهمّ في نقد الخطابات على اختلافها، لكن تبقى النسبية حاضرة حضور الإنسان وتأثيره مع تفاوت في النّسب، فليست نسبيّة نتائج القراءة الدّوقية كنسبيّة نتائج المقياس الرّياضي، والتّطبيق خير مرجع ودليل في الإثبات والتّفي.

---

\* سألت الأستاذ سعد عن ذلك، فأجابني بتاريخ: 2025/07/18، وكان قوله: "طبّفته في أوراق نددت عن بصري، لكن إن أردت تطبيقه فيمكن أن نتفاهم معًا على الخطوات مع المتابعة والتّصويب إن لزم الأمر. وهو مقياس جيّد جدًّا، وأتذكّر أنّ مقارنة نتائج عيّات العقاد وطه حسين كانت مذهلة".

## الفصل الثّاني:

المنحى النّقديّ في كتابات سعد مصلوح اللّسانيّة

سيتركز حديثنا في هذا الفصل على جانب مميّز في كتابات سعد مصلوح؛ ألا وهو نقد وتقييم ما يُنتج من بحوث لسانية في الوطن العربيّ. والبداية ستكون بالإبارة عن مفاهيم عدد من المصطلحات المتداخلة (النقد اللّسانيّ - النقد المتألسن - النقد الفقهيّ - النقد النّقافيّ - التّقويم اللّسانيّ)، ثمّ إبراز ملامح الفكر النّقديّ لدى سعد مصلوح من خلال نقده للوضع اللّسانيّ العربيّ بصفة عامّة، وكذا نقده الموجّه لبحوث لسانية خاصّة، وختاماً بإبداء مجموعة من الملاحظات على بعض بحوثه التّقويمية الخاصّة.

### 1- مفاهيم تأسيسية لا بُدّ منها

ارتأينا قبل الشّروع في الحديث عن ملامح الفكر النّقديّ لدى سعد مصلوح؛ كونه حلقة مائزّة في معظم كتاباته اللّسانية، أن نطرّق إلى التّفريق بين مصطلحات مهمّة في هذا الباب كما وردت عند الأستاذ، حتّى تستبين للقارئ الكريم معالم الطّريق، ولأنّنا وجدناه في كذا موضع ينبّه إلى ضرورة ضبط المصطلحات وتحديد المفاهيم.

ففي أحد السّياقات النّقديّة، ردّا على المقولة المغلوطة؛ "أنّ المحاضر كان شكلياً أكثر منه بنويّاً"، يقول: «والحقّ أنّ هذا القول فيه إهدار للمفاهيم واستعمال غير رشيد للمصطلحات. والعلم في جوهره لا يقوم إلّا بالمصطلح الدّقيق، ومن فاته تحرير مفاهيم المصطلحات، فقد فاته العلم كلّهُ أو جلّه؛ ذلك أنّه لا الشّكليّة النّقديّة ولا الشّكليّة اللّغويّة، يمكن أن تقع في تناقض مع البنيويّة بوصفها أسلوباً للتّفكير (...) وحاصل ما سبق إلّا تناقض بين الشّكليّة والبنيويّة بوصفهما أسلوباً للتّفكير والبحث»<sup>(1)</sup>.

وفي السّياق ذاته، يختم مثاقفته "لست ناقدًا بنويّاً ولا في نيتي أن أكون" (أفريل 1982)، بالرّدّ على بعض التّعليقات التي أعقبت محاضرتة المثيرة للجدل؛ "الاتّجاه اللّغويّ في النّقذ الحديث" (مارس 1982) بقوله: «بيد أنّها قد زادنتي يقينا بسلامة ما أدعو إليه؛ من ضرورة الانضباط في المعايير، وتحديد المصطلح، وترشيد استخدامه؛ فلغة العلم ما كانت يوماً لتتسع لمثل هذه الهلاميّة في التّعبير؛ تلك التي تُؤهم ولا تُبين، والتي هي بلغة التّعاويز والطلّاسم أشبه منها بلغة أهل العلم وسدنة المعرفة الحقّة»<sup>(2)</sup>.

وثالث الأقوال التي نستدلّ بها على أهميّة اللّغة العلميّة (مصطلحا ومفهوما) في تحرير البحوث والرّدود والتّعليقات، ما يضمنه مصلوح مثاقفته "دون اللّوم وفوق العتاب" (1992)،

1 - سعد مصلوح، في النقد اللّسانيّ - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف -، ص 209.

2 - المرجع نفسه، ص 215.

حيث يقول: «وكذلك نجد الباحث يسرف على نفسه وعلى القارئ إسرافاً شديداً في التّكرّر بمصطلحات الأسلوبية والإشارية والدّلالة الضّمنيّة والإسقاطيّة، ويجعل من الدّلالتيّ قسيماً للّغويّ. فزعزع بذلك استقرار المصطلحات في لغة العلم، ونفى عنها القصد في العبارة، والدّقّة في الاصطلاح، والصّرامة في المنهج»<sup>(1)</sup>.

كانت هذه أقوال ثلاثة تفيد بضرورة تدقيق المصطلحات في حمل المفاهيم، وتمهيدا مهمّا نتكئ عليه في طريقنا نحو الإبانة عن بعض المصطلحات النّقديّة المتداخلة في الاستعمال؛ النّقّد اللّسانيّ، النّقّد المتألسن، النّقّد الفقهيّ أو المعياريّ، النّقّد الثّقافيّ، التّقويم اللّسانيّ أو المراجعة النّقديّة.. والحقّ أنّ مصلوح أورد ذلك باستثناء المصطلح الأخير في ثقافته الموسومة بـ: "وهل هناك مكان لنقد غير لغويّ؟" (1997). وسيلاحظ قارئها بأنّ المصطلح الأساسيّ أو النّواة هو النّقّد اللّسانيّ، وما سوى ذلك من مصطلحات مضمّنة فهو ثانويّ، وكان بإمكان الباحث تلافيا والتّركيز على الفكرة التي يصبو إليها من خلال الاستفهام الإنكاريّ، حتّى لا يُدخِل القارئ في تشعّبات مصطلحيّة هو في غنى عنها.

وجدير بالتّنبية أنّ استعمال مصلوح لـ "النّقّد اللّغويّ" بدلا من "النّقّد اللّسانيّ" في العنوان، على الرّغم من تنبّيه للمصطلح الثّاني الشّائع، عائد فيما يبدو إلى فكرة المثاقفة في ذاتها، فهي ردّ كتبه الأستاذ تعقيبا على أحد محاور ندوة "النّقّد الأدبيّ في منعطف القرن" (أكتوبر 1997)، الذي جاء في شكل سؤال مفاده: "هل هناك مكان للنّقّد اللّغويّ؟"<sup>(2)</sup>. وعليه كان سؤال التّعقيب من جنس سؤال المحور حتّى يكون أكثر إحياءً وأبلغ تعبيراً.

ونشير أيضا إلى أنّ مصلوح مُدرك جيّدا الفرق بين مصطلح "اللّسانيّ" و"اللّغويّ" أنّ كتابة هذه المثاقفة، على خلاف ما كان عليه سنوات الثّمانيات أنّ كتابته لمحاضرة "الاتّجاه اللّغويّ في النّقّد الحديث". يقول في الحاشية: «أعني الاتّجاه اللّسانيّ، ولم يكن أمر المصطلح قد بلغ قراره عندي آنذاك»<sup>(3)</sup>. وهو يقترح تمييزا وتعريفا بين المصطلحين لا على سبيل الإلزام، نظرا للاختلافات الحاصلة بين الباحثين في هذه النقطة، وإنّ كُنّا نميل إلى ما يقرّره بقوله: «فلتكن كلمة "اللّغويّ" -على سبيل الإجراء- صفة لكلّ نشاط أو عالم يعالج اللّغة وقضاياها في مرحلة ما قبل نشأة اللّسانيّات المعاصرة التي عرفت طريقها إلى النّشأة والاستقلال مع

1 - المرجع نفسه، ص222.

2 - ينظر، المرجع نفسه، ص225.

3 - المرجع نفسه، ص234.

مطالع هذا القرن، وهي صفة تشمل المنجز العلميّ الذي أسهم به سلفنا من علماء العربيّة في مسيرة الفكر اللّغويّ. ولندّخر كلمة "الّلسانيّ" لتكون علما على عالم أو نشاط ينتمي بالفلسفة والتّأسيس النّظريّ وتقنيّات التّحليل إلى أيّ مدرسة من المدارس العلميّة التي تصدّت للغة وقضاياها في القرن العشرين وما يتلوه»<sup>(1)</sup>.

ولقد جيء بهذا الاقتراح لإقامة المناقشة والاستدلال؛ أيّ خدمةً لغاية منهجيّة عمليّة فحسب، وهو لا يعني أنّ الباحث يقول بالقطيعة المعرفيّة<sup>(\*)</sup>، فهو من دعاة الصّيرورة والتّواصل - كما عرفنا سابقا -، وتأكيدا للتّصوّر التّواصليّ، يرى سعد مصلوح في المثاقفة محلّ التأمّل؛ «أنّ اللّسانيّات المعاصرة لم تتجم من الأرض ولم تهبط من السّماء، بل هي الحوار الآنيّ مع الميراث التأمليّ الذي مارسه العقل البشريّ مع ظاهرة اللّغة منذ فجر الحضارة الإنسانيّة إلى يوم النّاس هذا؛ ومن ثمّ فهي الوريث الشّرعيّ لهذا التّراث؛ تعمل فيه بالنّقد والنّقض والتّأويل والتّوظيف. وليس في قدرة متعامل مع هذا التّراث أن يتجاوز منجزات اللّسانيّات المعاصرة، وإلاّ كان عمله في هذا الباب من قبيل عمل الحالبه الخرقاء التي يحدّثنا عنها المثل العربيّ القديم بقوله: "شخّب في الإناء وشخّب في الأرض"»<sup>(2)</sup>.

1 - المرجع نفسه، ص 227.

\* كتب سعد مصلوح عبر صفحته الرّسميّة في الفيسبوك بتاريخ 2025/07/24 تديونة بعنوان: "ويسألونك عن القطيعة المعرفيّة مع التّراث"، بيّن فيها وجهته وأحقها بمقال صحفيّ للمفكر والفيلسوف "فهمي جدعان"، نُشر بجريدة الرياض السّعوديّة يوم 8 أفريل 2004، فيه مطابقة مؤنسة له على ما ذهب إليه. يقول: "ومن ذا الذي لا يحتاج إلى مثل هذه المؤنسة حين تحمي المعارك، وتشتجر الرماح بين العقول؟!". واللافت في هذا المقام؛ التّعليق الذي أورده الباحث التونسي "عز الدين مجدوب" على المنشور، وفيما يلي نصّه كاملا بالنّظر لأهميته: "مرحبا د. سعد؛ اسمحو لي بإجراء النقاش بهذه الملاحظات: نشأ مفهوم القطيعة المعرفيّة والعائق المعرفي ضمن فلسفة العلم، وخاصة عند دراسة تطور العلوم الصحيحة. وعلى سبيل الذكر عند تحديد مولد علم الفيزياء الحديث مع "غاليلي"، أو عند دراسة تطور المنطق الحديث مع "فريغة" الذي أنهى سيطرة منطق أرسطو، ثم أطلق في العلوم الإنسانيّة بدرجات دقة متفاوتة. لا مرأى في فائدة هذا المفهوم في دراسة تطور العلوم الصحيحة، وقد اعتمدته في عرض تطور علم اللسانيّات وفي تحديد علاقته بالأنحاء القديمة عامّة والنّحو العربيّ خاصة. والملخص أن القطيعة المعرفيّة تعني استيعاب المعرفة السابقة لها وإعادة عرضها بصيغة أدق لا تلغيها جملة وتفصيلا، وإنما تتخلى عن بعض مسلماتها بعد بيان خطئها. والغالب أن تصبح المعارف السابقة قسما من حقائق أوسع أو أشمل؛ فالعلاقة بالمعارف السابقة لا تقوم على الإلغاء التام والأغلب أن تقوم على التعديل وإعادة الصياغة. وتبقى الثمار المعرفيّة الحاصلة من الصياغة الجديدة هي الحكم في ترجيح القول الجديد على سابقه". ليردّ عليه سعد مصلوح بقول حكيم: "بهذا المفهوم المعدّل والعقل لا مورد للخلاف". <https://www.facebook.com/share/p/1BJLeLGLW6/>

2 - سعد مصلوح، في النّقد اللّساني -دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف-، ص 229.

واختصاراً نقول: لا يمكن الفصل بين التّراث اللّغويّ واللّسانيّات المعاصرة؛ لأنّ هذه الأخيرة امتداد للأوّل، ومن التّعسف أن ننحاز لطرف على حساب الآخر. بيد أنّنا نتحقّق على قوْلَة مصلوح: (ومن ثمّ فهي الوريث الشّرعيّ لهذا التّراث)، وندحضها بما قرّره حال مناقشته للعلاقة بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّات اللّسانيّة، ورأى حينها أنّ الأسلوبيّة ليست وريثاً للبلاغة؛ لأنّ البلاغة لم تمت، وكذلك الأمر هنا؛ فالتّراث لم يمت، بالتّالي لا يجوز عدّ اللّسانيّات المعاصرة وريثه الشّرعيّ؛ فالعلاقة بينهما علاقة تفاعل وانصهار لا موت وميراث.

### 1-1 النّقد اللّسانيّ

نأتي الآن إلى بيان مفاهيم المصطلحات النّقديّة اللّسانيّة كما يتصوّرُها سعد مصلوح، بعدما لاحظنا أنّ ثمة خلطاً كبيراً يشوبها في السّياق العربيّ، والبداية بالنّقد اللّسانيّ، وهو أكثرها وروداً لدى الباحث، حتّى أنّه وسم كتابه المتضمّن لدراسات ومثاقفات مختلفة بـ "في النّقد اللّسانيّ -دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف". رغم أنّ المساحة التي تتعلّق بالمصطلح وما ينضوي في إطاره ضئيلة نوعاً ما.

والملاحظ على سعد مصلوح أنّه لم يفرد له تعريفاً مستقلاً، ولكن سنحاول أن نقتبس أدقّ العبارات في الدّلالة عليه. يقول: إنّ «ذروة النّقد اللّسانيّ وسنامّه فيما تطرحه المدارس والمذاهب اللّسانيّة على اختلافها من تصوّرات وتقنيّات محكمة لتحليل الكلام سواء على مستوى الجملة أو النّصّ، وسواء من حيث البنى الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلالية، أو من حيث الوظائف الاجتماعيّة والاستعماليّة. وتعترض اللّسانيّات في ذلك بعلم السّيميائيّة والتّأويليّة والمقاماتيّة (البراجماتيّة)»<sup>(1)</sup>. وبمعنى مختصر لما سبق، وجدناه في كتابه الأسلوب؛ «نقدٌ يسترشد في ممارسته بالتحليل اللّسانيّ، ويتكئ على تصوّراته ومقولاته»<sup>(2)</sup>. وهي عبارة من أدقّ ما قيل في التعريف بالنّقد اللّسانيّ.

ومن أهمّ فروع المعرفة اللّسانيّة التي يقوم عليها النّقد اللّسانيّ -في نظر مصلوح-؛ «علم الأسلوب وأجزوميّة النّصّ؛ فهما من أبرز الإسهامات اللّسانيّة في مجال نقد النّصّ الأدبيّ، وإنّ كانا لا يستغرقان كلّ عطائهما في هذا المجال. وسواء عددنا علم الأسلوب شعبة من اللّسانيّات العامّة تعالج صنفاً بعينه من الكلام أو النّصوص، ذا مواصفات خاصّة على قول بعض العلماء، أو عددناه علماً قائماً برأسه موازياً للّسانيّات العامّة على قول آخرين؛ فإنّ علم

1 - المرجع نفسه، ص ص 233-234.

2 - سعد مصلوح، الأسلوب -دراسة لغوية إحصائيّة-، ص 11.

الأسلوب يظلّ إسهاما لسانيا متميّزا ومنضبطا في تقديم حلّ علميّ لجوانب ذات خطر في المشكل النّقديّ»<sup>(1)</sup>. ولقد «انثُبت الأسلوبيات لتكون الوجه اللّسانيّ في النّقْد حتّى صارت مرادفا للنّقْد اللّسانيّ في الاستعمال العامّ»<sup>(2)</sup>. وذلك بالنّظر لأهمّيّتها وهيمنتها في التّحليل، لكن يبدو أنّ هذا الطّرح مغدّى بتوجّه الباحث وميله الشّديد إلى الأسلوبية في دراساته.

## 1-2 النّقْد المتألّسن

بعد تبين معنى النّقْد اللّسانيّ، والخلوص إلى أنّه توظيف لمختلف علوم اللّسان في نقد النّصّ الأدبيّ وتقويمه، يقترح سعد مصلوح مصطلحا قليل التّداول بالمقارنة مع الأوّل، ألا وهو النّقْد المتألّسن، وجاء به حتّى يحافظ على نقاء حقل النّقْد اللّسانيّ، ولا يكون موردا يرتاده ما لا صلة له به، ويمكن أن نشير على عبارات تحيل على معناه والغرض من وضعه. يقول: «ومن هنا كان لزاما فرز النّقْد اللّسانيّ ممّا أسمّيه النّقْد المتألّسن؛ فالبنويّة (يقصدُ النّقديّة) مثلا لا يصحّ أن تُعدّ من قبيل النّقْد اللّسانيّ؛ إذ هي نظريّة استوحت في بداياتها نماذج التّحليل اللّسانيّ (في علم الصّوتيات الوظيفيّة أو الصّوتولوجيا خاصّة)، واسترشدت بمقولات البنويّة اللّسانية وتصوّراتها، وطوّعت ذلك كلّه لأغراضها على نحو أيبس ما بينها وبين اللّسانيّات بالكلّيّة حتّى لم يعد بينهما جامع»<sup>(3)</sup>. ويقول أيضا: «أمّا نظريّات ما بعد البنويّة فلم تتخلّص من إيسار اللّسانيّات حتّى وهي في ذروة المخالفة والجدل مع مقولاتها وتصوّراتها، ومن ثمّ صحّ عندنا إطلاق تسمية النّقْد المتألّسن على هذه النّظريّات (يقصد البنويّة النّقديّة ونظريّات ما بعد البنويّة)، تميّزا لها من النّقْد اللّسانيّ المحض الذي ينهض على أساس علوم تخضع في بنيتها المنهجية وتطوّرها لمنطق العلم وتدافع النّظريّات داخل المجال المعرفيّ الواحد»<sup>(4)</sup>. نستخلص في ضوء ذلك ما يلي:

- أنّ التّسمية خاصّة بسعد مصلوح، ورؤية الباحث وخبرته البحثية في مجال اللّسانيّات أملت عليه ضرورة الفصل بين النّقدين؛ اللّسانيّ والمتألّسن.
- يُقصدُ بالنّقْد المتألّسن؛ نَقْدٌ يقع خارج النّظريّات اللّسانية ومقولاتها، وإن كان للّسانيّات فضلها وسطوتها وتأثيرها رغم مخالفتها والخروج عن مبادئها.

1 - سعد مصلوح، في النّقْد اللّساني -دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف-، ص 231.

2 - سعد مصلوح، في اللّسانيّات والنّقْد، ص 194.

3 - سعد مصلوح، في النّقْد اللّساني -دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف-، ص 236.

4 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وكمثال عن الخروج على المبادئ، يثير مصلوح انتباهنا إلى نقطة مهمة يخالف فيها النّقد اللّسانيّ النّقد المتألسن؛ يقول: «إنّ النّقد اللّسانيّ - على سبيل المثال - لا يقول بموت المؤلف، بل إنّ اعتباره هو شرط لعلميّة التّحليل، وهو لا يقطع العلائق بين النّص والمقام والفاعل في صياغته وتأويله، ويجعل لمتلقّي النّص نصيبا بالغ الأهميّة في تقويم النّص وتذوّقه، معتمدا بالمقاربات السّيميائيّة والهيرمنوطيقيّة والمقاماتيّة في تحقيق انفتاح التّأويل، وهو يمدّنا من طرائق التّحليل وتقنيّاته بما هو حرّي أن يكشف عن جماليّات النّص ومقومات الأدبيّة فيه. وغاية ذلك كلّ، هو ما سمّيته في غير موضع (عقلنة التّذوّق)، وليس إلغاء الذّوق أو تهميش المبدع والمتلقّي»<sup>(1)</sup>. وإذا كان هذا الحال مع النّقد اللّسانيّ، فبمفهوم المخالفة تتضح طبيعة النّقد المتألسن، ومن خلاله البنيويّة النّقدية وما بعدها.

وعلى ذكر البنيويّة النّقدية، يورد مصلوح في مقاله الذي سبق الإشارة إليه؛ "لست ناقدًا بنيويًا ولا في نيّتي أن أكون"؛ علّة إعراضه عن الانتماء إلى هذا الاتّجاه، وأنّ حديثه إنّما كان عن البنيويّة اللّغويّة لا النّقدية. يقول: «إنّه من الصّعب على من تشكّلت شخصيّة العلميّة في مناخ التّحليل اللّغويّ والصّوتيّ، أن يتقبّل منها ذاتيًا معنى في ذاتيّة، وإن حاول أن يقمّ نفسه إلى النّاس في مظهر عقلائيّ لا شكّ في عقلائيّته»<sup>(2)</sup>. «فهي وإن استرشدت بمقولات فلسفيّة معيّنة، لا تمثّل آخر الأمر إلّا رؤية كاتبها الخاصّة لعناصر العمل الأدبيّ وطبيعة العلاقات والقوانين التي تحكمها. والنّقاد البنيويّون يعترفون أنّ البنية لا وجود لها في العمل الأدبيّ، وأنها مبدأ عقليّ أو رؤية فكريّة يرى النّاقّد من خلالها العمل الذي يدرسه (...) وبسبب من هذه المرونة الظّاهرة، أصبح في وسع أيّ قارئ أن يكون ناقدًا بنيويًا، وإن تفاوت حظّه من النّجاح والإخفاق، وأصبحت البنيويّة النّقدية ساحة كبيرة اختلط فيها العمالقة بالأقزام»<sup>(3)</sup>.

لهذا السّبب المتفق مع النهج العامّ للباحث، كونه من مريدي الدّراسة المتخصّصة المنضبطة، رفض أن يكون أحد روادها حتّى لا تشمله ساحة الهوّة على حدّ تعبيره المشهور؛ «إنّني واقف حيث اختارت لي الأقدار -وما أحبّه إلى نفسي من اختيار- على أرض التّحليل اللّغويّ الدّقيق، معتزًا بانتمائيّ إلى المدرسة اللّغويّة المعاصرة، وأوثر دائما أن أحسب في عداد

1 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 - المرجع نفسه، ص ص 211-212.

3 - المرجع نفسه، ص 213.

اللّغويّين المتخصّصين، على أن أُعدّ من هوّاة النّقاد»<sup>(1)</sup>. وممّا يلاحظ فيما بعد؛ أيّ بين سنة 1982 و1997، تخلّيه عن التّسمية القديمة (المدرسة اللّغويّة المعاصرة)، وتعويضها بالتّسمية الحديثة (البحث اللّسانيّ)، وآية ذلك ما وجدناه في قوله ضمن ميثاقفة 1997، معقّبا به على مقولة الانتماء السّابقة 1982؛ «كان هذا البيان منذ خمس عشرة سنة، وقد صدرت فيه عن انتمائي المعرفيّ والمنهجيّ إلى البحث اللّسانيّ»<sup>(2)</sup>.

لكن السّؤال الذي يطرح نفسه في هذا السّياق: كيف نجمع بين قوله المائل في أنّ البنيويّة بفرعيها النّقديّة واللّغويّة أسلوب للتّفكير، وقوله الأخير الذي يرى فيه ضرورة الابتعاد عن البنيويّة النّقديّة كونها ساحة مختلطة تجمع بين العمالقة والأقزام؟ ألا يُعدّ هذا من قبيل الدّاتيّة وتسويغ الانتماء إلى البنيويّة اللّغويّة (اللّسانيّة)؟ وهل يمكن المحافظة على نقاء ساحة البنيويّة اللّغويّة فلا ينتمي إليها إلاّ العمالقة على حدّ تعبيره؟

بقيت ثمة ملاحظة تخصّ البنيويّة في ذاتها، حيث يرى سعد مصلوح أنّها «مفهوم أصيل في مناهج الدّرس اللّغويّ، نشأ في كنفها قبل أن يتجاوز حدوده لتتلقّفه سائر العلوم الاجتماعيّة الأخرى، ومن بينها النّقْد. ومن ثمّ حين يتحدّث لغويّ عن البنيويّة فإنّما يتحدّث عن مفهوم هو قوام المنهج عند أكثر المدارس اللّغويّة الحديثة، كما أنّ علاقة اللّغويّ بهذا المصطلح هي علاقة تصدير لا استيراد»<sup>(3)</sup>. هنا وجب التّنبية والقول بأنّ لمفهوم البنيويّة حضورا في العلوم التّجريبية وكذا الاجتماعيّة والاقتصاديّة قبل ظهوره في الدّرس اللّسانيّ؛ «كما في أعمال كوبرنيكوس وغاليليو، أو في العلوم الاجتماعيّة كما في كتابات ماركس عن بُنى العالم الاقتصاديّة والاجتماعيّة»<sup>(4)</sup>. لذلك ينبغي التّفريق بين مفهوم البنيويّة والنّظريّة البنيويّة اللّسانيّة ذات الامتدادات الواسعة إلى مختلف العلوم الإنسانيّة، وإنّ نَبّه دو سوسير ومن سبقه إلى فكرتها، فإنّ نشأتها ولحظة ميلادها الأصليّة كانت مع حلقة براغ.

1 - المرجع نفسه، ص 207.

2 - المرجع نفسه، ص 235.

3 - المرجع نفسه، ص 208.

4 - عماد غنوم، تطوّر النّظريّة اللّغويّة من سوسير إلى جاكسون، ص 57.

### 1-3 النّقد الفقهيّ والنّقد الثّقافيّ

من المصطلحات النّقديّة الأخرى التي تضمّنتها ميثاقفة (وهل هناك مكان لنقد غير لغويّ؟)؛ مصطلح النّقد الفقهيّ وكذا النّقد الثّقافيّ، وإن كان حضورهما ثانويّاً في معرض مناقشة سعد مصلوح للقضية محلّ النّظر؛ أمّا النّقد الفقهيّ «فهي تسمية لمحمّد مندور على جهة التّنقّص حيناً والزراية أحياناً؛ وعنى به النّقد المعياريّ الذي يحتقي بإعمال قواعد التّصويب والتّغليط التي استظهرها علماء اللّغة والنّحو من تأملهم لكلام العرب؛ فحتّى هذا اللّون من النّقد كان لأعلام النّهضة النّقديّة - ومن بينهم مندور نفسه- منه نصيب موفور»<sup>(1)</sup>. وإن كان له منه نصيب موفور فلم التّنقّص والازدراء؟ وهو حال الكثير من العوامّ، بل ويتعدّى ذلك إلى بعض الباحثين، ممّن يرون في الاهتمام بالجانب الشكليّ (اللّغويّ) أمراً تافها لا يستحقّ الالتفات، وتجدهم ينعنون المدقّقين اللّغويين بالمرضى نفسياً، وليتهم يدركون أنّ التّصويب والتّدقيق لا يؤتى إلّا لعالم بأسرار العربيّة، وهو من أنبل ما يُقدّم خدمةً للسان حضارة القرآن.

اللّون الثّاني من النّقد الحاضر حضوراً ثانويّاً في هذا الباب، ما يُسمّى بالنّقد الثّقافيّ «الذي قوامه نقد الثّقافة في اللّغة وباللّغة، وهو باب من العلم يمارسه اللّسانيون على نحو يخالف ما عليه ممارسوه من النّقاد. وفرق ما بينهما هو الفرق بين مزاج يُعمل تقنيّاته البحثيّة المنضبطة، ويحرّر منظومته المصطلحيّة ويعتدّ بالاستقراء والاستدلال، ومزاج آخر تنزعه نوازع الحرّيّة والتّمرد على صرامة المنهج، ويعتدّ بالحدس والموهبة الفرديّة، حتّى أنّ منهم من تُطوّع له نفسه أن يقول إنّ النّقد إبداع على إبداع، وهو قول ضُرب فيه الحقّ بالباطل، ولعمري لئن أخذ القول على إطلاقه كما يفعلون، لما انبغى للنّقد أن يجد له بين علوم الإنسان مكاناً يجعل منه مجالاً معرفيّاً أكاديميّاً متخصّصاً؛ ذلك أنّه من المحالات المعرفيّة أن يُدرّس فنّ بفنّ»<sup>(2)</sup>. يتبيّن في ضوء هذا القول أنّ سعد مصلوح ينظر للنّقد الثّقافيّ من وجهة لسانیّة تعتمد مستويات التّحليل المتضافرة في نقد الثّقافة من خلال اللّغة، وهذا ما يتماشى أيضاً مع مشروعه وهدفه بالأساس؛ إذ يسعى إلى عقلنة النّقد مهما كان نوعه، والابتعاد عن إصدار الأحكام الدّوقيّة في نقد ثقافة ما، وما أبلغ عبارته؛ "ذلك أنّه من المحالات المعرفيّة أن يُدرّس فنّ بفنّ"!

1 - سعد مصلوح، في النقد اللساني -دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف-، ص 229.

2 - المرجع نفسه، ص 233.

## 1-4 التّقيّم اللّسانيّ

تختلف المصطلحات في هذا الباب اختلافا جلياً بين مختلف الباحثين، لكنّها تشترك كلّها في مفهوم المراجعة والتّقيّم، وسعد مصلوح نفسه يؤثّر مصطلح المثاقفة مع أنّه يستعمل في بحوثه مصطلحات كثيرة من قبيل؛ المراجعة، الحوار، الجدّ، الخلاف، التّلاقح، الحجاج العلميّ، المثاقفة، المكاشفة، والمناقشة؛ وقد سبق للباحث "حافظ إسماعيلي علوي" أن أنجز في هذا الإطار مقالا وسمه ب: "في تقويم البحث اللّسانيّ العربيّ المعاصر - كتابات سعد مصلوح أنموذجاً-" (2016).

كما أنجزنا خلال السّنة الماضية تماشياً مع هذا الموضوع المهمّ بحثاً موسوماً ب: " المراجعة النقديّة المؤسّسة للكتابة اللّسانية العربيّة من منظور سعد مصلوح" (2024)، تبّنت فيه مصطلح مصلوح "المثاقفة اللّسانية"، وتوصّلت إلى إيضاح مفهومها -كما عند مصلوح- بالقول أنّها؛ «تعني الحوار العلميّ المنضبط، وذلك ما نستخلصه من مجموع نصوصه، وقوله هنا أشدّ إيضاحاً: "وستتخذ عبارتي صدد ذلك وجهتين: وجهة مُطابقة لشيخي على ما ذهب إليه في مسائل، ووجهة الخلاف عمّا ذهب إليه في مسائل. ولعلّ السبيل الآن ممهودة بعد التّفصيل الذي كان لإنجاز ما صمدتُ إليه من حوار علميّ، أردته ليكون مثاقفة بين الشيخ ومريده". فالمثاقفة عنده تقتضي ذكر أوجه الاتّفاق ثمّ أوجه الخلاف خدمةً للبحث العلميّ، وألّا تحجب الصّداقة بين المؤلّف والمراجع القيامَ بهذا الواجب. وأمّا المنضبط فيعني المؤسّس القائم على دعائم صلبة وأسس متينة، وذلك ما أشار إليه حافظ إسماعيلي علوي في معرض توضيحه لمفهوم التّقيّم اللّسانيّ(\*)؛ "ومن تلك الأسس: وضوح المنهج والربط بين المقدمات والنتائج، واعتماد أساليب التّوضيح، ووجهة صياغة الأسئلة والإشكالات والإجابة عنها بوضوح، والموضوعيّة في الطّرح، وتنوّع المرجعيّات التّفسيرية، واعتماد آليات التّحاجج والتّناظر في التّحليل" (1).

بناءً على ما سبق، تطلّ الحاجة إلى هذا النوع من الكتابة التّقيميّة المؤسّسة مطلباً ضرورياً في زمن الذّكاء الاصطناعيّ؛ (ChatGPT) نموذجاً، والانفجار المعرفيّ، وتراكم

\* ينظر بالتّفصيل إلى بحثه: حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللّسانيّ العربيّ المعاصر - كتابات سعد مصلوح أنموذجاً-، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري - تيزي وزو-، الجزائر، ع36، جوان 2016.

1 - علاء الدين فداوي وعلية بيبية، المراجعة النقديّة المؤسّسة للكتابة اللّسانية العربيّة من منظور سعد مصلوح، مجلة أبوليوس، جامعة سوق أهراس، الجزائر، مج11، ع2، جويلية 2024، ص ص122-123.

البحوث والدراسات في جميع المجالات المعرفيّة؛ ومن بينها مجال الدّرس اللّسانيّ الذي يخصّنا بالدّرجة الأولى، إذ وجب تمييز جيّد البحوث من رديئها، وصحيحها من فاسدها، وأصيلها من مستسخها حتّى نرتقي بجودة البحث العلميّ. والملاحظ في النّقافة العربيّة أنّ فئة قليلة جدّا من تؤمن بجدوى المراجعات وفائدتها، إذ لا يزال السّواد الأعظم يعدّها من قبيل الانتقاص والازدراء وتصفية حسابات شخصيّة، ولعمري إنّ هذا لمن الآفات التي تستدعي المعالجة اليوم قبل الغد. ومن سبل المعالجة؛ العمل على إنشاء مجلّات متخصصة في التّقويم والمراجعة، وإدراج هذه الأخيرة كمادّة مستقلّة ضمن مقرّر طلبة الجامعات، يضاف إلى ذلك التّرويج لهذه النّقافة عبر الصّفحات العلميّة على منصّات التّواصل الاجتماعيّ. وخير ما يُضربُ به المثل في هذا السّياق؛ صنيع مجلّة اللّسانيّات العربيّة الصّادرة عن مَجْمَع الملك سلمان العالميّ للغة العربيّة بالسّعوديّة، إذ تُخصّص بحثًا ثابتًا يُعنى بمراجعة كتاب مختار ضمن كلّ عدد منشور (\*). ولالإشارة فإنّ سعد مصلوح أحد أعضاء اللّجنة الاستشاريّة لهذه المجلّة المرموقة.

## 2- ملامح الفكر النّقديّ لدى سعد مصلوح

### 2-1 نقد الوضع اللّسانيّ العربيّ عامّة

من المجالات التي تميّز فيها سعد مصلوح حتّى أصبح قطبا من أقطابها الرّاسخين؛ مجال المراجعة النّقديّة للكتابة اللّسانيّة العربيّة، وهدفه في ذلك كما عبّر عنه في مقامات تأليفيّة مختلفة، ومناسبات علميّة متفرّقة؛ التّوصّل إلى حلّ للمشكلات الرّاهنة، ومواجهة للتّحدّيات المرتقبة، وتجاوز للعقبات المرصودة، ومعالجة للاختلالات الحاصلة ضمن مسار التّرقية والتّجويد والتّنمية اللّسانيّة. يقول في خاتمة بحث تقويميّ: «وهذا البحث يتغيّا فيما يتغيّا تبصيرا بالسّلبيّات الواجب تجاوزها، وتنبيهها إلى المجالات والدّروب المرتجى سلوكها، وتقويما أرادته البحث أن يكون موضوعيّاً -ولعلّه هكذا كان- للدّور المرتقب الذي ينتظر اللّسانيّات في تشكيل ملامح الغد العلميّ والفكريّ لثقافتنا العربيّة الإسلاميّة»<sup>(1)</sup>.

وبالعودة إلى سلسلة أبحاثه ودراساته، نجد الأستاذ لا يتوانى كلّما سنحت له الفرصة في نقد وتقويم المكتبة اللّسانيّة العربيّة بعامة ضمن مقدّمات أعمال مختلفة، أو في ثنايا فصولها

\* ينظر مثلا إلى البحث المتضمّن في العدد الأخير من المجلّة: هشام بُخيري، مراجعة كتاب "بلاغة التّضاد في بناء الخطاب: قضايا ونماذج" للدكتور عبد الرحمان بودرع، مجلة اللّسانيّات العربيّة، مجمع الملك سلمان العالميّ للغة العربيّة، السّعودية، مج11، ع21، محرّم 1447هـ/ يوليو 2025م، ص 177 إلى ص 185.

<sup>1</sup> - سعد مصلوح، في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة - دراسات ومثاقفات-، ص37.

ومباحثها؛ كما هو الحال في مقدّمة الطّبعة الثّالثة من كتابه "الأسلوب" الموسومة بـ "عن اللّسانيّات العربيّة وقراءة النّصّ الأدبيّ" (1992). ومن البحوث الّتي خصّصها لذات الغرض؛ بحثه المعنون بـ: "اللّسانيّات العربيّة المعاصرة والتّراث؛ حصاد الخمسين" (1998). حيث وقف فيه متأمّلاً لمظاهر السّلب الّتي حالت دون فكر لسانيّ عربيّ أمثل، ووصل عددها إلى ثمانية مظاهر أو يزيد(\*)، ولعلّ كثيرا منها ناتج بسبب الإشكال الّذي يحمله العنوان، والمائل في العلاقة الجدليّة بين اللّسانيّات والتّراث، وافترق الباحثين في ذلك إلى مذاهب شتّى.

أمّا مذهب سعد مصلوح في ذلك، فبيّئُ عنه بوضوح شديد في هذا المقام، وهو عقيدة ثابتة لا يحيد عنها في كتاباته، ويرى أنّها السّبيل نحو بحث رصين، وفكر قويم سديد، ويتجلّى في ما يعبر عنه بقوله: «تحقيق التّواصل بينه وبين العلم الوافد، ولا يكون التّواصل إلّا بتوزيع

\* نجدها مختصرة في خاتمة بحثه: "اللّسانيّات العربيّة المعاصرة والتّراث؛ حصاد الخمسين". وقرئت هذه الورقة البحثية في الندوة العلمية الدولية الثانية التي أقامتها كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس تحت عنوان: الأصيل والدخيل في التراث العربي الإسلامي، 27-28 نوفمبر 1998. كما تضمّن تقديمه لمعجم القراءات لعبد اللّطيف الخطيب بعضها. وهي كالآتي:

. غياب الإعداد الجيّد للباحث بوقوف معارفه وخبراته عند حدود ما صنّف بالعربيّة وما ترجم إليها، من غير اتّصال مباشر بمصادر المعرفة اللسانية الإنسانية.

. كثير من المصنّفات السّانِيّة في العربيّة -من نتاج ما بعد الجيل الرائد الأوّل خاصة-، كانت تأليفا أشبه بالترجمة أو ترجمة أشبه بالتأليف، وهذا مدعاة لسوء الفهم وسوء الإفهام.

. كثير من المترجمات يكابد مشقة السيطرة على الفكرة في أصولها، وإحكام العبارة عنها في صياغتها العربيّة، وبعضها كان مرتعا للأغاليط وسذاجة التعليق.

. وجود قطيعة راسخة بين المشتغلين بعلم اللسان في أقسام اللغة العربيّة وأقسام اللغات الأجنبيّة في جامعات العرب. استباحة غير اللسانيين لحرمة اللسانيّات، ثم استباحة نفر من اللسانيين أو المنتسبين إلى اللسانيّات لحرمان التخصصات الدقيقة.

. التوسع الكمي في إنشاء الجامعات من غير أن يواكبه إعداد جيد لهيئة التدريس.

. استرخاء قبضة الإشراف العلمي إلى حد أوقعه في شرك الشكلية.

. غياب الحسبة العلمية، وأمن النقد، وهيمنة المجاملة.

(ونشير هنا إلى أنّ الحسبة مفهوم إسلاميّ، وتعني وظيفة رسمية من وظائف الدولة المسلمة، يقوم ولي الأمر بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقا لمصالح الناس الدنيوية والدنيوية وفقا لشرع الله تعالى). ينظر، عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مفهوم الحسبة في الإسلام، موقع الألوكة، 2015/12/28، <https://2u.pw/IWXoV>

ويقول سعد مصلوح في خاتمة بحثه "في صوتيّات العربيّة لمحيي الدّين رمضان - عرض وتصويب-": "ولا بدّ أخيرا من إحياء وظيفة الحسبة الإسلاميّة في مجال العلم والمعرفة حماية للعقول، ذلك أنّ حماية العقل هي من مقاصد الدّين بإجماع أهل الأصول". (سعد مصلوح، في اللسانيّات العربيّة المعاصرة -دراسات وثقافات-، ص 199).

الأدوار بينهما على جهة التّكامل والتّفاعل؛ إذ يُعْتَدُّ بالقديم كاشفا عن الخُصوصيّة، ومنتبعا دؤوبا شديد التّحصيل والتّفصيل للبنى الظّاهرة والباطنة، وواضعا للمصطلحيّة المسمّية لأدقّ الأوصاف والنّعوت. أمّا العلم الوافد فعليه عبء التّدقيق والإضافة في مجال المصطلح، والابتكار في تقنيّات المعالجة، وتوسيع آفاق النّظرة لاستكشاف النّظم والعلائق المستكنة وراء السّطح الظّاهر، وتحقيق المواءمة بين وسائل البحث وما يُجَدُّ من وظائف، واستبصار الحلّ لما يظهر من مشكلات. وكِلا العِلْمين القديم والوافد في هذه الشّركة مفيد ومستفيد؛ إذ يُكَيّف كلاهما أخاه ويرفده، وينتفع به ألوانا من الانتفاع المتجدّد إلى غير ما نهاية<sup>(1)</sup>. وبهذا الطّرح المقترح، وتوزيع الأدوار بين القديم والجديد، نتجنّب الدّخول في صراع لا فائدة من ورائه.

وإذا كان هذا المقترح بمثابة حلّ نسبيّ للجدل القائم بين التّراث والحداثة، مع أنّه من الصّعب بمكان حسمه قولا واحدا، بالنّظر للتّوجّهات الفكرية والخلفيّات المعرفيّة والأطر المنهجية التي ينطلق منها كلّ باحث، فإنّ تجاوز مظاهر السّلب التي عبّر عنها مصلوح، إنّما يكون باتّباع مفهوم المخالفة، وهذا أيضا من المصطلحات كثيرة الورد لدى الباحث، وهو فكرة مستلهمة من أصول الفقه جديرة بالموافقة والاتباع. يقول: «فأمّا الطّريق إلى تجاوز سلبيّات الواقع اللّسانيّ، فإنّه معروف بمفهوم المخالفة لما سبق تقريره؛ ومفهوم المخالفة - كما يعرفه الأصوليون -؛ هو ثبوت الحكم في المسكوت عنه على خلاف الحكم في المنطوق به»<sup>(2)</sup>.

وبالإضافة إلى المقترحين السابقين؛ مقترح تحقيق القراءة التّفاعليّة بين المنجزين؛ اللّغويّ التّراثيّ واللّسانيّ الحديث، وكذا اتّباع مفهوم المخالفة في تجاوز السّلبيّات المرصودة للواقع اللّسانيّ، ثمة عامل آخر مهمّ جدّا في الارتقاء بالوضع اللّسانيّ العربيّ حسب سعد مصلوح، ويتمثّل في تحديد المشروعات اللّسانية القوميّة الكبرى، والمشكلات التي تحتاج إلى حلّ، ومباشرة إنجازها وحلّها بكفاءة ومسؤوليّة، وهي كالآتي:

«1- إنجاز الأطلس اللّسانيّ العربيّ. 2- إنجاز المعجم التّاريخيّ. 3- التّأريخ لظواهرات العربيّة وتتبع مسارات تطوّرها في الزّمان والمكان. 4- المشروع القوميّ لترجمة مصادر الفكر اللّسانيّ المعاصر وإصداراته المتميّزة، والتّعريف بالتّراث اللّسانيّ العربيّ للناطقين بغير هذا

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات -، ص 31.

2 - المرجع نفسه، ص 33.

اللّسان. 5- المشروع المصطلحيّ اللّسانيّ العربيّ؛ استيعابا وضبطا وتوحيدا وتقريبًا. 6- دراسة فصحيّ العصر في تنوّعاتها القطريّة والاجتماعيّة والمقاماتيّة (البراغماتيّة)»<sup>(1)</sup>.  
والحال أنّها مشاريع مغرية جدًّا وحقيقة بنقل الوضع من جهة إلى جهة، وقد كانت هذه الدّعوة مع نهاية القرن الماضي، وتحديدًا سنة 1998. والملاحظ اليوم وبعد مرور أزيد من عقدين أنّ بعضها قيد الإنجاز، والبعض الآخر لم يُلتَمَّ إليه؛ فالمعجم التّاريخيّ مثلًا اضطلعت مؤسّستان مختلفتان بإنجازه؛ أمّا الأولى فهي المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات بقطر، وأطلقت عليه اسم "معجم الدّوحة التّاريخيّ للغة العربيّة" 2013، وهو الآن في مرحلته الثّالثة والأخيرة<sup>(\*)</sup>. وأمّا المؤسّسة الثّانية فهي مجمع اللغة العربيّة بالشارقة، وأسمته؛ "المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة" 2018، وتمّ الانتهاء منه سنة 2024، وبلغ عدد مجلّداته 127 مجلّدًا، وهو ما يوافق عدد الباحثين الجزائريّين المشاركين فيه. والمفارقة هنا أنّ من بدأ متأخرًا أتمّ أولًا! هل ثمة أسباب معيّنة في ذلك؟ أم إنّ العمل الجيّد يتطلّب وقتًا أطول؟

وباستثناء المعجم التّاريخيّ الذي كان له نصيب موفور في الوطن العربيّ على الرّغم من تأخّر إنجازه، حيث كانت فكرته الأولى مع المستشرق الألمانيّ "فيشر" سنة 1936، تظلّ

1 - المرجع نفسه، ص 34.

\* أعلن يوم الإثنين 22 ديسمبر 2025 في حفل بهيج بمدينة لوسيل القطرية عن اكتمال معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. ومن التعليقات التي رصدتها بعد يومين من الإعلان تعليق مائز للأستاذ سعد مصلوح يقول فيه: " ما بي أن أكون كمن يطم الخدّ ويشقّ الجيب في حفل العرس. بيد أنّ كلمة نصح تراودني عن لساني، وما من قولها بدّ: عن مؤسّساتنا ومشروعاتنا اللّسانيّة الكبرى أقول: إنّ المعجم الكبير ومعجم الشارقة التّاريخيّ، ومعجم الدّوحة التّاريخيّ، ومعجم الشّعر العربيّ؛ كلّ أولئك عسيّ أن يكون موضوعا للفحص المنهجيّ البصير والمتلبّث في دراسات علميّة متخصصة؛ توفيرًا للجهد والإنفاق، وتحقّقًا من استقامة المنهج وحقّيّة الجدوى، واستبانة للسبيل، وحتّى لا تستبين الأمة رشدها إلّا ضحى الغد، والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل". (سعد مصلوح، تعليق بمناسبة اكتمال معجم الدّوحة التّاريخيّ، الصّفحة الرّسميّة على الفيسبوك، [./https://www.facebook.com/share/p/17MnRUUNyR](https://www.facebook.com/share/p/17MnRUUNyR), 2025/12/24).

وكتب الباحث السّوري منذر عياشي تعليقًا مفاده: " تقام احتفالات هنا وهناك بإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية. وفعلاً هذا أمر يستحق الاحتفال والاحتفاء به. ولكن ما يجب أن يكون معلوما هو أن القاعدة المنهجية الأساسية التي يقوم عليها هذا المعجم هي الاستقراء. ولقد نعلم أن هذا المنهج يبقى عاجزا في أدائه، لأنّه مهما اتسع، فستبقى هناك ألفاظ واستعمالات لألفاظ خارج استيعابه وإحاطته، وما كان ذلك إلا لأن اللغة فعل خلاق، وتجديد الدلالة فيه مثل نهر جارف لا يمكن إيقافه لرصد ما فيه. وبهذا المعنى فإنّ هذا المنهج (الاستقراء) يصح تطبيقا على اللغات الميتة وليس على اللغات الحية كالعربية. بيد أن هذا لا ينفي الفائدة العظيمة التي نجنيها من إنجازه". أقول: ولذلك لن يتمّ طبعه وسيبقى إلكترونيا حتى يسهل التعديل وتتنيسر الإضافة كلّما دعت الحاجة. (منذر عياشي، تعليق بمناسبة اكتمال معجم الدوحة التاريخي، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، [./https://www.facebook.com/share/p/17rgPEXuPP](https://www.facebook.com/share/p/17rgPEXuPP), 2025/12/25).

المشاريع الأخرى على أهمّيّتها البالغة لصيقة المحاولات الفرديّة ضمن الأطروحات الجامعيّة أو المخابر العلميّة ووحدات البحث، فلا يوجد من تنبّأها من الدّول والمؤسّسات والهيئات السّامية فيما نعلم إلى حدّ كتابة هذه الأسطر، وذلك دليل على أنّ اللّغة العربيّة لا تشغل القيادات السّياسيّة. ومن المحاولات القُطريّة نشير إلى مشروع الأطلس اللّسانيّ الجزائريّ المشتغل عليه في إطار مركز البحث العلميّ والنّقنيّ لتطوير اللّغة العربيّة -وحدة ورقلة-، وقد أعلن المجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر خلال هذه الفترة عن الانطلاق في تجسيد المشروع بصفة رسميّة(\*).

إنّ تقديم مصلوح لمشروع الأطلس اللّسانيّ العربيّ على مشروع المعجم التّاريخيّ في التّرتيب لم يكن اعتباطاً؛ فهو يعتقد أنّ إنجازَه أكثر أهمّيّة، وهذا ما وجدناه قائلاً به في إحدى محاوراته المرئيّة المسجّلة، وفي ما يلي تلخيص له: «إمّا أن يُقدّم الأطلس على المعجم، أو يسيران بالتّوازي، والأطلس أولى بالعمل لأنّه يحمي المفردات الحاضرة من التّقلّت، حيث هناك منجم من المفردات والتّنوّعات اللّغويّة يتقلّت من بين أيدينا ونحن شهود لا نستطيع أن نمسك به. نمسك بالحاضر أوّلاً، وإذا تأخّرنا في إعداد المعجم التّاريخيّ فذلك لا يضرّ؛ لأنّ مصادره تزيد ولا تنقص، وأمّا التّنافس بين معجم الشّارقة والدّوحة فليس جيّداً. وينبغي الإشارة إلى أنّه لا توجد فواصل بين اللّهجات والفصحى على مستوى المعجم، ولا يمكن قياس المعاجم التّاريخيّة العربيّة على الغربيّة؛ لأنّ الفجوة ليست كبيرة بين التّنوّعات اللّغويّة والنّمودج الفصيح في اللّغات

\* أرسلتُ المنشور إلى سعد مصلوح في الحين، وعلّق قائلاً: "وقفكم الله وسدّد مسيرتكم وبلّغكم مقصودكم. هذا نبأ رائع". وفي ما يلي نصّ الإعلان بتصوّف: " في ظهيرة يوم الثلاثاء 16 سبتمبر 2025، احتضن مقرّ المجلس الأعلى للّغة العربيّة اجتماعاً رسمياً لتتصيّب لجنة مشروع الأطلس اللّسانيّ الجزائريّ برئاسة رئيس المجلس أ. د صالح بلعيد. يأتي هذا المشروع العلميّ الوطنيّ بمشاركة إدارات من المجلس ونخبة من الأساتذة المتخصّصين في اللّسانيات والمعلوماتية، يسعون لوضع خارطة طريق لإنشاء منصّة رقميّة تحمل اسم «الأطلس اللّسانيّ الجزائريّ». وستوفّر هذه المنصّة مدوّنة صوتيّة مُصنّفة تعكس التّنوع اللّسانيّ في الجزائر، وتقدّم مادّة علميّة قيّمة.

يهدف المشروع إلى رسم خريطة للتّنوع اللّغويّ الوطنيّ عبر مسح ميدانيّ يشمل مختلف ولايات البلاد، من خلال جمع الكلمات والتّعبيرات وتسجيل طرق النّطق وتحويلها إلى خرائط لغويّة توضّح انتشار اللّهجات واللّغات.

ويُعدّ الأطلس اللّسانيّ الجزائريّ مشروعاً استراتيجيّاً للحفاظ على التّراث اللّغويّ الوطنيّ، وتوفير قاعدة بيانات علميّة للباحثين، وإبراز غنى الهويّة الجزائريّة وتنوّعها. إنّه ذاكرة لغويّة للأمة، وجسر يربط الماضي بالحاضر ويخدم الأجيال القادمة". (ينظر، المجلس الأعلى للّغة العربيّة، ب/خ مشروع الأطلس اللّسانيّ الجزائريّ، الصفحة الرسميّة للمجلس على الفيسبوك، <https://www.facebook.com/share/p/176Pn8dVu6/>, 2025/09/16).

الغربيّة على عكس العربيّة التي بها حدّ حاسم وفاصل»<sup>(1)</sup>. والحقّ أنّه كلام نفيس، يُكتَبُ لأوّل مرّة، ولو أُخذ به لكان الحال أفضل ممّا كان، وبخاصّة فيما يتعلّق بالتّنافس على إنجاز المعجم. لمْ لمْ تضطلع مؤسّسة بالأطلس وأخرى بالمعجم حتّى لا تُهدِر الوقت والجهد والمال في مشروع واحد؟

هذا بالنّسبة للأطلس اللّسانيّ والمعجم التّاريخيّ، وإن كانت المشاريع الأربعة الأخرى تأتي تباعا من حيث الأهميّة، إلّا أنّه لا ينبغي تهميشها؛ كونها تمسّ جوانب جديرة بالبحث والاهتمام، وتعالج مشكلات في صميم البحث اللّسانيّ كقضايا التّرجمة والمصطلحيّة واللّهجات.. «ومن المهمّ هنا أن نشير إلى حقيقة ذات خطر؛ هي أنّ ضمان المعالجة العلميّة لهذه القضايا مشروط بتجاوز مظاهر السّلب التي أسلفنا بيانها، ذلك أنّ العنوان مجردا ليس ضامنا لجديّة ما يندرج تحته من حديث، كما أنّ شرف الموضوع ليس ضامنا لعلميّة المعالجة»<sup>(2)</sup>. وهذه ملاحظة نابغة من الواقع اللّسانيّ العربيّ، وكثيرا ما ينبّه إليها الأستاذ ويؤكّد على اجتنابها، لأنّه فعلا نجد الكثير من العناوين الجذّابة التي يبدو عليها معالجة مشكلات وقضايا مثيرة، فإذا ما قلبنا الصّفحات انكسرت التّوقّعات وخابت الظّنون.

وعلى ذكر معالجة المشكلات، يجدر بنا إحاطة القارئ الكريم أنّها إستراتيجية سعد مصلوح المفضّلة، ومرجعيتّه النّاجعة في الحكم على قيمة الفكرة من عدمها. يقول في خاتمة بحث تقويميّ: «وقيمة الفكرة إنّما تتحدّد بما تحلّ من مشكلات، وأنّ الوقوف عند السرد التّاريخيّ المأمون العواقب، والسّباحة - غير الماهرة أحيانا- في لجج النّظريّات المتعارضة، لا يمكن أن يزيدنا معرفة بما في أيدينا، ولا أن يقودنا إلى الإسهام في الحوار العلميّ الإنسانيّ بنصيب ذي بال»<sup>(3)</sup>. إذن فالنّظير هو المحكّ الحقيقيّ لاختبار الأفكار اللّسانيّة الغربيّة ومدى ملاءمتها لنصوص العربيّة، وهو سبيلنا نحو الانخراط في المجرّة اللّسانيّة العالميّة. ويرشدنا هذا القول أيضا إلى عدم الاكتفاء باستيراد النّظريّات وتلقينها للأجيال دون الإفادة منها في ثقافتنا.

وممّا يلاحظ على نقد سعد مصلوح للوضع اللّسانيّ العربيّ عامّة؛ أنّه يكتفي بالتّشخيص والاقتراح دون تمثيل ولا إيراد للعناوين وأصحابها، وقد لفت الانتباه إلى ذلك بقوله: «هذا، وإنّي

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، موازين- اللغة العربيّة واختبار الهوية، القناة: الجزيرة AlJazeera Arabic، 2024/12/21،

[https://www.youtube.com/watch?v=x\\_edtRyJrJs](https://www.youtube.com/watch?v=x_edtRyJrJs)

<sup>2</sup> - سعد مصلوح، في اللسانيّات العربيّة المعاصرة - دراسات ومثاقفات-، ص35.

<sup>3</sup> - سعد مصلوح، في النقد اللّسانيّ -دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف-، ص200.

وإن كنت تركت التمثيل لما أقول، فإنّ الأسباب لا تخفى على لبيب. غير أنّي زعيم بأنّ القارئ المتتبع لأدبيّات البحث اللسانيّ المعاصر في العربيّة، لن يقرأ كتابا أو أطروحة أو دراسة في هذا الباب من العلم إلّا وهو مستطيع أن يُنزلَ مقروءه منزلته ممّا نكرت في هذه الورقة فُربا أو بُعدا، واتّقا أو افتراقا، وثقلا في الميزان أو خفة»<sup>(1)</sup>. وإن كان مصلوح قد فضّل ترك التمثيل في هذا اللون من النّقد العامّ لأسباب - على ما يبدو - تعود إلى صعوبة حصر جميع النّمادج، أو بسبب ذهنيّة الباحث العربيّ وعدم تقبّله للانتقاد، فإنّه ربط بحوثه النقديّة الخاصّة بأصحابها، ودلّ فيها بالاسم واللّقب على هفواتهم وأخطائهم المنهجية والنّظرية الواجب تجاوزها.

وتركّ التمثيل للنّمادج السنيّة سمة مائزة سواء في الرّصد الأوّل سنة 1992، تحت ما أسماه؛ "مظاهر الخلل في المكتبة اللسانية العربيّة"<sup>(2)</sup>، وأجملها في خمسة مظاهر. أم في الرّصد الثاني سنة 1998، تحت ما أسماه "مظاهر السلب في الواقع اللساني"<sup>(3)</sup>، وأجملها في أحد عشر مظهرا. وليس ثمة فرق كبير بين الرّصدين؛ حيث اقتصر الأوّل على واقع التّأليف اللسانيّ وما يشوبه من علل، بينما شمل الثاني توصيفا لأزمة الواقع اللسانيّ على العموم (فهما وتخطيطا وبحثا وتأليفا..). أم في بحوث عامّة تخصّ فرعا لسانيّا معيّنًا، كما هو الحال في بحثه سنة 2010 "بين الأسلوبيات المعاصرة والأسلوبيات العربيّة: أبعاد الفجوة وآفاق التّجاوز". وتحديدًا مبحثه المتضمّن فيه؛ "الأسلوبيات العربيّة: الأعراض والأمراض"<sup>(4)</sup>. ومن ذلك قوله الآتي: «ولعلّ من أظهر أعراض القعود عن طلب ما هو جادّ وجديد، ما نلحظه من تناسخ الأعمال العلميّة عند كثير من شباب الباحثين ممّن يودّون أنّ غير ذات الشّوكة تكون لهم. فكم من الأطروحات التي تحمل اسم شاعر أو كاتب أو فنّ من فنون القول مقرونا بعبارة "دراسة أسلوبية"، وتقوم على احتذاء المنهجيات الغالطة تكرارا وانتساخا»<sup>(5)</sup>. وإن كانت الملاحظة في الصّميم، فمن المستحسن الممكن الإشارة إلى أعمال هؤلاء الباحثين، وربط المدلول بالذّالّ حتّى لا يكون كلاما عامّا، وينتبه المعنيّون إلى سوء صنيعهم فيحيدوا عنه إلى ما هو أصوب وأنفع.

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات -، ص 37.

2 - ينظر، سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية -، ص 14 إلى ص 16.

3 - ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات -، ص 23 إلى ص 28.

4 - ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد - أوراق بينية -، ص 220 إلى ص 227.

5 - المرجع نفسه، ص 223.

وجدير بالذّكر أنّ تفضيل ترك التّمثيل يشمل فقط مظاهر الخلل، وأمّا الإشارة إلى النّماذج الرّائدة فحاضر على قلّته؛ ففي الرّصد الأوّل نجده يشيد بإبراهيم أنيس في قوله: «وأنت إذا قرأت كتب رائد اللّسانيّات العربيّة الأوّل أستاذنا الدّكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله-، وجدت عبارات يخطئها الحصر من مثل قوله: "ويرى علم اللّغة الحديث كذا"، أو "في رأي علماء اللّغة المحدثين كذا". ومن هنا استقرّ في روع جيل الخالفين من أمثالي أنّ علم اللّغة الحديث علم واحد، وأنّه منظومة متجانسة من المقولات والتّصورات يكاد يضيق الخلاف حول أسسها المنهجية أو ينتفي..»<sup>(1)</sup>.

وكذلك الحال في الرّصد الثّاني؛ وإن كانت الإشادة هنا بأعلام التّراث اللّغويّ العربيّ، ونجدها في موضعين؛ أمّا الأوّل في قوله: «وأما الأخرى فالنّظر إليه متجليًا في المنجز اللّسانيّ الذي تحقّق على يد أعلام يحتلون مكانا متميّا في تاريخ الفكر اللّسانيّ الإنسانيّ؛ من أمثال الخليل وسيبويه وابن جنّي والجرجانيّ والسّكاكي»<sup>(2)</sup>. واللافت هنا تعبيره عن اللّغويّ باللّسانيّ، وقد مرّ بنا أنّ ميّز بينهما على خلاف ما وظّفه ههنا. وأمّا الموضع الثّاني الذي يحمل الإشادة، ويدعو من خلاله إلى ضرورة الإضافة لما أنجزه الأعلام الأوائل، وعدم الاكتفاء بما قدّموا من منطلق "ما ترك الأوّل للأخر شيئاً"، فمائل في قوله: «لقد انحصرت الأطروحات والبحوث في وادٍ ضيقٍ مهما بدا رحبا، أعني به النّتاج المعرفيّ اللّسانيّ، حيث وقف المرّاد العظام كالخليل وسيبويه وابن جنّي وغيرهم سدّا عاليًا، وواسطة بين اللّغة والباحث المعاصر لا يسهل تجاوزها. وهكذا ظلّ الباحث المعاصر مورّعا بين التّباهي بما أنجز الأسلاف، وإقامة الصّح المعقول أو اللّامعقول بين مقالات القدماء وكشوف المحدثين..»<sup>(3)</sup>.

وبالنّظر في البحث التّقويميّ للأسلوبيات العربيّة سالف الذّكر، وجدنا أنّ خصيصة التّمثيل للنّماذج الجيدة حاضرة أيضا، وكانت ههنا من نصيب الباحث التّونسيّ "المختار كُرَيْم" في موضعين؛ الأوّل يتجلّى في ما ذكره الأستاذ مصلوح: «وأسمح لنفسي هنا، أن أقتبس أسطرا دالة على ما نحن صدده من باحث عربيّ رصين هو المختار كُرَيْم، من سفره القيمّ "الأسلوب والإحصاء" (2006)، وقد كتبها في معرض إبداء بعض الملاحظ على أحد أعماله؛ وكثير

1 - سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-، ص 15.

2 - سعد مصلوح، في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة - دراسات ومناقشات-، ص 29.

3 - المرجع نفسه، ص 34.

من ملاحظه سديد، وعندي به سابق علم (...). ثمّ يفتح لي باب العذر سماحة منه وكرماً»<sup>(1)</sup>. والثّاني قوله: «ولقد أشار إلى ذلك المختار كُرَيْم في سفره السّالف الذّكر في ختام ملاحظه على ما قدّمْتُ من عمل (...)» وأقول: إنّ الباحث قال صواباً. ولقد لبثتُ في انتظار هذا التّقويم حقبة نيّقت على ربع قرن، لكنّه أتى. وليست سعادتي بملاحظه ونقده دون سعادتي بما أتى ومدح»<sup>(2)</sup>.

ولا شكّ أنّ هذه المحاوره المتباعدة زماناً ومكاناً بين سعد مصلوح والمختار كُرَيْم، تعلّمنا درساً في تواضع العلماء وتقبّلهم للنّقد بصدر رحب، ما دامت الملاحظات الموجّهة صادقة ولم تخرج عن إطار العلميّة، وبخاصّة عندما تُسبّق وتُلحَق بعبارات مقدّرة للجهود ومثنية على المردود وملفّته للجوانب المضيئة في العمل. كما نستفيد منها؛ أنّ الأعمال الجادّة مهما طالها التّهميش؛ سواء عن قصد أو غير قصد، سيأتي اليوم الذي ترى فيه النّور، وتصبح مجالاً أثيراً تنتظم فيه الدّراسات وتُعقّد لأجله النّدوات. ومثال على ذلك الفكر الأصيل لـ "دو سوسير" كما في مخطوطاته، حيث لم يُعثر عليها إلّا سنة 1996؛ أيّ بعد ثلاث وثمانين سنة من وفاته، ولم تنشر محقّقة إلّا سنة 2002، ثمّ تُرجمت إلى العربيّة مطع العقد الثّالث من هذه الألفيّة على يد الباحث الجزائريّ مختار زاوي من قسم اللّغة الفرنسيّة بجامعة سيدي بلعبّاس؛ بداية بكتاب "في جوهريّ اللّغة" (De l'essence double du langage)، سنة 2019، ثمّ "نصوص في اللّسانيّات العامّة" (écrits de linguistique générale) سنة 2021.

وفي هذا الصّدّد، يُرشدُ الأستاذ سعد معشر الباحثين ذات محاوره مرثية نافعة إلى المسلك الواجب اتّباعه، والنّهج الجدير بالتّأسي، وفي ما يلي تلخيص له: «لا تكتب ما كتبه غيرك، ولا تكتب ما يتوقّعه غيرك، وإذا كتبت لا تنتظر أثراً مباشراً لما تكتب، بل اكتب ما ترى فيه الفائدة العاجلة أو الآجلة للذي لا تراه ولم يأت بعد؛ لأنّ هذا هو الباقي. أمّا الذي يكتب وعينه على النّاس: ماذا سيقولون؟ فإنّه يضيّع وقته وينتظر ما لا يُنتظر. ولقد أخرجتُ كتاب الأسلوب سنة 1980، وجاءني الرّدّ المنصف سنة 2006 من أستاذ في الجامعة التّونسيّة.

1 - سعد مصلوح، في اللّسانيّات والنقد - أوراق بينية-، ص 219.

2 - المرجع نفسه، ص 226.

وعليه سيأتيك أجرك عاجلاً أو آجلاً»<sup>(1)</sup>. فما أجلّ هذه النصيحة(\*) وما أعظم فائدتها! ويزيد إعجابنا بها حينما نعلم أنه «يفرح بالسلبيات أكثر من الإيجابيات؛ لأنّ السلبيات كاشفة ومحفزة

1 - ينظر، سعد مصلوح، كلمة د. سعد مصلوح في ملتقى (الإثنية) بجدة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، الكويت،  
https://www.youtube.com/watch?v=UZy7NcDJRpU, 2022/09/04

(كانت هذه الكلمة في احتفاء الوجيه السعودي الشيخ عبد المقصود خوجة - رحمه الله - بشيخنا الأستاذ الدكتور سعد مصلوح - حفظه الله - في لقاء (الإثنية) بجدة، وذلك بتاريخ 2015/03/09).

\* ومن النصائح الحديثة الجامعة، والوصايا الثمينة الحقيقة بالنقل للأستاذ سعد مصلوح؛ هذه النصيحة الماتعة:  
"نصيحة واجبة إلى الرُفقة السالكين طريقَ الطلبِ من أفتاء الباحثين"

"في الثالث من شهر يونيو عام ثلاثة وعشرين بعد الألفين، عقدت جامعة الوصل في دولة الإمارات مؤتمراً رصينا، كان موضوع الاندلاء فيه: "الاتجاهات اللسانية المعاصرة وتطبيقاتها". وأسهمت فيه بورقة بحثية عنوانها: "شواغل الأسلوبيات المعاصرة وتطبيقاتها". وقد شاء كرم الإخوة القائمين على تنظيم المؤتمر أن يجعلوا من بين فعالياتهم تكريماً واحتفاءً بي، وتَحَيَّنَتْ هذه السانحة الطيبة في كلمة الشكر لأوجّة كلمة نصح إلى شبيبة الباحثين، رأيت أداءً للأمانة وإبراءً للذمة أن أقتبس منها فقرة أحسبها مهمة. وفي ما يأتي نصّها:

"إنّ ما تفضلتم به من التكريم والحفاية لا ينصرف إلى شخص المتكلم، بل إلى منظومة من المعاني والقيم التي ينبغي للمشتغل بالعلم أن يستمسك بها؛ فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، وإن تكُنْ طويلة الأمد بطيئة العائد؛ فعلى مَرِّ هذه العقود المتطاولة كان من أنعم الله العسيّة بالشكر أني لم أعرف لي اشتغالا إلا بالعربية، ولا ولاءً إلا لتراثها. وحين هاجرت في الأرض وجدتُ فيها مُراعماً كثيراً وسعة؛ إذ كانت هجرة في المكان والزمان والألسنة. لكنّ الهجرة في حقيقتها لم تكن إلا إليها ومن أجلها. ولقد حاولتُ أن أكون وسيطاً معرفياً أميناً، وخادماً لهذا اللسان الشريف، وأن أُمَيِّرَ تمييزاً واعياً بين المتابعة والتبعية. إن متابعة المنجز الإنساني في كل مجال هو من فروض الكفاية التي أمرنا بها الشرع الشريف؛ فإن الكلمة الحكمة ضالّة المؤمن، أينما وجدها فهو أحقُّ بها. أما التبعية فلا تجوز من صاحب فكر أصيل، ومن حُرِّمَ الأصول في ابتدائه حُرِّمَ الوصول في انتهائه.

تلكم هي الوساطة المعرفية الواعية التي دعوتُ إليها. ولا أزال. شبيبة العلماء وأفتاءهم. إنني أقول لطالب العلم والباحث الجاد في مقام النصيحة الواجبة على من كان في مثل سني لمن كان في مثل سنّه: آفاق المعرفة مترامية المدى؛ فلا ترض بأن تقعد مع الخوالب، لكن عليك أن ترتادها بوعي، وعينك على خصوصية لغتك وتراثك. اقرأ مستوعباً، وفكر ملياً، وتمثّل ما تقرأ كما تتمثّل المعدة الصحيحة الطعام الهنيء، ولا تكتب استعجالاً وبداراً أن يكتب العارفون المتلبثون. واكتب لكي يفهم عنك قارئك غير مُغرِبٍ عليه ولا معاظم، وغير مُتمدِّحٍ بالعجز، ولا دافعٍ بالتكثير تهمة العوز. تلكم هي الوساطة المعرفية البصيرة العسيّة بحمل شارة التنوير، وإلا كان التنوير المزعوم مروادة للناس عن عقولهم، وتشدقاً بغير علم. ولقد أتى هذا المأثي كثير ممن ذاع صيتهم في الناس بالباطل والدعوى؛ فما قطعوا أرضاً ولا أنبؤوا ظهراً. اكتب ما لم يكتبه غيرك، وما لا يكتبه غيرك، ولا تتعجل قطف الثمرة؛ فحسنُ الجزاء آتٍ لا ريب فيه، وقد كتب الله سبحانه على نفسه ألا يضيع أجر المحسنين.

وأشهدُ الله أن ذلكم هو ما عشتُ حريصاً عليه، وهو المعنى الذي ينبغي أن يكون من أجله التكريم، وتلكم هي زُبْدَةُ السقاء ومَخِيضُ العُمُرَيْنِ؛ والعمران في لسان العرب لفظ يعنون به الثمانين من الأعوام، وقد بُلِّغَتْها بحمد الله."

(ينظر، سعد مصلوح، نصيحة واجبة إلى الرُفقة السالكين طريقَ الطلبِ من أفتاء الباحثين، الصفحة الرسمية على الفيسبوك،  
(https://www.facebook.com/share/p/12KhUQ8vnsz/, 2025/07/11).

ودافعة للعمل أكثر، وأمّا الإيجابيات فتجعلك تستريح لما أنجزت»<sup>(1)</sup>. كان هذا تصريحاً منه وتوجيهاً وتنبهاً.

نستنتج إذن في ضوء المراجعات اللّسانيّة العامّة السّالفة، امتلاك سعد مصلوح لحسّ نقديّ ثاقب، ودراية شاملة بالوضع اللّسانيّ العربيّ وما يكتنفه من عوائق حالت دون مواكبته لنظيره الغربيّ، والمميّز في طرحه نوعيّة المقترحات التي من شأنها الارتقاء به. واللافت في عمليّة التّشخيص؛ إعراضه عن التّمثيل للنّماذج السيّئة التي تنطبق عليها مظاهر السّلب المرصودة، وفسح المجال للقارئ حتّى يسقطها بنفسه على ما يراه مناسباً لها<sup>(\*)</sup>، في حين لم يتخلّف عن ذكر بعض الأسماء اللّامعة سواء في التّراث أم في الحداثة.

## 2-2 نقد موجّه لبحوث لسانیة خاصّة

بعد العرض الذي سبق فيما يخصّ نقد سعد مصلوح للوضع اللّسانيّ العربيّ بصفة عامّة، ننتظر الآن إلى إبراز ملامح جانب مهمّ هو الآخر، يحتلّ نسبة كبيرة من أعماله العلميّة، حتّى غدا الأستاذ مرجعاً من مراجعه وعلماً بارزاً من أعلامه؛ ألا وهو المراجعة النّقديّة الموجهة لبحوث لسانیة خاصّة؛ ونعني بالخاصّة أنّها صادرة عن جهة معيّنة، وتعالج فرعاً من فروع الدّرس اللّسانيّ الحديث وما يتّصل به؛ كالصّوتيات والأسلوبيات والمعجميات والمصطلحيات ولسانيات النّصّ والبنويّة اللّسانيّة... وفيما يلي عدد من البحوث المنجزة على سبيل التّمثيل لهذه الفروع:

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، تجربتي مع العربية تعلّماً وتعلّماً، القناة: عبد العزيز العمري، الكويت، 2019/02/08، <https://www.youtube.com/watch?v=uPZkkzRguJ4>

\* ندكرنا هذه الإستراتيجية الذّكيّة، والمتمثّلة في إثارة الإشكال وترك الإجابة للقارئ بصنيع اللّسانيّ الأسترالي "روبرت وليم ديكسون". يقول المترجم: "ومن الجدير بالذّكر أنّ البروفيسور ديكسون جعل عنوان كتابه سؤالاً عن تفضيل لغة على لغة، ولم يجعله حكماً انتهى إليه من خلال عرضه للخصائص اللغوية الكثيرة المختلفة في أكثر من مائة من لغات العالم من مختلف القارات. وقد ترك جواب هذا السؤال لمن يقرأ كتابه ليحكم هو بنفسه على أمر تفضيل اللغات بعضها على بعض، بعد أن يتأمّل في تلك الخصائص المختلفة والأشكال التي تظهر بها في اللغات المختلفة".

ينظر، روبرت وليم ديكسون، هل بعض اللغات أفضل من بعض؟ تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 1439هـ/2018م، ص14.

السّنة	البحّث	المجال
1986	في مسألة البديل لعروض الخليل - دفاع عن فايل -	الصّوتيات
1986	المصطلح اللّسانيّ وتحديث العروض العربيّ - دراسة في كتاب كمال أبو ديب - « في البنية الإيقاعيّة للشّعر العربيّ »	
1985	"في صوتيات العربيّة" لمحيي الدّين رمضان - عرض وتصويب -	
1984	"المنهج الصّوتيّ للبنية العربيّة: رؤية جديدة في الصّرف العربيّ" لعبد الصّبور شاهين - نقد وتقويم -	
1984	"المدخل إلى علم الأصوات: دراسة مقارنة" لصلاح الدّين صالح حسنين - عرض ونقد -	
1985	علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب - ردّ على صلاح فضل -	الأسلوبيات
2021	عن دقائق التّلبس بين التّأليف والتّرجمة: كتابات صلاح فضل أنموذجاً	
1982	لست ناقدًا بنيويًا ولا في نيّتي أن أكون - ردّ على تعليق -	البنويّة اللّسانيّة
1997	وهل هناك مكان لنقد غير لغويّ؟	
1983	استثمار الفوضى - دراسة تقويمية لمشروع المعجم اللّسانيّ الموحّد -	المصطلحيّات والمعجميات(*)
2000	"معجم القراءات لعبد اللّطيف محمّد الخطيب" - تقديم وتقويم -	

\* سألتُ الأستاذ مصلوح بتاريخ 2025/09/12 عبر تقنية المسنجر: هل يصحّ مصطلح "المعجميات" قياساً على "المصطلحيّات" الذي وجدتك تقترحه؟ أم إنّ "المعجميّة" أفضل؟ فكانت إجابته كالآتي: لا أرى بمصطلح "المعجميات" بأساً، بل إنّ الأفضل طرد المصطلح على وتيرة واحدة.

2003	"المعجمات العربيّة وموقعها بين المعجمات العالميّة" - تعقيب على بحث لـ محمود فهمي حجازي -	
1999	المذهب النّحويّ عند تَمّام حَسّان - من نحو الجملة إلى نحو النّصّ -	لسانيّات النّصّ

والملاحظ على هذه العناوين تنوّعها في موضوعات النّظر واتّفاقها في الغاية ووقوع أغلبها تحت مظلة اللّسانيّات الحديثة، وأحيانا ما يكون التوجّه فيها تراثيا. وليعلم القارئ الكريم أنّ ثمة بحوثا نقدية أخرى للأستاذ تصبّ في الفروع اللّسانية السّالفة، أو غير التي أتينا على ذكرها.

## 2-2-1 في الرّد على أبو ديب إنصافا للمستشرق "فايل"

بحسّه النّقديّ المعتاد، لم يرض سعد مصلوح أن يكون متابعا في صمت لمغالطات طالت المستشرق الألماني "فايل" من الباحث المصريّ "كمال أبو ديب". وقد تمثّل بحث "فايل" في مقال عن العروض تضمّنته دائرة المعارف الإسلاميّة في طبعتها الجديدة سنة 1960، وقابله "أبو ديب" بكتاب عنوانه؛ "في البنية الإيقاعية للشعر العربيّ - نحو بديل جذريّ لعروض الخليل مع مقدّمة في علم الإيقاع المقارن -" (1974). هذا العنوان الصّاحب(\*) على حدّ تعبير الأستاذ مصلوح، كان حريّا بالرّد المقنع من باب «الأمانة الواجبة مع النّفس ومع صاحب الكتاب ومع القارئ. ومن الوفاء للحقيقة العلميّة، أن يورد على تقويم أبو ديب لجهود سابقه، ولا سيّما فايل، طائفة من الملاحظ، فلعلّ في ذلك ما قد يزيّن له بعد اقتناع، إعادة النّظر ومقاربة الإنصاف وقضاء الفوائت»<sup>(1)</sup>.

ومن اللاّفت حقّا في الفرق بين المنجزين؛ «أن يتولّى كاتب شرح أفكاره وآرائه وتقنيد كلام مخالفه في مساحة تُجاوِز المئات الخمس من الصّفحات، على حين تقع مقالة فايل في صفحات عشر، أمحض منها ما يزيد على سبع صفحات لإيراد حقائق ومعلومات تاريخية

\* يقول سعد مصلوح: "على أنّ المعالجة النقدية لموسيقا الشعر قد تفاوتت فيما بينها تفاوتا ظاهرا، فمن عنوانات بعضها ما هو رزين متحفّظ وقور: "موسيقى الشعر العربي: مشروع دراسة علمية" (شكري عياد)، ومنها ما هو حاد جهير صاخب: "في البنية الإيقاعية للشعر العربيّ، نحو بديل جذريّ لعروض الخليل مع مقدّمة في علم الإيقاع المقارن" (كمال أبو ديب). (ينظر، سعد مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف -، ص34).

1 - المرجع نفسه، ص35.

عامّة عن العروض، حُوّطب بها غير أهل الاختصاص الدّقيق. أمّا فرضيّة النّبر التي هيّجت عليه أعشاش الرّنابير فلم تشغل من مقاله إلّا ما يقلّ عن ثلاث صفحات»<sup>(1)</sup>. من أجل ذلك، انبرى سعد مصلوح للدّفاع عن "فايل"، أو بالأحرى الانتصار للبحث العلمي الرّصين بغضّ النّظر عن صفة الباحث المخاطب، موظّفا ما أمكنه من إستراتيجيات كاشفة عن وجه الصّواب في القضيّة. وفي هذا الصّد يقول في بحث تقويميّ آخر: «بيد أنّ أكثر الأصوليين والمفسّرين والفقهاء على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب، ومن ثمّ ساقم المناقشة - ما وسعني الجهد - على أسس معرفيّة ومنهجية مفارقة للأشخاص والأعيان»<sup>(2)</sup>. مع أنّ محاولة الفصل وإنّ بدت سهلة نظريّاً، لكن بولوج عالم التّطبيق ستكون مهمّة صعبة للغاية.

## 2-2-1-1 إستراتيجيات الكشف والإقناع

المثير للانتباه في هذه الدّراسة؛ براعة سعد مصلوح في انتقاء الإستراتيجيات المناسبة لتقويم عمل أبو ديب؛ (قصة الكشف، سباب المخالفين، غسيل المخّ، تحريف الكلم، المغالطة في الحقائق، المغالطة في الاستدلال). والحق أنّ كلماتها مختارة بعناية، ودلالاتها كفيّلة بإسالة العرق البارد للطّرف الموجهة إليه.

الإستراتيجية الأولى (قصة الكشف)؛ على سبيل التّهكم والسّخرية<sup>(\*)</sup> من الكاتب حينما وضع نفسه في مرتبة المبتكر الكبير لما جاء به، ووقوعه «في شرك الإعجاب برأيه، واتّخذ لذلك من الوسائل الظّاهرة والخفيّة ما ناء بالكتاب وقارئه، وقطع على المعجب به طريق النّناء؛ إذ تولّى هو بنفسه مهمّة الإطراء والتّقريظ بما هو فوق الكفاية، كما قطع على القارئ والنّاقد طريق التماس العذر حيال المآخذ وما أكثرها»<sup>(3)</sup>. ويرى مصلوح أنّ البداية ليست كالنهاية، إذ لمّا تفتنّ إلى نسبيّة فرضياته وسبقه إليها من نقاد آخرين، خفتت النّبرة وتواضعت اللّغة. يقول: «هكذا اختلفت البدايات روحاً ونصّاً عن الخواتيم. أمّا العلة الظّاهرة لهذا الاختلاف فيمكن التماسها في البحث المشبع الدّؤوب الذي قام به الكاتب لإثبات صحّة فروضه. فكلمّا زاد موضوع بحثه درساً وتمحيصاً ظهرت له مواطن الخلل والقصور في فرضيّته، وألجئ إلى الجاء

1 - المرجع نفسه، ص 67.

2 - المرجع نفسه، ص 183.

\* يعترف سعد مصلوح بأنّه مشاكس، وقد أخذ أسلوب التّهكم والسّخرية من قراءاته للأستاذين الجليلين: مصطفى صادق الرافعي ومحمود شاكر. (ينظر، سعد مصلوح، حوار مفتوح حول قضايا لسانيّة متنوّعة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 24 سبتمبر 2024، <https://2u.pw/Fa32qNL5>).

3 - سعد مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف -، ص 38.

إلى إرجاء البحث في أمور جوهرية لا يستقيم الفرض إلاّ بحسمها، وكانت تبدو له من الظهور بحيث لا تحتاج مزيد بحث (...) وحبذا لو كانت البدايات من جنس الخواتيم، إذن لكان للكاتب فضل المغامرة وفضيلة التّواضع»<sup>(1)</sup>. والذي يبدو أنّ هذه النّقطة (الإعجاب بالرأي)؛ كانت دافعاً ومثيراً لسعد مصلوح من أجل التعمّق في دراسة أبو ديب وكشف عثراته.

الإستراتيجية الثّانية (سباب المخالفين)؛ ويظهر فيها مصلوح طريقة تعامل أبو ديب مع المخالفين الذين استشهد بهم في كتابه، وبخاصّة "فايل". إذ «لو صحّ بعضه لأخرج الرّجل من طائفة العقلاء، ولأصبح عدّه من أهل العلم، وإسناد دائرة المعارف الإسلاميّة إليه كتابة مقالها عن العروض أمراً عجباً من العجب (...) والخطأ العلميّ - مهما يكن - لا يستحقّ أن يكون مسوّغاً للذّبّ والسّخّ والمثلة. ونحن - في بحثنا عن تفسير - يستيقظ نظرنا هاجسٌ يراود الكاتب ويلزمه كلّما أتى على ذكر "فايل"؛ وذلكم الهاجس الدائم هو محاولته الدؤوب لإقناع نفسه وقارئه برفض عمل "فايل" وإطراحه وتجاهله، حتّى يصفو له الجوّ ويستقرّ قصب السّبق بين يديه عنوة واغتصاباً»<sup>(2)</sup>. بيد إنّ توظيف كلمة "السّباب" حادّ نوعاً ما - حسب رأينا - كونها تحيل في ثقافتنا إلى عبارات أشدّ قبحاً ممّا ذكره أبو أديب ونصّ عليه مصلوح في حقّ فايل.

الإستراتيجية الثّالثة (غسيل المخّ)؛ وهو ما اتّبعه أبو ديب مع القارئ في نظر مصلوح، «وتتجلّى هذه الخاصيّة واضحة في اعتماد الباحث على ما يمكن أن يسمّى بغسيل المخّ وسيلة لإثبات نظريّته، والتّمكين لها في عقل القارئ. إنّه يريد أن يحمل قارئه منذ السّطور الأولى في الكتاب، وقبل أن يُقدّم له دليلاً - أو ما يشبه الدليل - على أن يتقبّل ما سيسوقه إليه»<sup>(3)</sup>. وهذا المصطلح مستعار من علم النّفس، ويعني العمل على تحويل الفرد من قناعة إلى أخرى أو من اتّجاه إلى آخر، وهو مستعمل بكثرة في اللّغة العاديّة لحياتنا اليوميّة.

الإستراتيجية الرّابعة (تحريف الكلم)؛ وهو ما يتناصّ مع قوله تعالى: «يُحرفون الكلم من بعد مواضعه» {المائدة 41}، ويعني أنّ أبو ديب ينقل نصوص "فايل" محرّفةً خدمةً لمراده؛ وهو عدّ محاولة "فايل" مطلقة الإخفاق، وقد تنبّه مصلوح لذلك، فحاول العثور على النّصوص بلغتها الإنجليزيّة ثمّ ترجمتها إلى العربيّة لتتضح الحقيقة. يقول: «هذا هو نصّ فايل، وتلكم

1 - المرجع نفسه، ص 42.

2 - المرجع نفسه، ص 48-49.

3 - المرجع نفسه، ص 52.

هي دعوى أبو ديب، وذلك مثل من نهجه الغريب في تحريف الكلم. وقد أراد أن يُظهِر فايل - وهو العلم المرموق - جاهلاً بحقيقة لا تعزب عن علم صغار التّلاميذ من شدّاة العروض»<sup>(1)</sup>. الإستراتيجية الخامسة (المغالطة في الحقائق)؛ ويعني بها «بناء النّقد على أساس من حجب بعض الحقائق أو تحريفها، حيث يكون مطلق إظهارها، أو إظهارها على وجهها، حرّياً أن يؤدّي إلى انتقاص النّقد. ويقع تحت هذا الضّرب في كتاب أبو ديب عدد غير قليل من الملاحظ النّقديّة»<sup>(2)</sup>. وهذه نقطة مهمّة وحساسة جدّاً، ولا يستطيع التّنّب إليها إلّا من كانت له دراية واسعة بالمعلومات التّاريخيّة والحقائق العلميّة؛ إذ من خلالها يتمكّن الباحث من نقض النّقد وإبطاله، وكشف المغالطة المراد تمريرها إلى الأذهان بهدف إسقاط القيمة العلميّة لعمل ما. ومن الحقائق المغيبيّة التي بنى عليها أبو ديب نقده لفايل؛ «حقيقة جوهريّة هي أنّ تاريخ أقدم نشر للجزء الأوّل من كتاب العين (بتحقيق عبد الله درويش) هو 1967. وهذه الطّبعة هي التي رجع إليها أبو ديب، وأخذ عنها جميع نقوله. وقبلها كان كتاب العين مستكناً في خزائن المخطوطات، غير متاح للقراءة العامّة. إذا استحضرنّا ذلك، وعلمنا أنّ تاريخ ظهور مقالة فايل الثّانية هو 1960، تبيّن لنا أنّ أبو ديب يعيّر فايل بعدم رجوعه إلى كتاب كان في حكم المعلوم»<sup>(3)</sup>.

ومن الحقائق الأخرى الجديرة بالاستحضار حال قراءة ردّ أبو ديب على فايل - حسب سعد مصلوح-؛ «هي أنّ فايل لا يقدّم في مقاله بديلاً على نحو ما أعلن عنه أبو ديب، ولكنّه يقدّم تفسيراً لدوائر الخليل، من حيث إنّه استبعد أن يكون الخليل قد وضعها للتّفاكهة والمتاع، وأنّه لا بدّ له من غاية كان يتغيّاها بوضع هذه الدّوائر. وإذن، فهو لا ينقد نظام الخليل، ولا يستبدل به غيره، بل يفسّره ويظهر العوامل المستكّنة وراءه والدّوافع الحافزة إلى وضعه. وهكذا تتّسع المفارقة بين عملي الرّجلين من حيث الحجم والمقام ونوع المخاطب وطبيعة المعالجة، وهي فروق جوهريّة جرى تغييبها في ألفاف من براعة اللّدّ ومهارات الصّياغة، لكن وضعها في الحسابان يوشك أن يَنْقُضَ أكثر ما وُجّه إلى فايل من ملاحظ»<sup>(4)</sup>. ويمكن اختصار ذلك

1 - المرجع نفسه، ص 58.

2 - المرجع نفسه، ص 62.

3 - المرجع نفسه، ص 64.

4 - المرجع نفسه، ص 68.

بالقول إنّّه وجب أن يكون العمل النّاقِد من جنس العمل المنقود، بمراعاة سياقه والإحاطة بخصوصيّته، وإلّا كان النّقد تعسّفا وتحاملا وتقولًا، وخرج به صاحبه من العلميّة إلى الدّائيّة. الإستراتيجيّة السّادسة والأخيرة (المغالطة في الاستدلال)؛ ونجد بيانها في قول مصلوح: «تقع المغالطة الاستدلاليّة عند أبو ديب في حجاجه لفایل، حين يعمد إلى ما يورده فإيل من مقدّمات صحيحة فيستخرج منها نتيجة فاسدة لا تلزم عنها بالضرورة، ثمّ يجعل من هذه النّتيجة الفاسدة مقدّمة وأصلا يستخرج منه ما شاء من الملاحظ النّقديّة الموجهة إلى فإيل ونظريّته. أمّا مذهبه في توليد النّتيجة الفاسدة من المقدّمات الصّحيحة فقد جاء على ثلاثة أضرب: 1/ توليد منطقيّ، 2/ توليد رياضيّ، 3/ توليد لغويّ»<sup>(1)</sup>.

ثمّ يُتّبع الأستاذ هذا البيان بضرب الأمثلة مقتبسة بنصّها الكامل من كلام أبو ديب في كتابه، مبتدئًا إيّاها بعبارات: (جاء قوله: قال أبو ديب: ثمّ ينسب إليه قائلًا: فقد عرّج عليه قائلًا: فليس بصحيح قول أبو ديب: قال أبو ديب معلّمًا على عرضه لكلام فإيل: ...)، ليتوصّل في كلّ مرّة إلى نتيجة مفادها؛ مجانفة أبو ديب للصّواب وتحامله على فإيل. وفي ما يأتي أمثلة عنها: «ويستبين من ذلك أنّ جميع أحكام أبو ديب وما بنى عليها من ملاحظ نقديّة وسخريّة في هذه المسألة يقع باطلا لانفكاك الجهة، فتأمّل!»<sup>(2)</sup>. وكذلك قوله: «ويستبين من ذلك كيف عمد الكاتب إلى وضع كلامه في أفواه مخالفه، ثمّ مؤاخذتهم بما وضعه في أفواههم من كلام»<sup>(3)</sup>. وفي المعنى ذاته تصبّ هذه النّتيجة الخاتمة: «وهكذا يتجلّى لنا ما في الاستدلال السّابق وغيره من مغالطة، على الرّغم من أنّ فإيل نصّ بعبارة قطعيّة الدّلالة؛ على أنّه إنّما أراد النّبر الشّعريّ لا اللّغويّ، وأنّ هذا النّبر الشّعريّ في تصوّره قد استيقظ نظر الخليل لدى سماعه للشّعر منشدا، فقام بتدوينه وتقعيده في صورة الدّوائر الخمس. وإذ يتبيّن لنا ما تبين، ندرك أيّ ظلم حاق بفإيل على يد أبو ديب (...). ونعته بما لا يرضى من القول، على نحو هبط بالحجاج العلميّ في كثير من الأحيان إلى صريح السّباب. وإذا كان ذلكم لا يجوز لكاتب وإن كان على محجّة الصّواب، فكيف به والصّواب منه بعيد بعيد»<sup>(4)</sup>.

1 - المرجع نفسه، ص ص 72-73.

2 - المرجع نفسه، ص 72.

3 - المرجع نفسه، ص 76.

4 - المرجع نفسه، ص ص 79-80.

كانت هذه مجموعة من الإستراتيجيات التي اتّبعها سعد مصلوح في تبين أوجه القصور في عمل أبو ديب، ونحسب أنّ أهمّها الثلاث الأواخر؛ تحريف الكلم، المغالطة في الحقائق، والمغالطة في الاستدلال؛ إذ من خلالها تتّضح براعة نقد النّقد، لأنّه ليس من السّهل أن يسلكها أيّ كان، فهي تتطلّب إحاطة منهجيّة ومعرفيّة كبيرة بالموضوع المطروق. وأمّا الثلاث الأوائل؛ قصّة الكشف، سباب المخالفين، وغسيل المخ؛ فهي بمثابة التّوابل التي تزيد الطّعام نكهة، ليس ذلك تهوينا منها، ولكن ترجيحاً بين المهمّ والأهمّ إذا ما أراد باحث سلوك هذه الإستراتيجيات في تقويم دراسة ما.

وحتىّ يكون القارئ الكريم على بينة، نحيطه علماً أنّ الأستاذ مصلوح أعقب هذه المقالة النّاقدة والجريئة بمقالة ثانية جعلها دراسة هادئة في العدد الرّابع من مجلّة فصول خلال السّنة ذاتها التي أصدر فيها المقالة الأولى (1986)، وعنوانها: "المصطلح اللّسانيّ وتحديث العروض العربيّ - دراسة في كتاب كمال أبو ديب؛ في البنية الإيقاعيّة للشّعر العربيّ-"، وتتجلّى النّزعة الهادئة في مواضع عديدة، قد تكون على شاكلة عبارات من قبيل: (ونحن ننقّق مع أبو ديب...)، (ونحن ننقّق مع الكاتب...)، أو في ما تتضمّنه أقواله، ومن بينها:

«لعلّ أهمّ ما ينبغي عمله هنا هو تحرير مفهوم الكمّ عند أبو ديب. وإذا استبان حظّ هذا المفهوم من الصّواب، أصبح تقويم ما توصل إليه من نتائج قائماً على أساس منهجيّ سليم، وحينئذ يكون قبولها أو تعديلها أو أطراحها عن بينة. وسأحاول الآن أن أعرض بأقصى الدّقة والأمانة العلميّة الممكنة لمثلي، تفسير أبو ديب لمقولة الكمّ، تمهيدا لمناقشته مناقشة هادئة»<sup>(1)</sup>.

ومن تجلّيات النّزعة الهادئة في المقالة الثّانية ما نجده مُعلّناً عنه: «لا نجد في صدرنا حرجاً أن نضع بين يدي القارئ خلاصة رأينا في مسألة اعتماد النّبر أساساً لإيقاع الشّعر العربيّ على النّحو الذي تجلّى في كتاب أبو ديب. وهو رأي نتحمّل تبعته العلميّة؛ إذ لا حرج ولا حياء في العلم، وما ينبغي للخلاف للعلميّ الموضوعيّ أن يرتقّ صفواً، أو يُفسد ودّاً، ما دام وجه الحقيقة هو الغاية والمبتغى. وخلاصة الرّأي أنّ هذا الفرض أسطورة ما إلى الإيمان بها من سبيل»<sup>(2)</sup>. وبالإمكان أن نستفيد من هذا القول الحكيم المنهج المتّبع في التّعامل مع النّصّ النّقديّ، إذ لا ينبغي أن يُفرضي بنا الرّدّ إلى قطع العلاقة مع النّاقّد؛ ولكن يحسن بنا

1 - المرجع نفسه، ص95.

2 - المرجع نفسه، ص116.

قراءته بروية ومن ثمّ الأخذ به إن كان صائبا أو تركه إن جانب الصّواب، أو تبيين قبول المسألة الواحدة لأكثر من رأي.

ثمّة أمر آخر حقيق بالإشارة في هذه الدّراسة؛ وهو مزوجة سعد مصلوح بين المرجعية الغربيّة والثّرانيّة، مستدّلا بأقوال: "ارنست بولجرام" (\*) Ernst Pulgram، "دي جروت" (\*) Albert Willem De Groot، "جاكسون" Roman Jakobson، ثمّ "ابن جنّي"، وعلماء التّجويد من السّلف بالعموم. يقول: «أمّا الكمّ فلدينا أكثر من دليل على أنّه كان - ولا يزال - مقولة فاعلة في النّظام الصّوتي العربي. وأول هذه الأدلّة التّقرير الذي صاغ به ابن جنّي العلاقة بين طوال الحركات وقصارها صياغة علميّة دقيقة من الوجهة النّظاميّة (...)» ويذلّك على أنّ الحركات أبعاد الحروف أنّك متى أشبعت واحدة منهنّ، حدث بعدها الحرف التي هي بعضه»<sup>(1)</sup>. فكم هذه بليغة لغة ابن جنّي!

وأما النّبر فلم يكن محلّ مناقشة من السّلف - حسب سعد مصلوح -، ذلك أنّه «لو كان مقولة فاعلة في التّمييز بين المعاني القاموسيّة على المستوى الصّوتيّ، أو المعاني الوظيفيّة على المستوى الصّرفيّ ما فاتهم مناقشته، كما لم تغتهم مناقشة مقولات الكمّ، والهمس والجهر، والتّفخيم والتّريق، والشّدّة والرّخاوة، وغيرها من المقولات الصّوتيّة (...)» نقول حتّى في هذا المقام يُلفت نظرنا أنّ علماء التّجويد من السّلف والخلف أولوا قضية الكمّ أعظم اهتمام، وقسموا المدّ إلى واجب وجائز، ثمّ إلى منفصل ومتّصل، واصطنعوا في تحديده وسيلة العدّ بالأصابع، على حين مرّوا بالنّبر من غير أن يحظى منهم بأدنى التّفات. وهذا من أظهر الأدلّة على أنّ النّبر ترك أمره للاختلافات القبليّة بوصفه سمة إيقاعيّة فاضلة «redundant»<sup>(2)</sup>. والذي نتغيّاه من إيرادنا هذا الاقتباس؛ أنّ مصلوح له معرفة ضاربة بجذورها في الثّراث اللّغويّ العربيّ، حيث يستعين بها لتأكيد موقفه وتدعيمه بعد عرض المسألة في سياقها العربيّ. ومن الممكن أن تكون هذه الطّريقة من سبل تيسير الفهم على القارئ، فكثير من المفاهيم الغربيّة التي تبدو غريبة ومعقّدة وجافّة، تصبح واضحة الملامح بالعودة إلى مظانّها في المنجز الثّراثيّ.

\* أمريكيّ الجنسيّة، ترجم له سعد مصلوح إلى العربيّة كتابه: "مدخل إلى التّصوير الطّيفي للكلام"، عالم الكتب، القاهرة، 2002.

\* هولنديّ الجنسيّة، ترجم له سعد مصلوح إلى العربيّة مقاله: "الصّوتيات وجماليّات القصيدة"، مجلة ثقافات، جامعة البحرين، 2002.

1 - سعد مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف -، ص 126.

2 - المرجع نفسه، ص 127.

## 2-2-2 في الردّ على صلاح فضل

سيُتخذ حديثنا صدد هذا بحثين أساسيين في تتبع ردود سعد مصلوح على الباحث المصري "صلاح فضل"؛ أمّا الأول فهو "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب - ردّ على صلاح فضل" (1985). وأمّا الثاني بحثه؛ "عن دقائق التلبّيس بين التّأليف والترجمة - كتابات صلاح فضل أنموذجاً" (2021). وقد وردت التّحقّظات السّتّة الّتي أباها مصلوح في منجز فضل الموسوم بـ "علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته" (1985)، وتحديدًا ما يتعلّق بقضيّة المقاربة الإحصائيّة في دراسة الأسلوب الّتي تَخَصّص فيها الأستاذ وأنجز الكثير من البحوث النّظريّة والتّطبيقيّة.

وسنحاول الآن إبراز مجموعة من المرتكزات الّتي بنى عليها مصلوح نقده لفضل دون الدّخول في تفاصيل المقاربة وإصدار الحكم عليها، والحال أنّ هذه المرتكزات كتاك الإستراتيجيّات الّتي وظّفها في نقده لأبو ديب منتصراً لفايل، ومن ثمّ بإمكان البّحثه استثمارها في نقد البحوث.

## 2-2-2-1 أسس المناقشة والردّ

الأساس الأوّل الّذي كثيراً ما نجد مصلوح يشير إليه في هذا السّياق؛ ماثل في "تجهيل الإسناد"، حيث يورد نصّ فضل المقصود ثمّ يعلّق عليه منبّها إلى هذا الأمر. وسنختار لذلك ثلاثة مواضع:

الأوّل في ما يلي: «ولمّا كنّا نعيش في عصر إحصائيّ فإنّه ليس من الغريب أن تظفر مناهج الإحصاء في الدّراسة الأسلوبية بشهرة واسعة، بالرّغم من بعض التّحقّظات الّتي يبديها الباحثون عليها. (قلتُ: لأمر ما تجد هذه الطّريقة في تجهيل الإسناد تشيع في الكتاب كلّه)»<sup>(1)</sup>.

والثّاني قول مصلوح بعد أن استدلّ بنصّ فضل أيضاً: «وإنّي لأعجب لهذا الكلام فضّل عجب؛ فالكاكتب قد تخيل إنساناً سمّاه أحد الباحثين، ونصب له موضوعاً بعينه هو الصّورة في شعر محمود حسن إسماعيل، وأنبأنا بأنّ أحد الباحثين هذا قد فرغ من إعداد دراسته، وأنّه استخدم فيها المنهج الإحصائيّ، ثمّ حكم على صاحب الدّراسة حكماً غيابياً غير قابل للنّقض أو الإبرام بأنّه سوف يطالعنا بأرقام هائلة، وأنّ هذه الحسابات العدديّة ستضفي نوعاً من الدّقة الرّائفة

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 171.

على بيانات سائلة. ولا حاجة بي إلى القول إنّ ذلك كلّه رجم بالغيب، وحكم على معدوم يتّسع به التّأويل وتتمطّى الدّعاوى، ويُعثر فيه بما أشبه الدّليل وليس بدليل»<sup>(1)</sup>. وأمّا الموضوع الثّالث المختار، فهو تساؤل أريد به الإنكار والتّنبه إلى خطورة تجهيل الإسناد، يقول الأستاذ: «أفيكون فضولا منّي ومن أيّ قارئ أن يسأل: من بعض الباحثين هذا أو هؤلاء؟ وما الحكمة من تجهيل الإسناد؟ أفي الأمر سرّ لا ينبغي للقراء أن يطلّعوا عليه؟»<sup>(2)</sup>. وطبعا الإجابة بحسب قصد مصلوح؛ ليست هناك حكمة ولا سرّ في هذا التّجهيل والتّغيب، وقليل ما يكون الكاتب - بصفة عامّة - على دراية بهذا الباحث أو هؤلاء الباحثين ولا يُثبت حضورهم لغاية في نفسه.

إنّ في تجهيل الإسناد إضعاف للنّص، وأمانة على أنّ الكاتب ليس له دليل على ما يريد إثباته أو نفيه؛ فإثبات الإسناد شرط لقبول الفكرة وغيابه مؤذن بالتّشكيك في صحّتها، بيد أنّه وجب التّفريق بين السّيقات العامّة التي لا يُشترط فيها تحديد الباحثين، والسّيقات الخاصّة التي تُوجب الذّكر والتّحديد.

والحقّ أنّنا وجدنا سعد مصلوح ذاته يستعمل ما انتقد فيه فضل، لكن ليس ذلك سمة غالبية أو ميزة مطّردة في بحثه. يقول في موضع أوّل: «وإنّما تأتي حماسة طائفة من الباحثين لهذا الاتّجاه من جهة أنّه نوع من المقاربة طال غيبه والتّجافي عنه، على الرّغم ممّا يحفل به من جليل الفوائد، وما يقدّمه من حلول موضوعيّة لكثير من مشكلات الظّاهرة الأسلوبية وقضاياها»<sup>(3)</sup>. وكان الأفضل أن يذكّر مجموعة هؤلاء الباحثين المتحمّسين!

وثمة موضع ثانٍ من الفقرة ذاتها جاء على شاكلة سابقه مغيب الإسناد، غير أنّه من العموميّات التي لا تستوجب الذّكر فيما يبدو. يقول: «كان الغبن هو نصيبه في مكتبة الدّراسات الغربيّة إلى عهد ليس بالبعيد، أمّا عندنا نحن العرب، فلا يزال ضربا من البدع المحدثات، ونوعا من المغامرات الخطرة التي يُحجم عن ارتكابها جمهرة الباحثين»<sup>(4)</sup>. وليس في غياب الإسناد هنا ما يدعو إلى التّشكيك في صحّة الفكرة، إذ هو نبه إلى وضع عامّ سائد، على خلاف الموضوع الأوّل الذي قصد فيه مجموعة متحمّسة بعينها.

1 - المرجع نفسه، ص 174.

2 - المرجع نفسه، ص 175.

3 - المرجع نفسه، ص 171.

4 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

وما قد يفتح النّقد على سعد مصلوح أنّه أخطأ العبارة في موضع ثالث فقال: «كما قام بعض تلاميذي في رسالة لدرجة الدّكتوراه بدراسة الظّاهرة نفسها بالمنهج نفسه في شعر أبي تَمّام والبحثري، لِيُقَدِّم موازنة أسلوبية جديدة بين الطّائيتين»<sup>(1)</sup>. وكان الأولى أن يذكر هؤلاء التّلاميذ. لكن بعودتنا إلى الهامش آخر البحث تبين أنّه تلميذ واحد "أحمد عزّت البيلي"! فلم لم يسمّه في المتن، وتكون العبارة كالآتي: "قام تلميذي أحمد عزّت البيلي في رسالة...".

الأساس الثّاني الذي عوّل عليه مصلوح في نقده لصالح فضل وحتّى أبو ديب؛ متمثّل في "اللّعب بالكلمات"، ولا تخفى هذه الخاصيّة على المتمرّس في العلم والخبير بتقنيّات الصّياغة. وفيما يأتي توضيح لها بنصّ الأستاذ ردّاً على قولٍ لفضل: «ولكي نستكشف ما يؤول إليه هذا القول من دور وتسلسل، دعونا نستبدل بكلمة "القياس" فيه كلمة "الإحصاء"، فهما في هذا السّياق بمعنى واحد. وستقول عبارة الكاتب حينئذ إلى الصّورة الآتية: "إنّ هذه الإحصاءات لا تستطيع أن تدلّ الباحثين في الأسلوب على الخواصّ الأسلوبية التي تستحقّ الإحصاء". وهذا لعب بالكلمات، يقول كثيرا ولا يقول شيئا (...). وتلك هي الغاية التي يطمح إليها أيّ قياس للأسلوب؛ إذ لا غاية للقياس إلّا تشخيص الأسلوب بتحديد الخواصّ الأسلوبية ذات الأهميّة في تشكيل النّصّ. وينشأ من ذلك أنّ القياس الأسلوبيّ أوّله فرض، وأوسطه اختبار، وغايته تشخيص. ولا يكون إحصاء أسلوبيّ إلّا باستيفاء هذه الأركان. ومن ثمّ فأنا أجزم للكاتب أنّه لا وجود لبحث أسلوبيّ إحصائيّ لا يعدّ الدّلالة على الخواصّ الأسلوبية ذات الأهميّة في تشكيل النّصّ غايته الأولى»<sup>(2)</sup>.

ولمزيد من التّوضيح بخصوص اعتماد مصلوح هذه الخاصيّة في نقد المخالف، نعود إلى ردّه على أبو ديب في هذا الشّأن. يقول: «ثمّ يشفع قوله هذا بعبارة أحسب أنّ الظّفر بمراده منها غير متاح للفقهاء بالعربية، وتلكم قوله: "إنّ المعرفة بوجود النّبر اللّغويّ قد تساعد على مناقشة النّبر الشعريّ دون أن يكون لدينا تحديد مطلق للنّبر الأوّل". كذا يضمّن الكاتب عبارته صيغة التّمريض (\*) "قد تساعد"، مع أنّ المعرفة بالنّبر اللّغويّ لا بدّ أن تساعد - على أيّ

1 - المرجع نفسه، ص 174.

2 - المرجع نفسه، ص ص 176-177.

\* قال الإمام النّوويّ في متن التّقريب: "وإذا أردت رواية الضّعيف بغير إسناد، فلا تقل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، وما أشبهه من صيغ الجزم، بل قل: روي كذا، أو بلغنا كذا، أو ورد، أو جاء، أو نُقل، أو ما أشبهه، وكذا ما يُشكّك في

حال- في معرفة النّبر الشعريّ لا محالة، إن لم تكن هي المدخل الوحيد لمعرفة النّبر الشعريّ، ذلك أنّها ممّا لا يتمّ الواجب إلّا به. وهذا تلاعب بالصّيغة مستعلن. ثمّ إنّ العبارة يلتوي بها التّركيب ليعكس التّواء الفكرة، لأنّها تؤوّل إذا أعدنا صياغتها إلى أن تكون: "إنّ المعرفة بوجود النّبر اللّغويّ قد تساعد على مناقشة النّبر الشعريّ دون أن يكون لدينا تحديد مطلق للنّبر اللّغويّ". فهل يمكن أن يكون لمثل هذا الكلام معنى مستقيم؟<sup>(1)</sup>. وواضح من خلال الاستشهادين أنّ الأستاذ مدقّق بارع، فلا تقوته المغالطات التّركيبية التي تُضفي إلى مغالطات مفهومية بطبيعة الحال، ومن ثمّ فهي سلاحه لمواجهة النّصوص النّقديّة المبتذلة بكلّ ثقة، وآية ذلك ما يلاحظ في بحوثه التّقويمية من استعمال متكرّر لعبارات اليقين، مثل: "وإذا صحّ ذلكم -وهو صحيح بلا ريب-"، "وإذا صحّ ذلك، وهو صحيح" ..

الأساس الثّالث المستنبط من ردود سعد مصلوح على فضل وثيق الصّلة بما سبقه؛ ويتجلّى في تعقّب "الأخطاء اللّغوية" باختلاف أنواعها، وهو سمة ثابتة الحضور في منجزه النّقديّ، إذ كثيرا ما ينبّه إليها في ثنايا شرحه وتفصيله. يقول في معرض التّنبه إلى خطأين صرفيين لدى فضل: «ثمّ يستطرد الكاتب في تحفّظه الرّابع فيقول مواصلا كلامه: "كما لا تستطيع (يعني هذه الإحصاءات) أن تضع أساسا للتّفسير الأسلوبيّ لهذه المؤشّرات الشّكلية، ممّا يجعل قوّة برهان نتائجها قاصرة للغاية في كثير من الحالات، إذ تكاد تضطرد (كذا يرسم الكاتب هذا الفعل ومشتقاته بالصاد، وذلك على توهم أصالتها كما في "يضطرّ" و"يضطرب" وليست سواء. وقد لَحَظْتُ أنّ رسم الكلمة على هذا النّحو يطرد في الكتاب كلّ حينما ورد) عكسيّا درجة موضوعيّة النتيجة مع إمكانية التّوصّل عن طريقها إلى استبيان (كذا أيضا وهي صيغة لا عربيّة لها) دقيق لأهميّة الخواصّ من الوجهة الأسلوبية»<sup>(2)</sup>.

ومن الأخطاء التّركيبية التي أوردها مصلوح، وفصّلنا إدراجها هنا لنصّه صراحة على مخالفتها للعربيّة، مع إمكان تضمينها في الأساس الثّاني "اللّعب بالكلمات"، فهي إليه أقرب. يقول: «يقول الرّميل عن معامل بوزيمان إنّه: "يعتمد على مقولة عقلية ظنيّة تحتاج لجهد

صحتّه. اهـ. وصيغة التّمريض عند أهل الحديث موضوعة لبيان ضعف الحديث، أو الشّكّ في صحّته. قال الإمام النّوويّ في المجموع: قالوا: صيغ الجزم موضوعة للصّحيح، أو الحسن، وصيغ التّمريض لما سواهما. اهـ.

(فتوى إسلام ويب، معنى قول العلماء: ورد في السنّة - ثبت في السنّة، موقع إسلام ويب، 2 شعبان 1439هـ/17 أبريل 2018م، <https://2u.pw/dqzUQ>).

<sup>1</sup> - سعد مصلوح، في النّقذ اللّسانيّ - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف-، ص133.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 177-178.

تجريبيّ مسبق (كذا، ولا أرى لهذه الصّيغة وجها من العربيّة) منبثق من النّصوص نفسها في لغاتها المختلفة، وقابل للتّعديل المتوالي طبقا لما تبوح به النّصوص في أوضاعها المتعدّدة". (...). لكن عجبني لا ينقضي من قول الكاتب باحتياج هذه المقولة إلى "جهد تجريبيّ مسبق، منبثق من النّصوص نفسها". فكيف يمكن أن ينبثق الجهد التّجريبيّ المسبق من النّصوص نفسها؟ وكيف يكون جهد تجريبيّ مسبق لا تسبقه مقولة في شكل فرض علميّ يُتخذُ أساسا للتّفسير، ويكون قابلا بالجهد التّجريبيّ للإثبات أو النّفي؟ وماذا يعني الكاتب - على وجه التّحديد - بالجهد التّجريبيّ المسبق؟...»<sup>(1)</sup>. وهي أسئلة وجيهة وكفيلة بردّ تلك العبارة وإبطالها، والمميّز في الأمر؛ كيف استغلّ الأستاذ إمامه بأساليب العربيّة وتراكيبها السليمة، وقبل ذلك إحاطته الجيدة بمبادئ الأسلوبية الإحصائية في تنفيذ الأدعاءات ودحض الانتقادات.

وحتى نؤكّد على أنّ هذه الخاصيّة من مميّزات مصلوح في مناقشة المخالفين، نضرب لذلك مثلا آخر بالعودة إلى قول أبو ديب على لسان مصلوح: «قد يوحي ما يُقال بأنّ النّبر الشعريّ لا يمكن أن يُحدّد بطريقة دقيقة تكشف نماذجه مسبقا (قلّت: كذا، وهي صيغة لا عربيّة لها) على أساس من الوزن نفسه. وهذا الاستنتاج صحيح إلى حدّ كبير، لكنّه نسبيّ في انطباقه على اللّغات المختلفة. ثمّة لغات كالعربيّة، تخفّ فيها درجة اللّامحدوديّة أعلى (كذا أيضا: وهي معازلة ينكرها لسان العرب)»<sup>(2)</sup>. وهكذا لا يتوانى الأستاذ في التّنبه إلى الصّيغ والتّراكيب المعقّدة والغريبة عن أسلوب العربيّة الصّحيح بعبارات صريحة: "وهي صيغة لا عربيّة لها، ولا أرى لهذه الصّيغة وجها من العربيّة، الظّفّر بمراده منها غير متاح للفقهاء بالعربيّة، وهي معازلة ينكرها لسان العرب...".

وإن كانت الأسس الثلاثة السّابقة التي استخلصناها من ردود سعد مصلوح (تجهيل الإسناد، اللّعب بالكلمات، الأخطاء اللّغويّة) متعلّقة بالمخالف، وهو صلاح فضل في هذا المقام، فثمّة أساس رابع يتكئ عليه الأستاذ في تقوية موقفه وتعزيز لغته وجذب الانتباه إليها،

1 - المرجع نفسه، ص 193.

2 - المرجع نفسه، ص 134.

وهو ما يتعلّق بتوظيف الآيات القرآنية اقتباساً من المصحف الشريف - وهو القليل-، أو استثناساً(\*) بما يشبه التناص - وهو الكثير والغالب على أسلوبه-.

فعلى سبيل التهكم والسخرية يستأنس ثم يقتبس في فقرة واحدة. يقول عن فضل: «.. أو أنّه تجليات يُفيضها العقل القدسي على الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ من بني آدم، فإن كانت الأولى فمرحبا ولا اعتراض، ولا يُنقص ذلك من أجرنا شيئا. وإن كانت الأخرى فليس لنا - معشر المحرومين من هذه التجليات- إلا الرضا بالمقسوم، فلا ننازع الأمر أهله، ولا نَحْسُدُ النَّاسَ على ما آتاهم الله من فضله، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١١﴾ الحديد [21] (1). فالاستثناس الأول من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿٧٧﴾ ص [47]، والثاني من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ النساء [54]

ولقد أحصينا عدد المواضع التي استأنس فيها بالآيات المُحْكَمَاتِ في مقال واحد؛ "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب"، فوجدناها عشرة مواضع مع احتساب الموضوعين المشار إليهما سلفاً، وهي كالاتي:

- قوله: "واستحالت الدلالات سرايا ببيعة يحسبه الضمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً" (ص180). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٣٩﴾ النور [39]

- قوله: "وأقول للزميل: الآن حصص الحق" (ص182). قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفَ عَن نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٥١﴾ يوسف [51]

- قوله: "وهي عموميات وشعارات يأتيها الباطل من بين يديها وخلفها" (ص191). قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٤﴾ فصلت [42]

\* كتب سعد مصلوح تدوينة على صفحته الرسمية في الفيسبوك رداً على أحد التصريحات يقول فيها: "متى كانت دار العلوم ليبرالية!! لقد قلت قولاً إذاً\* تكاد السماوات يتقطرن منه وتنشق الأرض وتخز الجبال هدأً. {استثناس لا اقتباس}."

(ينظر، سعد مصلوح، ب/خ دار العلوم، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 20 أوت 2025، <https://www.facebook.com/share/p/17NS4zAa5h/>).

<sup>1</sup> - سعد مصلوح، في النقد اللساني - دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف-، ص173.

- قوله: "هذا هو كل ما قلته، فهل تُراني جئتُ بذلك أمراً إذا؟" (ص193). قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُ شَيْئًا إِذَا﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿مريم [89]

- قوله: "لقد ظننتُ - وبعض الظنّ إثم-" (ص194). قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿الحجرات [12]

- قوله: "ومع ذلك فليس فيما كتبتّه أو كتبه غيري من اللسانيين المشتغلين بعلم الأسلوب تحريض لزملائنا من الباحثين على اقتحام معادل النقد وإخراج أهله من صياصيمهم" (ص199). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ ﴿٦١﴾ ﴿الأحزاب [26]

- قوله: "ومثل هذا الباحث لن يخسر شيئاً يأسفُ عليه إذا هو استغشى ثيابه" (ص199). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُم لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ وَأُصْغِتُوا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأُصْغَبُوا أَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا﴾ ﴿٧﴾ ﴿نوح [7]

- قوله: "وقنع بما عنده، ورضي بأن يكون مع الخوالف" (ص199). قَالَ تَعَالَى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿التوبة [87]

هذه إذن مجموعة من المواضع التي استأنس فيها سعد مصلوح بالآيات القرآنيّة، وأوردنا ذلك من باب التأكيد على توظيف قاموسه الإسلاميّ في بحوثه الحجاجيّة، ومن بينها بحثه هذا الذي يردّ فيه على صلاح فضل. وبذلك تكون الأسس المعتمد عليها في هذا الإطار - كما تقدّم بيانها-؛ تجهيل الإسناد، اللّعب بالكلمات، والأخطاء اللّغويّة، بالإضافة إلى تقوية اللّغة المستخدمة من خلال القرآن الكريم بخاصّة، وكذا أمثال العرب وأشعارهم، ومقولات الحكماء من السلف الأوائل.

## 2-2-2-2 من المصادرة على المطلوب إلى دقائق التّلبّيس

سبق أن أشرنا في البداية إلى المقال الحديث نسبياً لسعد مصلوح (2021) "عن دقائق التّلبّيس بين التّأليف والترجمة - كتابات صلاح فضل أنموذجاً-"، وهو الجزء الثّاني من الرّد على الباحث بعد مقاله الأوّل "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب". وقد كان صدوره قبل سنة واحدة من وفاة "فضل" - رحمه الله- (2022).

ومن الأفكار المهمّة التي بثّها مصلوح في المقال الثّاني دون أن يكون ذلك في المقال الأوّل؛ نسبة الاعتراضات التي أبدّاها صلاح فضل على الأسلوبية الإحصائية في كتابه "علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته"، وتحديدًا المبحث المتضمّن فيه "من الوجهة الوظيفية والإحصائية" إلى الباحث المجري "ستيفن أولمان" (Stephen Ullmann). وورد هذا المبحث قبل ذلك مقالاً في مجلة فصول بعنوان: "من الوجهة الإحصائية في الدراسة الأسلوبية" (عدد ديسمبر 1983). كما نجد النسبة إلى "أولمان" مشاراً إليها في محاضراته المرئية؛ ومن بينها محاضرة "الأسلوبية الإحصائية وتطبيقاتها"<sup>(1)</sup>.

والحال أنّ "فضل" بحسب ما جاء في كلام سعد مصلوح، حَرَصَ «على إيهام القارئ بأنّ النّقد الموجّه إنّما هو من عند نفسه، مع أنّه على الحقيقة "ترجمة نصف أمينة" بل "غير أمينة" لاعتراضات أبدّاها "ستيفن أولمان" في بحث بعنوان: "اتّجاهات جديدة في علم الأسلوب"، وهو بحث نُشر ضمن كتاب (Language and Style) الصّادر عام 1964. وقد أنجز "شكري عياد" ترجمة لهذا البحث نشرها في كتابه "اتّجاهات البحث الأسلوبية" الصّادر في القاهرة عام 1996، وفي الكتاب إشارة لطبعة أولى منه صدرت في الرياض عام 1985 لم أطلع عليها. {أمّا ما عندي من المعلومات عن كتاب فضل فيقول إنّ طبعته الأولى صدرت في 1984، وأنّ هذا الفصل سبق نشره في العدد الأوّل من المجلد الرابع من مجلة فصول الصّادر عام 1983}. وخالصة القول ممّا تقدّم تقضي بأنّ ظهور اعتراضات أولمان التي احتازها فضل لنفسه سابق على ظهور ترجمة عياد لمقال أولمان، وأنّ صلاح فضل حينئذ قد

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، الأسلوبية الإحصائية وتطبيقاتها، دار المخطوطات-إستانبول، القناة: مختارات، 2023/07/30،

<https://www.youtube.com/watch?v=FUYL4FSMvwo&t=3047s>

أجرى خيله مختالا في الخلاء إلى أن صرّح الصبح لذي عينين، وكان ما كان من ظهور نص أولمان في صورته الأصيلية على يد عياد بريئا من الخط والتعبيث»<sup>(1)</sup>.

ويعلل الأستاذ اكتفائه بالردّ في المقال الأول من غير تعيين للباحث الذي أخذ عنه صلاح فضل أفكاره بقوله: «رأيت أن أنحو بالردّ منحى خاصا لا أصرّح فيه بما تكشف لي من قراءتي للنصّ الأصلي ومقارنته بكلام "فضل"، وكان ذلك لأمرين: أحدهما أن الهمّ الأول لي، كان تقنيد الاعتراضات أيّا كان مصدرها، وبيان وجه الجدوى في ما أخرجته للناس من عمل؛ وما كان شاغلي إذ ذاك الكشف عن قضية التلبيس بين الترجمة والتأليف. وآخرها تحسّبي لردّ يكون من فضل، ولردّ قد يكون منّي على الردّ؛ فوجدته واجبا أن تُدخّر المفاجآت لوقتها المناسب. لذلك لم يكن عجبا أن يجد القارئ في ردي المنشور في مجلة فصول بعنوان "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب" إشارة منّي حافزة إلى التساؤل ومثيرة للريبة..»<sup>(2)</sup>. وكلا السببين مُقنَعَيْن في الحقيقة، ومن خلالهما يتّضح نكاه مصلوح وإيمانه بجدوى ما يطرحه من أفكار، وكذا استشرافه للمستقبل. وبالمناسبة فقد وجدناه مؤخرا ينادي بما يُسمّيه "علم اللسانيّات المستقبلية" (\*)(Linguistic Futurology).

وبطرحه لهذا الموضوع المهمّ "دقائق التلبيس بين التأليف والترجمة"، فهو يواصل سلسلة أعماله التقويمية للكتابة اللسانية العربية، وينبّه إلى صنف جديد من الكتابة الهجين، «فشا في التصنيف اللسانيّ والأسلوبيّ المعاصر، وكان من مظاهر خطره انتسابه إلى أعلام مذكورين يُفْرَع إليهم لتحصيل الفقه بهذا العلم الوافد. وأعني بذلك القسيم ما يقع في منزلة بين المنزلتين؛

1 - سعد مصلوح، عن دقائق التلبيس بين التأليف والترجمة - كتابات صلاح فضل أنموذجا-، مجلة اللساني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، مج1، ع1، شتاء 2021م، ص173.

2 - المرجع نفسه، ص ص 174-175.

\* ألقى الأستاذ محاضرة بمقرّ اتحاد كتّاب مصر عن مستقبل العربية، معتمدا على ما أسماه "علم اللسانيّات المستقبلية" (Linguistic Futurology)، وهو علم - حسب ما جاء في قوله- ليس له على خطره مكان في مؤسّساتنا الأكاديمية؛ ولعلّه يجد منها ومن أفتاء العلماء سميحا؛ فذلك خير وأبقى للعربية من مَضِيع الأكل".

ومن التعليقات التي أعقبت منشور مصلوح على صفحته في الفيسبوك؛ تعليق الباحث التونسي "خليفة الميساوي" الذي يقول فيه: "قدّمت محاضرة سنة 2011 بعنوان: اللسانيّات واستشراف المستقبل، بيّنت فيها أهميّة هذا العلم في تطوير اللّغة العربيّة والنّهوض بها، ضمّنتها كتابي "المصطلح اللسانيّ وتأسيس المفهوم"، وبقيت المحاضرة يتيمة إلى اليوم رغم طباعة الكتاب وانتشاره الواسع في الوطن العربيّ".

(ينظر، سعد مصلوح، ندوة مستقبل اللسان العربيّ ولغة الشعر القديم، النقابة العامة لاتحاد كتّاب مصر، الزمّالك، <https://www.facebook.com/share/p/16iPJzr33x/>، 2025/08/30).

فلا هو بالترجمة المحض لنصّ مكتوب بغير لسان العرب، ولا هو بالتأليف العربيّ الخالص لصاحبه»<sup>(1)</sup>. وهو «أمر لا ينبغي قبوله، ولا يمكن نعته إلاّ بالتقلّت من الصّواب التي يستبين بها القارئ ما هو خالص لصاحب العمل، وما جيء به على سبيل الاقتباس والانتاس، أو تحقيقا لغايات المناقشة والاستدلال بالتأييد أو بالنقد والتّفنيد»<sup>(2)</sup>.

ومن الصّواب المميّزة بين هذا وذاك، ما سبق أن تناولناه في الأسس المعتمد عليها في نقده لفضل ضمن المقال الأوّل؛ وهو "تجهيل الإسناد"، يضاف إليه في المقال الثّاني؛ «الترخّص في توثيق الإحالات، وغياب علامات التّنصيص، وإقحام أمثلة عربيّة بديلة في سياق النصّ المترجم؛ وكلّ أولئك ممّا يسم العمل بالتشويه والتّمويه، والاستخفاء بالسّطو، والافتتان في أساليبه ومذاهبه»<sup>(3)</sup>. ومن الملاحظ أنّ الأسس الثلاثة الأولى مرتبطة ببعضها البعض؛ (تجهيل الإسناد، الترخّص في توثيق الإحالات، وغياب علامات التّنصيص)؛ فهي من تقنيّات البحث العلميّ ومبادئه الأساسيّة الواجب توفّرها، والإخلال بها قدح في قيمة البحث ومصداقيّته، وإسقاط لمنزلة الباحث.

وأما إقحام أمثلة عربيّة بديلة فيتطلّب الإيضاح والتّبيين، وإلاّ يصبح تحريفا للنصّ الأصليّ وتمويهها للقارئ، وخير ما يتّبع نهج "شكري عياد" الذي أشاد به مصلوح كثيرا؛ «أما عن مذهبه في نقل الأمثلة والشّواهد التي ضمّنها "ألمان" كتابه من الإنجليزيّة أو اللّغات الأخرى، فقال: "لقد عمدنا في هذا الجزء إلى الاحتيال لتعريف القارئ بهذه السّمات؛ تارة من خلال الترجمة التي نوردها بعد المثال الأصليّ محصورة بين قوسين معقوفين هكذا [ ]، وتارة من خلال الشّروح التي نزيدها في الهوامش". وهنا أقول لهذا العالم الجليل شكري عياد: "رحمك الله أيّها النّاقذ العظيم! إذ تضع كلّ كلمة من كلامك في حاقّ موضعها، من غير سطو ولا اجتياح ولا إخسار للميزان»<sup>(4)</sup>. وهذا من فنون الرّدّ الموظّفة؛ إذ يحمل مدخّ عياد بين طيّاته ذمّا لفضل وتوجيهها له إلى التّمودج الجدير بالاتباع في هذا الشّأن.

ومن اللّافت في مُحاجة سعد مصلوح لصلاح فضل، وفي بحوثه النّقديّة بصفة عامّة؛ ارتكازه على طريقة الأسئلة المثيرة لنقاط جوهرية كلّما سنحت الفرصة، ونحن نعلم وفعّ السّؤال

1 - سعد مصلوح، عن دقائق التلبيس بين التأليف والترجمة - كتابات صلاح فضل أنموذجا-، ص 168.

2 - المرجع نفسه، ص 169.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 - المرجع نفسه، ص ص 173-174.

في المخاطب، ودوره في إحياء النّصّ وكسر رتابته. ونستدلّ لذلك بموضعين من بحثه "عن دقائق التّلبيس".

أمّا الموضوع الأوّل فهو قوله: «.. ولعلّ ذلك هو ما عدّه "المؤلف" من باب توفير "حرية التوثيق لدى القارئ". والسّؤالات الواردة هنا: بمن تتأط مهمة التوثيق، أبكاتب البحث أم بالقارئ؟ وأيّ حرّية يُفترض أن تكون للقارئ في شأن التوثيق؟ وأين تقع مظنة "التّعالّم على القارئ" من مشكلة إيراد الأفواس وتغييب التّصيص؟ وهل لذلك أن يميّط عن الكتابة العلميّة تهمة الإبهام والتّخفي المتعمّد بالمصادر؟ إنّها سؤالات يصعب أن تجد لها جوابات تشفي النّفس وتبرئ السّقام»<sup>(1)</sup>.

وأمّا الموضوع الثّاني فيتساءل فيه مصلوح عن جدوى هذا الصّنيع في عالم متقارب ما أصبحت تخفى فيه هذه الحيل، وبخاصّة عندما تجد قارئاً جيّداً مواكبا للبحوث. يقول: «.. والمراد من ذلك أن يحصل الإيهام للقارئ بأنّ ما كتبه "فضل" ينتمي إلى جنس التّأليف الخالص له، وأنّه مُنبثّ الصّلة بجنس التّرجمة، وأنّ يحتبك التّلبيس بين هذين الجنسين المتمايزين من أجناس الكتابة. وأقول: هنا ينشأ سؤال يحار اللّبيب في التّماس جواب له: لمّ كان ما كان؟! ولمّ القصد إلى تحريف الكلم من بعد مواضعه في عالم متقارب الجهات ومشتبك العلائق، وفي خطاب قارئ معاصر زويت له جنبات الأرض، فما عادت تجوز عليه مثل هذه الحيل والطرائق؟!»<sup>(2)</sup>.

والغريب هنا أنّ هذه الأسئلة والرّدود لم تجد تعقيباً موصّحاً من "فضل" قبل وفاته - رحمه الله-، ما يجعل من المزالق الواقع فيها حقيقة لا مناص منها. وقد علّق على المقال الأوّل "علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب" في إحدى محاضراته، ومن ثمّ جاءه الرّد قاسياً من مصلوح بعنوان مقتبس من خطبة "زياد بن أبيه" لأهل البصرة؛ "ألا إنّ كذبة المنبر بقاء مشهورة"، ونورده في الهامش كاملاً بالنّظر لأهمّيّته(\*)؛ وقد فنّد فيه ادّعاءاته السّتّة، مخاطباً

1 - المرجع نفسه، ص172.

2 - المرجع نفسه، ص176.

\* من الحقيبة: مقال لا ينسى في الرد عليه؛ غفر الله لنا وله!

ألا إنّ كذبة المنبر بقاء مشهورة

استيقظ نظري ابن فاضل إلى محاضرة ألقاها بعض المشتغلين بالنقد على بعض الطلاب في أحد معاهد العلم الرصينة، وكانت عما سماه المنهج الأسلوبى. والمحاضرة - على تنفج المحاضر واصله، ومع ركاكتها الظاهرة ونحافة محتواها - ذات وجه طافح بثآليل الأباطيل، وما كنت لأحفل بها لولا ما نالني فيها من رذاذ التكاذيب.

وفي ما يأتي بيان على سنة الاختصار:

. أولى هذه التكاذيب: نعته لكتابه في علم الأسلوب بأنه " الكتاب الأساسى المعتمد في العلم "

وأرد فأقول: لقد سكتنا طويلا وأعرضنا عن التعرض لكتابك بالتقويم رعاية لذمة وصحبة قديمة، والتقاتا لما هو أجدى. ولكن - أما وقد قيل ما قيل - فأصاح لك أن كتابك هذا عورة كان ينبغي أن تسترها وتخصف عليها من ورق الشجرة الملعونة في القرآن؛ ففيه من التآبيش والخطف والعجلة والتقمع على ما لا تحسنه، والخلط المنكر بين التأليف والترجمة والسرقاات الصلعاء ما لا تحيط به حيطَةُ المقال. وإن شئت - ولعله يكون بإذن الله - كشفنا عنك غطاءك، وفرشنا بالحسك المسنون وطءاك.

. وثانية التكاذيب: زعمك أنني تخرجت بعدك بدفعتين، ثم كان أن استخرجت من ذلك نتيجة ظاهرة الفساد هي أنني تلميذك. وأرد فأقول: كنت أنت في الفرقة الثانية حين كنت أنا في الفرقة الأولى. فهي إذن دفعة واحدة. وهب بيننا عشرين دفعة أيعطيك ذلك حقا في أن تتمزى على زملائك بالباطل؟

أما النتيجة القائلة بتلمذتي لك فأترك للعلاء مهمة التعليق عليها، وحسبى أن أقول: إنك ممن اتخذتهم دليلا على ما لا ينبغي عليّ فعله سواء أكان ذلك في العلم أم في الشأن العام، وما رأيتك خابطا في مهلكة إلا سألت الله العافية مما ابتلى به سبحانه سواي.

. وثالثة التكاذيب: زعمك أنك أنت الذي أدخل علم الأسلوب إلى العربية وأني إنما صنفت في العلم مقلدا إياك.

وأدع القول لك لترد أنت على نفسك بنفسك في هذا. ألم تقل: إنك أوردت في كتابك "الأساسى المعتمد" نقودا على كتابي، وأنتك صححت لي بزعمك قولي. ترى إذن أينما يكون السابق وأينما اللاحق؟ أتراد أم المرود عليه؟ وكيف أكون مقلدا لك وأنت الذي يرد ويصحح، أو كما زعمت؟

. ورابعة التكاذيب: زعمك أن ما وجهته للاتجاه الإحصائي هو من أم دماغك، وأنت تعلم علما ليس بالظن أنك سطوت على ستيفن أولمان سطوا مكشوفاً، وأخفيت اسمه تحت عبارتك الأثرية {ويرى بعض الباحثين}. وقد كنت أنتظر منك أن ترد على ردي لأكشف المستور، ولكنك لذت بصمت القبور، وتولى عني الراحل العظيم الأستاذ الدكتور شكري عياد المهمة حين ترجم مقال أولمان بعد صدور كتابك ترجمة رانقة أمينة فضح السطو على رؤوس الأشهاد، ورد للرجل السليب المسكين بضاعته المسروقة، وهكذا صرح الصبح لذي عينين.

. وخامسة التكاذيب: زعمك أن مقالي في الرد عليك تضمن شتيمة وسبا يعاقب عليه القانون كما زعمت، وأني نعتك فيه بالجاهل، ويشهد الله - وهو خير الشاهدين - أن شيئاً من ذلك لم يكن، بل إنني نعتك في مقال آخر في صحيفة الرياض السعودية بالأخ الأكبر، وخلعت عليك من الأوصاف ما يسر ولا يسوء، وكانت زلة أستغفر الله منها، إذ هي مكرمة ذهب إلى غير مستحق.

. وسادسة التكاذيب: زعمك أنك قرأت مقالي قبل النشر وحذفت منه الشتيمة ثم سمحت بنشره.

ويشهد الله أيضا - وهو خير الشاهدين - أني دفعت المقال إلى الراحل العظيم الأستاذ الدكتور عز الدين إسماعيل، وأنه نشره بنصه كما دفعته له. أما السر وراء هذا الزعم الباطل؛ فهو علمك بأن المقال خلو مما زعمت، فأنت تقول ما تقول بداراً أن يرجع طلابك أو بعض طلابك إلى المقال فلا يجدوا فيه سبا ولا شتيمة يعاقب عليها القانون. وأقول لك إن تلك الفعلة التي فعلت ليست من المروءة في شيء. وما كان أغناك عنها إن كنت من الصادقين.

إيّاها بنبرة الغاضب دون ذكر لإسمه ولو مرّة واحدة، ولا ندري أتحمّظ هو، أم تغيب متعمّد على سبيل التّجاهل والاستصغار!

وكان الأولى بالأستاذ أن يتقّادى في مقدّمة الرّدّ استعمال التّعبير الذي سبق أن انتقد فيه فضل؛ "بعض المشتغلين بالنّقد"، مع أنّ المقصود واحد لا أكثر، وهو ما اعتمده في المتن من خلال توجيه الخطاب للمفرد المذكّر الغائب. كما فضّل عدم الكشف عن اسم المعهد الذي ألقى فيه المحاضرة واكتفى بالقول: "أحد معاهد العلم الرّصينة"، ويبدو أنّ ذلك من واجب التّحمّظ حتّى لا يجرّ نفسه إلى المساءلة القانونيّة.

وبهذه الرّدود النّقديّة الثّلاثة تّجاه صلاح فضل؛ (علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب - ردّ على صلاح فضل- / عن دقائق التّلبيس بين التّأليف والتّرجمة - كتابات صلاح فضل أنموذجاً- / ألا إنّ كذب المنبر بقاء مشهوراً)، يمكن القول إنّ سعد مصلوح قارئ جيّد لغيره، ومتابع دؤوب لواقع التّأليف وبخاصّة ما يقع في دائرة اشتغاله كالأسلوبيات الإحصائيّة، يسعى بمختلف الإستراتيجيات الممكنة لإظهار وجه الصّواب، وإمّاطة اللّثام عن التّدليس الذي يطال بعض الكتابات، ومبتغاه في ذلك خدمة البحث العلميّ من باب الأمانة الواجبة.

والعجب كلّ العجب هنا أن يكذب المرء وهو يعلم يقينا أنه يكذب. ثمّ إنه لا يستخفي بالكذب، ويؤثر أن يستعلن بتكاذبه على منبر عالمي لا تخفى معه على الناس خافية، ويكذب وهو يعلم أن كذبة المنبر بقاء مشهورة، وأن تسوّل له الأمانة أن يكذب على طلاب هو مؤتمن على عقولهم وعلى أخلاقياتهم العلميّة، وهم يتلقون "العلم" على يديه.

أقول إنّ العجب كلّ العجب. بيد أنه ما عاد شيء مع هذا الزمان الفاسد بعجيب".

(سعد مصلوح، من الحقيية: ألا إنّ كذب المنبر بقاء مشهوراً، الصّفحة الرّسميّة على الفيسبوك، 2023/07/23،

[\(https://www.facebook.com/share/p/15vowZdFZz/\)](https://www.facebook.com/share/p/15vowZdFZz/)

## 2-2-3 ملاحظٌ على بحوث تقويمية خاصة

استوقفنا لدى مطالعة عدد من البحوث التقويمية لسعد مصلوح مجموعة من الملاحظات التي يتعيّن علينا إيرادها، ولعلّها تتعلّق في مجملها بمدى مناسبة العنوان الفرعيّ للمضمون. والبداية ببحث "العربية ولهجاتها لعبد الرحمن أيّوب - عرض وتقويم-" (1969)\*؛ وأولى الملاحظات عليه خلوه من أيّ عنوان داخليّ مُقسّم لمحطّاته - مع توفرها ضمناً- (المقدّمة والعرض والخاتمة)، حتّى بدا وكأنّه عمود صحفيّ في جريدة، مع أنّه في الأصل مقال منشور بمجلة، وكان حريّ تحديد العناوين توضيحاً وتفصيلاً.

وثاني الملاحظات عليه أنّ العنوان الفرعيّ (عرض وتقويم) الذي يحيل إلى أنّ الأستاذ سيجري عرضاً وتقويماً للبحث، لا يعضده المتن إلّا في شطره الأوّل الخاصّ بالعرض. والسؤال المطروح: فيم يتجلّى التقويم هنا؟ وأين تبرز المراجعة لبحث أيّوب؟ أم إنّ المقصود بالتقويم في هذا السياق يخصّ منحى الباحث العربيّ في التّعامل مع اللّهجات - وهو ما جاء في الصّفحة الأولى-؟ لكن هذا التّخريج يأباه تقرير مصلوح في موضع آخر بشأن المقال. يقول: «صورة لمقالي الذي عالجت فيه بالعرض والتّقويم كتاب شيخي عبد الرحمن أيّوب»<sup>(1)</sup>.

إنّ بحث أيّوب - كما في مقدّمة سعد مصلوح- جاء «ليثبت - منهاجاً وتطبيقاً- أنّ دراسة اللّهجات العربيّة الحديثة ضرورة لا مفرّ منها لدراسة تاريخ اللّغة القوميّة، وأنّها جديرة بأن تغير كثيراً من المعلومات، بل أن تقلّب بعض المفاهيم التي استقرّت في أذهاننا عنها رأساً على عقب. وهنا تكمن خطورة هذا البحث في الفلسفة التي قام عليها، والمنهج الذي اتّبعه، والقضايا التي أثارها. وسنحاول في هذا العرض التحليليّ أن نبرز الخطوط العريضة في كلّ جانب من هذه الجوانب الثلاثة»<sup>(2)</sup>.

إذن فهو عرض تحليليّ بعبارة مصلوح سواء في ما قدّم به البحث، أم في ما ختمه به. يقول في الخاتمة: «ويتّضح من هذا العرض التحليليّ أنّ هذا البحث يقدّم أساساً منهجياً نظريّاً للدراسة اللّغويّة التّاريخيّة في مجال العربيّة ولهجاتها، كما يقدّم تطبيقاً ممتازاً لهذا الأساس

\* نُشرَ أوّل مرّة في مجلة "المجلة"، القاهرة، يونيو 1969. (ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات-، ص 39 إلى ص 51). ووجدنا المقال مصوّراً في ملاحق (-أحاق- بمصطلح مصلوح) كتاب "في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثيّة-" (2017).

1 - سعد مصلوح، في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثيّة-، ص 249.

2 - المرجع نفسه، ص 42.

المنهجيّ على مجموعة من الفروض والقضايا التي تبدو للنظرة الأولى غريبة أو أدخل في باب المحال، وتبدو بعد البرهنة معقولة أو قابلة للنقاش..»<sup>(1)</sup>. في ضوء ذلك، يمكن أن يكون العنوان البديل "عرض وتحليل"، لا "عرض وتقويم"، مع ضرورة وضع عناوين دالة على محطات البحث وأجزائه.

البحث الآخر الذي وقفنا عنده؛ "استثمار الفوضى - دراسة تقويمية لمشروع المعجم اللّسانيّ الموحد- (1983)\*". ومما يلاحظ عليه أنّ العنوان الرّئيسيّ (استثمار الفوضى) لم يشغل منه إلّا جزءًا يسيرًا، وكان ذلك في موضعين؛ موضع تحديد الهدف وبيانه في قول مصلوح الآتي: «وتطمح هذه الدّراسة إلى الإفادة من هذا التّنوع، وإلى استثمار محنة المعاناة العربيّة مع المصطلح المعرّب بتحويلها إلى ذخيرة ورصيد يمكن اللّجوء إليهما لفكّ الاشتباك بين المفاهيم المتداخلة من جهة، واختصاص كلّ منها بمصطلح محدّد»<sup>(2)</sup>. ولا شكّ أنّه طموح قد يتناسب مع بعض المصطلحات ويصطدم مع أخرى لتعدّد إيجاد مفاهيم مناسبة.

وأما الموضوع الآخر فيتضمّن إيضاحًا للمقصود بالفكرة، وجاء في صفتين ونصف ليس إلّا (ص 88- ص 89- ن ص 90)، مع أنّه جوهر البحث وأساسه. وكنا نأمل وجود تمثيل واسع وواضح كوضوح الثّنائيّة الشهيرة الموظّفة (لغة/لسان)، نظرًا لأنّه - كما يقول الأستاذ- «يقع تحت طائلة الفرز والتّصنيف طبقًا لهذا الاقتراح عدد كبير من المصطلحات الواردة في المشروع يُجاوز عدده ثلاث مئة مصطلح»<sup>(3)</sup>. وهنا نتساءل: ما دام البحث مرتكزًا على هذه

الفكرة "استثمار الفوضى"، لمَ لم يعالج هذه المصطلحات الكثيرة في ضوءها؟

وبخصوص العنوان الفرعيّ الذي هو "دراسة تقويمية للمشروع"، فكان في حقيقته اقتراحًا لمصطلحات بديلة - وهو الجزء الغالب-، ومن ثمّ يصحّ أن يكون العنوان البديل: "مشروع المعجم اللّسانيّ الموحد - إضافة واقتراح لمصطلحات بديلة-"، ويبدو أنّه الأنسب في الدّلالة على ما جاء في المتن.

1 - المرجع نفسه، ص ص 49-50.

\* بحث قدّم إلى أعمال الندوة التّمهيدية لمؤتمر التعريب الخامس، جامعة الجزائر، نوفمبر 1983. (ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومناقشات-، ص 53 إلى ص 90).

2 - المرجع نفسه، ص 57.

3 - المرجع نفسه، ص 89.

البحث الثّالث متمثّل في "معجم القراءات لعبد اللّطيف محمّد الخطيب - تقديم وتقويم" (2000)<sup>(\*)</sup>، وحاله شبيه بالبحث السّابق، وإشكاله متعلّق بالعنوان الفرعيّ (تقديم وتقويم)؛ إذ يتبادر إلى ذهن القارئ أنّ الأستاذ سيُعرّف بالبحث ومن ثمّ يُقوّمه، حتّى أنّ في مقدّمته ما يوحي بذلك. يقول مصلوح: «بيد أنّ هذا الوُدّ الخالص لوجه الله والعلم، ما ينبغي له أن يُفسد شهادةً لا يكتمها إلّا من هو آثم قلبه، وأعوذ به سبحانه أن أتجانف إلى إثم، أو أن أخوض فيما ليس لي به علم..»<sup>(1)</sup>؛ أيّ إنّه رغم الوُدّ وعلاقة الصّداقة القويّة التي تجمعها، سيقول كلمته التّقويميّة في حقّ المعجم.

لكن بولوجنا عالم المتن نجد أنّ التّقويم الوحيد الذي أتى عليه مصلوح يخصّ واقع اللّسانيّات الحديثة في العالم العربيّ. يقول في المطب الأوّل "وجه الحاجة إلى معجم للقراءات": «ولم تفلح خمسون عامًا من عمر اللّسانيّات العربيّة الحديثة في تغيير هذا الواقع العلميّ المرير...»<sup>(2)</sup>. ثمّ يُعدّد النّقائص في شكل فقرات قصيرة، مجملًا إيّاها في خمسة عناصر، وهي تتقاطع مع بحثه الذي سبق إنجازه سنة 1998 "اللّسانيّات العربيّة المعاصرة والتّراث: حصاد الخمسين". أيّ قبل سنتين فقط من إنجاز هذا البحث، ليختم بالقول: «تلكم المهمّات التي أسلفنا القول فيها، والتي لا تزال مجالات عذراء في الدّرس اللّسانيّ، يتجاوز خطرها دائرة اللّسانيّات الصّرف إلى دوائر أُخرى، تتداخل وتتداح في قلب الهموم التّاريخيّة والعقدية والسّياسيّة والاجتماعيّة، أو قل على سُنّة الاختصار، إنّ خطرها لَيَتجاوزُ الأفق المهنيّ للّسانيّات إلى التّاريخ العقليّ والاجتماعيّ للأمة التي إليها ننتسب»<sup>(3)</sup>.

ويمضي سعد مصلوح بعد ذلك في تبين وجوه الفضل لهذا المعجم وصاحبه، مبرزًا دوره في كتابة تاريخ اللّسان العربيّ. يقول: «فإنّه يَصْحُح لنا الآن خطراً ما قام به صاحب المعجم حين تصدّى فردا بالجمع والتّدقيق والتّوثيق لطوفان زاخر من القراءات، وليقدّم بذلك استقصاء مستوعبا لأعظم صور التّنوّع اللّهجيّ تشابكا وتفصيلا في عصر الاحتجاج (...). فانظر -

\* نشر البحث تقديمًا للمعجم الذي صدرت طبعته الأولى عن دار سعد الدّين - دمشق -، 2000م. (ينظر، سعد مصلوح، في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة - دراسات ومناقشات -، ص 249 إلى ص 265).

1 - المرجع نفسه، ص 251.

2 - المرجع نفسه، ص 253.

3 - المرجع نفسه، ص 255.

أيّها القارئ- أيّ صنيع قدّم الرّجل؟ وأيّ قول ثقيل ألقاه بعمله هذا على كلّ مشتغل بعلوم هذا اللّسان الشّريف؟»<sup>(1)</sup>.

ثمّ يواصل الثّناء بعبارات مختلفة في مواضع كثيرة من البحث على شاكلة: (وهكذا أفلح المصنّف/ وُفق المصنّف/ عقل يقظ/ عين راصدة/ المؤلّف الفاضل/ رجل من أولئك الذين يمسّكون بالكتاب/ أقنعني هذا المصنّف الجليل..). ويصف حاله أثناء تصفّح المعجم بالقول: «وحيث صَفَحْتُ أثناء هذا المعجم بهذه العين، أيقنْتُ أنّا أمام كنز لمّا يُعرَف حَبْوُهُ، ولا تتقضي عجائبه. وأزعم أنّ العربيّة لو ظفرت بأطلس للهجات الحديثة يقيد شوارد التّنوع اللّهجيّ صوتا وصرفا ونحوا ودلالة، ويقوم على ضبطها وتوزيعها واستتباط توجهاتها، وتحديد مساراتها - أقول لو أنّ ذلك كان-، وانضاف إلى هذا المعجم الذي بين أيدينا، لاجتمع للسانيّات التّاريخيّة العربيّة والسّاميّة جناحاها اللّذان بهما يكون التّحليق واستشراف أبعاد المرامي. (...). إنّ صدور هذا المعجم على الوجه المبتغى حقيق أنّ يكون فيصلا بين حقبتين من حقبة الدّرس اللّسانيّ إذا ما قمنا بحقّه وحقّ العربيّة علينا..»<sup>(2)</sup>.

بناءً على ما سبق، يتّضح لنا أنّ العنوان الفرعيّ الأنسب لما جاء في المتن؛ "تقديم وتقرّيب" أو "عرض وتقديم" بدلا من "تقديم وتقويم"؛ لأنّ حضور التقويم في البحث كان لمسيرة اللّسانيّات خلال خمسين سنة خلت ولم يكن للمعجم، وأمّا الحديث الذي حُصّ به المعجم وصاحبه فمن باب الثّناء عليهما، والترغيب في مثل هذه الجهود الجادّة والمساعي الرّائدة لخدمة اللّسان العربيّ.

البحث الرّابع والأخير يندرج في حقل المعجميّة أيضا، وموسوم بـ "المعجمات العربيّة وموقعها بين المعجمات العالميّة - تعقيب على بحث لمحمود فهمي حجازي" (2003)<sup>(\*)</sup>. والحقّ أنّ العنوان الأصليّ لبحث حجازي "بين معجمات اللّغات العالميّة المعاصرة"، ويوضّح مصلوح ذلك بأنّ العنوان الأوّل ورد إليه من خلال بطاقة الدّعوة، «ثمّ إنّّه كان عجا لي حين

1 - المرجع نفسه، ص 258.

2 - المرجع نفسه، ص ص 262-263.

\* نُشِرَ بحث الدكتور حجازي متبوعا بالتعقيب، ثمّ بما أورده المنتدون من تعقيبات عليهما في إصدار للمجلس الوطنيّ للثقافة بعنوان "ندوة تاج العروس"، الكويت، 2003. (ينظر، سعد مصلوح، في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة - دراسات ومثاقفات-، ص 283 إلى ص 291).

حُمِلت إليّ مطبوعة البحث لثلاث ليالٍ خلت أن يخالف المتن المبعوث عن جوهر المشكل الذي وُعدتُ، وأن يطالعني المتن بعنوان غير الذي إليه دُعيتُ»<sup>(1)</sup>.

ويعبّر سعد مصلوح على البحث بعنوانه الأصليّ بقوله: «ولقد استبان لي من قراءة متن البحث صدق العنوان الثّاني على منطوقه وفحواه، وحقًا كان لسياحة الباحث بين معجمات اللّغات العالميّة المعاصرة طرافته واستيعابه وعظيم جداه، غير أنّي على حفايتي بما قرأت، وإعجابي بما احتشد في أثنائه من وُصوف وبيان، كنتُ أكثر تشوُّفاً إلى قراءة ما يصدق عليه العنوان الأوّل»<sup>(2)</sup>.

وإن كان التّعقيب السّابق من زاوية إيجابيّة، فالذي يتلوه مباشرة في الفقرة نفسها من زاوية النّقد والمراجعة وإبداء وجهة النّظر. يقول الأستاذ: «ولم يَصِح لي مغزى الحوول من الفاضل إلى المفضول، ولا علّة استبدال المقصود تبعاً بما هو مقصود على الأصل في مصطلح علم الأصول، فلقد حفلت الورقة من المعلومات بما هو فوق المراد ودون الغاية، حتّى ضُمّنت مسائل هي من المعلوم في هذا الباب من العلم بالضرورة، فلا غيابها يتقُص من علم المختصّ، ولا حضورها يزيده، ومن ثمّ كانت الورقة كريمة معي؛ إذ فتحت لي باباً للقول فيما أحسب أنّه كان الأوّل بالمعالجة، وهو ما كان يعد به أصل العنوان»<sup>(3)</sup>.

واللّافت للنّظر أنّ بناء العنوان الفرعيّ؛ "تعقيب على بحث لمحمود فهمي حجازي"، كان على أساس هذين التّعقيبين الإيجابيّ والنّقديّ اللّذين شغلا فقرة واحدة من البحث؛ في حين أنّ الجزء الأكبر منه كان لتقويم واقع المعجميّة العربيّة لا التّعقيب والنّدقيق في بحث حجازي. ويبتدأ سعد مصلوح تشخيصه الذي أجمله في ثمانية أمور بالقول: «إنّ ثمة علا جساماً تقعد بالنّشاط المعجميّ المعاصر في العربيّة عن اللّحاق بغيره في لغات العالم، وهي أمور على حدّ قول أبي الطّيب المتنبّي في مقام غير هذا المقام: "نعدّ منها ولا نُعدّها". وقد أتى بعضها في الورقة التي هي موضوع التّعقيب مستخفياً في حواشي التّكثير، ولكنّي أردت الاستعلان بها؛ لأنّ التّكثير في هذا الموقف من أوجب الواجبات وفروض الأعيان»<sup>(4)</sup>. ثمّ يمضي في تعداد هذه العلل إلى أن يختم بأنّ «ذلكم هو واقع المعجم العربيّ الحديث، نسوقه

1 - المرجع نفسه، ص ص 284-285.

2 - المرجع نفسه، ص 285.

3 - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

4 - المرجع نفسه، ص 286.

بلا تزويق ولا تنميق، وذلك هو ما تاح لي من جواب على عنوان الورقة المثبت في بطاقة الدّعوة، وعملي فيما استسرّت به ورقة العالم الجليل الأستاذ الدّكتور محمود فهمي حجازي في عنوانها القائم في المطبوعة التي بين يديّ»<sup>(1)</sup>. بناءً على ذلك نتساءل: هل العنوان يكون منطبقاً على الجزء الأكبر أم على جزئية واحدة في البحث؟

وكما شغل التّعقيب على بحث حجازي فقرة واحدة، كان الأمر ذاته مع الحديث عن المعجمات العالميّة المثبتة في صدر العنوان<sup>(\*)</sup>، إذ لم يرد ذلك إلّا في قوله: «فقد ظلّ المعجم الوسيط أربعين سنة يراوح الخطأ، على حين يجري تحديث معظم المعجمات في الإنجليزيّة في كلّ خمس من السّنوات تزيد وتنقص، كما يُحدّث معجم "روبير" الفرنسيّ كلّ ثلاث، وطبعته الآخرة تزيد بمقدار الرّبع عن طبعته التي تسبقها»<sup>(2)</sup>.

إنّ الذي يبدو لقارئ البحث عنواناً جديداً في ضوء الموجود والغالب؛ "واقع المعجميّة العربيّة في ضوء بحثٍ لمحمود فهمي حجازي - تقويم وتوجيه" - بدلاً من "المعجمات العربيّة وموقعها بين المعجمات العالميّة - تعقيب على بحث لمحمود فهمي حجازي" - إذ يصدّق هذا الأخير لو كانت ثمة مقارنة بين الجهتين، ثمّ تلاها مصلوح بالتّعقيب على ما ورد فيها بإبداء الملاحظات وتوجيه البحث إلى ما يرتقي به ويزيده دقّة وسلامة. أمّا وهو بهذه الشّاكلة فالمقترح السّابق أنسب وأجدر - في حدود قراءتنا -.

وقبل الختام إرتأينا أن نضع جدولاً موضّحاً للعناوين الأصليّة والعناوين المقترحة في ضوء القراءة، على أنّ ثمة عناوين دقيقة مطابقة للمضمون لا يمسهما التّعديل:

1 - المرجع نفسه، ص 290.

\* تذكّرنا هذه العبارة "صدر العنوان" بعبارة وضعها سعد مصلوح في أحد الهوامش؛ وهي "صدر العلم". يقول: "هي العبارة العربيّة الأرومة عن ما يسمّى في لغة المترجمين (الخلفية العلميّة). وقد نبهني إلى هذه العبارة الطّريفة تلميذي وصديقي "عبد اللّطيف الفكي" من أهل السّودان الطّيب، وعنه أخذتها، فله شكري". (سعد مصلوح، في النقد اللّساني - دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف -، ص 157).

2 - سعد مصلوح، في اللسانيات العربيّة المعاصرة - دراسات ومناقشات -، ص 287.

العنوان الأصليّ	العنوان المقترح
العربيّة ولهجاتها لعبد الرّحمن أيّوب: - عرض وتقويم -	العربيّة ولهجاتها لعبد الرّحمن أيّوب: - عرض وتحليل -
استثمار الفوضى - دراسة تقويمية لمشروع المعجم اللّسانيّ الموحّد -	مشروع المعجم اللّسانيّ الموحد - إضافة واقتراح لمصطلحات بديلة -
معجم القراءات لعبد اللّطيف محمّد الخطيب - تقديم وتقويم -	معجم القراءات لعبد اللّطيف محمّد الخطيب - تقديم وتقريض -
المعجمات العربيّة وموقعها بين المعجمات العالميّة - تعقيب على بحث لمحمود فهمي حجازي -	واقع المعجميّة العربيّة في ضوء بحث لمحمود فهمي حجازي - تقويم وتوجيه -
"في صوتيات العربيّة" لمحيي الدّين رمضان - عرض وتصويب -	لا يمسه التّعديل
"المنهج الصّوتيّ للبنية العربيّة: رؤية جديدة في الصّرف العربيّ" لعبد الصّبور شاهين - نقد وتقويم -	لا يمسه التّعديل
"المدخل إلى علم الأصوات: دراسة مقارنة" لصلاح الدّين صالح حسنين - عرض ونقد -	لا يمسه التّعديل

كانت هذه مجموعة من الملاحظات الموجّهة لبحوث كرس بها سعد مصلوح ثقافة المراجعة النّقديّة في السّاحة اللّسانيّة العربيّة، والحال أنّها تُعدّ مرجعا باذخا في فنون الرّد والتّعقيب، إذ تحمل بين طياتها كنوزا منهجيّة ومعرفيّة ولغويّة، موزّعة على مجالات لسانيّة متنوّعة، هذا التّنوع يدلّ على عقيدة الأستاذ في القول بأنّ العربيّة وعلومها كالكتاب الواحد.

## الفصل الثالث:

مسائل ورؤى لسانية حول اللغة العربية من منظور مصلوح

سنتناول في هذا الفصل عددا من المسائل والرؤى اللّسانيّة حول اللّغة العربيّة من منظور مصلوح؛ والبداية ستكون بالعلاقة بين العربيّة ولهجاتها، ثمّ بسط القول في مسألة التّفاضل بين اللّغات، متسائلين: هل اللّغة العربيّة أفضل اللّغات؟ لنبيّن بعدها وجهة نظر مصلوح في البلاغة المدرسيّة، ونختم في الأخير بحديث عن المنظور البينيّ وأهمّيّته في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة.

## 1- في العلاقة بين العربيّة ولهجاتها

بالهام من شيخه عبد الرّحمن أيّوب<sup>(\*)</sup>، دعا سعد مصلوح في سياقات عديدة إلى ضرورة الرّبط بين العربيّة ولهجاتها في الدّراسة، وبخاصّة ما أورده في كتابه "في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثيّة-" (2017)؛ إذ تقوم المحاضرات الواردة فيه على فكرة أساسية مفادها؛ «تصحيح لطبيعة العلاقة بين الفصحى ولهجاتها، وتركيز لفكرة تكامل المادّة اللّغويّة بينهما، بحيث تسهم كلّ صورة من صور نطق الصّيغة في معرفة تاريخها وتطوّرها، وتحديد لاتّجاهات مسارات التطّور وكيف تتكامل أو تتوازي بين العربيّة واللّهجات»<sup>(1)</sup>.

ويعتقد كثير من الباحثين في السّاحة العربيّة - وقد كنت أحدهم- أنّ اللّهجات خطّ أحمر لا ينبغي الاقتراب منه، لما تشكّله من خطر بالنّسبة للعربيّة الفصحى، متناسين أو متجاهلين أنّ «اللّغة ليست في العمق سوى لهجة مصحوبة بجيشها الخاصّ»<sup>(2)</sup>. كما «أثبت تقدّم علم اللّغة التّاريخيّ أنّ اللّغة الفصحى ليست أقدم أشكال الكلام، ولكنّها لهجة نهضت من بين لهجات محلّيّة تحت ظروف تاريخيّة خاصّة»<sup>(3)</sup>. وهذا القول لبloomfield في كتابه "اللّغة" وعنه أخذه مصلوح.

وقد استشهد به في موضع ثانٍ مع تغيير طفيف تمثّل في استبدال اللّسانيّات التّاريخيّة بعلم اللّغة التّاريخيّ وإضافة لاحقة تخصّ اللّغة الإنجليزيّة. وفي ما يأتي نصّه: «لقد أثبت تقدّم اللّسانيّات التّاريخيّة (historical linguistics) أنّ اللّغة الفصحى ليست أقدم أشكال الكلام، ولكنّها لهجة نهضت من بين لهجات محلّيّة بتأثير ظروف تاريخيّة خاصّة. فالإنجليزيّة الفصحى

\* يقول في الفاتحة الأولى لمحاضراته سنة 1970: "من أهمّ الكتابات التي قامت على أساس هذه الفكرة وبرهنت عليها بالأمثلة التطبيقية كتاب (العربية ولهجاتها) للدكتور عبد الرحمن أيّوب، وتعتق هذه المحاضرات الفلسفة نفسها منهاجا وتطبيقا". (سعد مصلوح، في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثيّة-، ص18).

1 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 - مبارك حنون، من لسانيات الاختلاف إلى اختلاف اللسانيات، ص 257.

3 - ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومثاقفات-، ص45.

ليست بحال الشّكل الحديث للإنجليزية الأدبيّة القديمة، ولكنّها صورة جديدة للّهجة المحليّة التي كانت سائدة في لندن قديماً، ثمّ صارت إقليميّة أوّل الأمر، ثمّ تحوّلت إلى لغة قوميّة فصحيّة. وأخذت - في أثناء ذلك - كثيراً من الصّيغ الجيدة في اللّهجات المحليّة والاجتماعيّة الأخرى»<sup>(1)</sup>. لكن المثير للانتباه أنّه أتبعه بالإحالة إلى "فندريس" في كتابه "اللّغة" (ص 326-327). وبعودتنا إلى المرجعين في الأصل الإنجليزيّ للتأكّد من صحّة النّسبة بسبب تطابق القولين واختلاف الإحالتين، لم نعثر على القول سوى في كتاب بلومفيلد - كما دوّنهُ في الاستشهاد الأوّل - (ص 321)\*.

والوجهة التي يقرّها مصلوح بالاعتماد على ما جاء عند أيّوب؛ «أنّ دراسة اللّهجات العربيّة الحديثة ضرورة لا مفرّ منها لدراسة تاريخ اللّغة القوميّة، وأنّها جديرة بأنّ تغير كثيراً من المعلومات، بل أنّ تقلّب بعض المفاهيم التي استقرّت في أذهاننا رأساً على عقب (...) فاللّغة نطق، والكتابة تمثيل ثانويّ للّغة. واستخدام اللّغة أوغل في القدم التاريخي من اختراع الكتابة، والنّظم الكتابيّة تشترك كلّها في خاصيّة القصور عن تمثيل النّطق تمثيلاً كاملاً ودقيقاً، ولكن الكتابة قد اكتسبت قيمة اجتماعيّة عالية نظراً لارتباطها بتسجيل مستويات راقية من الاستعمال اللّغويّ، جعل البعض يتصوّر أنّ مقياس الصّواب اللّغويّ هو اللفظ المدوّن أو القاعدة المكتوبة»<sup>(2)</sup>.

إذن هي أفكار جريئة مستوحاة من اللسانيّات الحديثة، والاختلاف حاصل بلا شكّ في تلقّيها بين مؤيّد ومعارض، وسعد مصلوح أحد المؤيّدين لعبد الرّحمن أيّوب وما طرحه في كتابه "العربيّة ولهجاتها". يقول مثنيا على العمل: «وهذه الأسس المنهجية لا يخرعها البحث اختراعاً، وهي ليست من قبيل المصادرات المنهجية المفروضة، ولكنّا نستطيع أن نلتمس جزئياتها مفرّقة في مصنّفات الدّراسات اللّغويّة الحديثة. والجديد حقّاً في هذا المنهج هو تجميع هذه الجزئيات،

1 - سعد مصلوح، في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثية-، ص ص 26-27.

\* Leonard Bloomfield, Language, Compton Printing works, Great Britain, 1923, pp 321-322. ولأمانة فقد وجدنا في التّرجمة العربيّة لكتاب "فندريس" ضمن الصفحتين المشار إليهما حديثاً عن اللّهجات، لكن ليس كما ينصّ عليه القول. ولعلّ أقرب الأقوال إليه ما يأتي: "ومع ذلك فمهما كانت أهمية العوامل السياسيّة والاقتصاديّة، فإنّ اللّهجة أولاً وقبل كل شيء كيان لغوي. وحتى عندما نحسب حساب الظروف الخارجيّة في تكوين اللّهجات، يبقى أنّ هذه الظروف تستند جوهرياً إلى التطور الطبيعي لعناصر اللّغة". (ينظر، ج. فندريس، اللّغة، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر، 1950، ص 327).

2 - سعد مصلوح، في اللسانيّات العربيّة المعاصرة - دراسات ومناقشات-، ص 42.

وتشكيل بناء منهجيّ متماسك منها، وتوظيف هذا البناء المنهجيّ في دراسة العربيّة ولهجاتها. وهكذا حدّد البحث مفهوم اللّغة تحديداً دقيقاً، وخصّص مفهوم اللّهجة ممّا علق به من أفكار لا علميّة كانت تعدّها نوعاً من الفساد العشوائيّ الذي يعرض للّغة، ووضع العلاقة بين العربيّة ولهجاتها في موضعها الصّحيح»<sup>(1)</sup>.

ومن تجلّيات التأييد والانغماس في دراسة اللّهجات، يذكر سعد مصلوح في أحد الهوامش «أنّ إبداع بيرم التونسيّ من أصدق المدوّنات التي وثّقت للعاميّة المصريّة على اختلاف سجلّاتها registers، وما أحرّاه بالدراسة من هذه الوجهة. وكنت حدّثت نفسي باتّخاذ موضوعاً للدراسة في الماجستير من هذه الوجهة، بيد أنّي زُجرتُ وحيل بيني وبين ما أشتهي درسه من أكثر أساتذتي، لكي لا يكون سابقة ومزلقاً إلى استدخال الأدب الشعبيّ وشعر العاميّة إلى دار العلوم. والطّريف أنّ الأطروحات التي تقدّم بها أكثر أساتذتي؛ ومنهم تَمّام حسان وكمال بشر وإبراهيم أنيس وغيرهم لنيل درجاتهم العلميّة في بريطانيا كانت في لهجات عربيّة معاصرة، ومنها لهجات قرية الكرنك وعدن وبيروت والقاهرة. أمّا شيخي عبد الرّحمن أيّوب فكان موضوع دراسته هو اللّهجة النّوبية»<sup>(2)</sup>. وإن كان قد زُجرَ عن هذه المدوّنة، فنحن نعلم أنّ موضوعه للماجستير كان دراسةً صوتيّةً للّهجات المنيّا في ضوء الجغرافيا اللّغويّة، ما يعني أنّه واقع في باب اللّهجات.

وقد عرفت السّاحة العربيّة خلال السّنوات الأخيرة دعوات للاهتمام بدراسة اللّهجات وإدخالها إلى المعاجم، ومن ذلك محاولة الأستاذ "عبد القادر الفاسي الفهري" في مشروعه؛ "المعجم العربيّ البنائيّ التّنوعيّ". حيث يرى أنّ «القواميس العربيّة الحاليّة (الورقيّة والحاسوبيّة)، لا تغطّي المادّة اللّغويّة الممثلة للسان العربيّ الحاليّ بصفة كافية بموادّه المعياريّة (أو الفصيحة)، وموادّه اللّهجيّة التي تغني وتوسّع الطّاقة التّعبيريّة للسان العربيّ أو تنوّعاته الوطنيّة والجغرافيّة، إلخ. والمادّة المعتمدة إلى الآن انتقائيّة، محصورة في نصوص محدّدة تاريخيّاً، مكاناً وزماناً، فيما يسمّى الفصحى أو عربيّة الفصحاء التي لا تكاد تتعدّى القرن الرّابع في أحسن الأحوال، وبعض القبائل المنتقاة من الجزيرة العربيّة، في مقدّماتها قريش، ثمّ من

1 - المرجع نفسه، ص 45.

2 - سعد مصلوح، في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثية-، ص ص 228-229.

جاورها من قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة»<sup>(1)</sup>. وعلى الرّغم من صحّة هذا الكلام، إلّا أنّه كان في الحقيقة ضرورة تخطيطيّة لمتن العربيّة، وحصنا لها من الاندثار والاختلاط بلغة الأعاجم في ذلك الزّمان.

والمتمأل في هذه الدّعوى قد يتساءل: ألا يمكننا أن نخشى تراجع مكانة العربيّة بإقحام اللّهجات في المعجم؟ والحقيقة أنّ الفهري نفسه يحذّر في محاضراته من خطر إحلال العامّيّات بديلا عن اللّغة الفصيحة أو الفصحى في التّواصل. إنّ الهدف من ذلك ليس تغييب النّمودج المعيار، بل محاولة إدماج أكبر قدر من الوحدات المعجميّة ذات الصّلة بالعربيّة لغرض الإثراء والإنماء. يقول الفهري: «اللّسان العربيّ متنوّع بين النّوعات المعياريّة والنّوعات غير المعياريّة، ونحتاج إلى إعادة النّظر في المادّة المعجميّة الموصوفة حتّى تشمل اللّغة المعياريّة الحيّة (التي لم تدخل القواميس إلّا عرضا)، ونقوم بإدماج الموادّ اللّهجيّة التي يمكن معيرتها (أو تفصيحها) لإثراء اللّغة المعياريّة، والرّفح من حيويّتها وألفتها»<sup>(2)</sup>.

نفهم من ذلك أنّ القواميس أو ما يسمّيه "المعاجم الخارجيّة" لم ترصد إلّا نسبة ضئيلة من تنوّعات اللّسان العربيّ، بل حتّى بعض الموادّ الفصيحة المستعملة لم يتمّ إدراجها، ما يعني أنّ المَهَمّة الملقاة على عاتقي المنتمين لهذا المشروع الجديد ستكون كبيرة جدّا، خاصّة إذا علمنا - كما يرى "مبارك حنون" مؤكّدا لكلام "الفاسي الفهري" - «أنّ الفصحى ليست لغة واحدة منسجمة؛ فهي فصحيّات، والعربيّة عربيّات؛ إذ هناك عربيّة القرآن، وعربيّة الأدب القديم، والعربيّة المعاصرة، وعربيّة الإعلام وعربيّة التّجارة، والعربيّة الوسطى، والعربيّات العاميّة (...). وكأني بكلّ العربيّات تتوزّع الأدوار التّواصلية بالنّظر إلى الحاجة الاجتماعيّة الخاصّة والمطابقة لها. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ للعاميّة مستواها الرّاقى الرّفيع (لغة الملحون مثلا)»<sup>(3)</sup>. وعلى العموم هو اختلاف تنوّع وتعدّد وثناء لا اختلاف تضادّ وتنافر، إذ تقع هذه التّنوّعات كلّها تحت مظلة اللّسان العربيّ المبين.

وإشارة إلى هذه التّنوّعات والمستويات اللّغويّة، يشيد سعد مصلوح بدراسة "السّعيد بدوي" الماثلة في كتابه "مستويات العربيّة المعاصرة"، وينبّه إلى فساد «القسميّة الثّنائيّة الحادّة إمّا إلى

1 - عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي البنائي التنوعي - أسسه ونماذجه وقضاياها -، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2021، ص 26.

2 - المرجع نفسه، ص 23.

3 - مبارك حنون، من لسانيات الاختلاف إلى اختلاف اللسانيات، ص 299-300.

فصحى وإمّا إلى لهجات، والحقّ أنّ الفصحى على لسان الجماعة اللّغويّة الواحدة إذا كانت في رأينا طيفا متدرّجا من ضروب الاستعمال، فإنّ العاميّة أيضا في هذا المقام عامّيّات، وسنجد أنّ ما يسمّى بالعاميّة تتوزّعه درجات متعدّدة من درجات سلّم الاستعمال اللّغويّ كما أثبت ذلك علماء اللّسانيّات الاجتماعيّة؛ تبدأ بالعاميّة التي يصطنعها المثقّفون وتنتهي بعاميّة الأميين. وجميع هذه الصّور موجودة وحاضرة أبدا في الاستعمال اللّغويّ، وهي تتجاور وتمتزج في الموقف الواحد بحسب الملاءمة والاختصاص، ويلاحظ أنّ الانتقال من درجة إلى درجة في سلّم الاستعمال اللّغويّ يبدو تدريجيّا غير محسوس غالبا، وإنّما يُكتسَفُ بالدّرس والتحليل»<sup>(1)</sup>.

وهناك فكرة من المهمّ أن نشير إليها في هذا السياق، وقد نبّه إليها الفاسي الفهري في مشروعه، وهي وهّم سائد على حدّ تعبيره. يقول: «إنّ هذا التّدوين الجديد الذي يضمّ اللّغة العربيّة المعياريّة الجديدة واللهجات المفصّحة، أضحى ضرورة تخطيطيّة ملحة من أجل تقوية حيويّة اللّغة العربيّة واستبقائها، وتجاوز مضارّ الازدواجيّة الوهميّة (diglossia)، أو التّنوع المفرط غير المنظّم، أو دعوات إحلال الدّارجة محلّ اللّغة المعياريّة، أو تهميشها لصالحها، علاوة على الاستجابة للضرورة الوصفية العلميّة»<sup>(2)</sup>. وهو يوافق طرح سعد مصلوح الذي عدّ الازدواج اللّغويّ أسطورة، وذهب إلى وجود متّصل استعماليّ يتنوّع ويتقلّب فيه الفرد الواحد عبر مجموعة من المستويات اللّغويّة باختلاف السياقات التّخاطبيّة<sup>(3)</sup>.

ومن مواطن الاتّفاق بين مصلوح والفهري النّظر إلى المعاجم العربيّة وفق منظور واحد، فقد كتب مصلوح سنة 1987 في محاضراته الموسومة بـ؛ "عن العربيّة ولهجاتها - محاذير وأوهام -": «ومن العجيب أيضا أنّ اللّغة العربيّة من أغنى لغات العالم بالمعجمات عدداً، ولكن المعجمات فيها أقلّ تنوّعا، كما أنّها مصابة بداء أسميّه "التناسخ المعجميّ" على غرار "تناسخ الأرواح". وهي ظاهرة تقتضي التأمّل والحركة في الاتجاه الصّحيح: اتّجاه كتابة تاريخ العربيّة، وهي مهمّة لا مفرّ منها لأمة تحترم لغتها وثقافتها وتاريخها»<sup>(4)</sup>. وكتب الفهري سنة 2021 في الفصل الأوّل من كتابه المشار إليه في الهامش؛ "المعجم العربيّ البنائيّ التّنوعيّ: تحديات

1 - سعد مصلوح، في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثية -، ص 43-44.

2 - عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربيّ البنائيّ التّنوعيّ - أسسه ونماذجه وقضاياها -، ص 20.

3 - ينظر، سعد مصلوح، حوار عن اللّسانيّات والعربية والتراث 1، القناة: أثاره من علم، 2022/05/30م،

<https://www.youtube.com/watch?v=bqS-OafHj9U>

4 - سعد مصلوح، في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثية -، ص 49.

وأهداف جديدة، تدوين جديد، وتصميم جديد، وتحديدًا في مبحث؛ "المآخذ العشرة الأساسيّة على الأعمال المعجميّة العربيّة"، ما نصّه كالآتي: «هناك استنساخ المعاجم لبعضها بعضًا بصفة مفرطة، مادّة وتحليلًا، دون احترام للبعد التاريخي للّغة، أو تغيّر مناهج المقاربة المعجميّة عبر العصور، أو مفهوم اللّغة نفسه، إلخ»<sup>(1)</sup>. إذن ثمة إجماع بين الأستاذين الجليلين على وجود "تناسخ" أو "استنساخ" في الحقل المعجمي، وهذا ما نحا بمصلوح إلى الدّعوة والتّوجيه لإعادة كتابة تاريخ العربيّة باستثمار اللّهجات، وبالفهري إلى الاهتداء لسبيل جديد يكسر به الطّريقة التقليديّة المتّبعة في صناعة المعاجم.

وعموماً فإنّ فكرة التّدوين الجديد تتلخّص في اعتماد خاصيّة مغايرة لما سبق، تتخذ من التّنوع قيمة مضافة، ويعني ذلك أنّ صانع المعجم «لا يكتفي باعتماد المواد اللّغويّة المعهودة التي دُوّنت على أساس أنّها لغة الفصحاء، وهي في واقع الأمر لغة معيارية (standard)، وإنّما يتعدّى ذلك إلى الاستفادة من موادّ اللّهجات غير المعيارية (nonstandard) ما يسمّى بالعاميّات عادة، وذلك سعياً وراء معيرة هذه المواد ذات الأصول الفصيحة، تمثيلاً وإدماجاً، بما ينفع من موادّ الدّوارج العربيّة المتنوّعة عبر البقاع العربيّة»<sup>(2)</sup>. وهذا يوحى بتأثير اللسانيّات الفعليّ والحقيقيّ على الباحث العربيّ، بعدما كانت خلال بدايات التلقّي تشكّل هاجساً وخطراً داهماً يهدّد العربيّة في نظر الكثيرين، بدعوى أنّها تساوي بين العاميّة والفصحى في الدّراسة. وفي هذا الصّد ترى الأستاذة هبة خيارى؛ أنّه «رغم ما قدّمته حركة الاستشراق وكذا الاستعراب من خدمات للتّراث اللّغويّ العربيّ، فإنّ الأهداف الحقيقيّة لهذه الحركات المرتبطة بخدمة الاستعمار لم تخف عن العرب، وهو ما جعل عدداً من الدّارسين يققون موقفاً عدائيّاً من المناهج اللّغويّة الحديثة لما تدعو إليه من اهتمام باللّهجات المحليّة، لتكون بذلك منافساً للّغة العربيّة التي تمثّل بالنّسبة لهم رمز القوّة والوحدة، فهي لغة القرآن الكريم، ولغة القوميّة العربيّة، ولغة التّاريخ المشترك»<sup>(3)</sup>.

ومن الحقائق التي أضحت معلومة أنّ «اللّغة نسق متغيّر ومتنوّع، وتستعمل كلّ جماعة لسانيّة تنوّعات لسانيّة عديدة، مثلما تأكّد أنّ كلّ مجتمع يتوقّف على أكثر من تنوّع لغويّ، وأنّ

1 - عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي البنائي التنوعي - أسسه ونماذجه وقضاياها -، ص 26.

2 - المرجع نفسه، ص 30.

3 - هبة خيارى، المرجعيات الفكرية في الخطاب اللساني العربي المعاصر، مجلة التواصل في اللغات والآداب، مج 23، ع 52، ديسمبر 2017، ص 79.

الفرد يتقن أكثر من تتوع واحد. إن كل لغات العالم تخضع للتتوع؛ أي إنها لا تملك مجموعة موحدة وثابتة من القواعد، وعليه فالقواعد تتنوع تبعاً لمعايير مختلفة»<sup>(1)</sup>. ذلك ما يُملي على أهل التخصص وضع هذا التتوع في الحسبان من خلال إستراتيجيات جادة تكفل لنوعات العربية ذات الأصول الفصيحة مكانتها. وهنا تحضرنا أسئلة من قبيل: بماذا نجيب من يدعي أن اللهجات خطر على العربية، ومن ثمّ وجب الابتعاد عنها جملة وتفصيلاً؟ وكيف نوفق بين الدفاع المستميت عن العربية الفصيحة أو الفصحى في الاستعمال، والدعوة في الوقت نفسه إلى فكرة التكامل بين العربية ولهجاتها في الدراسة؟ ألا تُعدّ دراسة اللهجات مدخلاً للتمكين لها بدلاً من الفصحى؟

هذه الأسئلة طرحتها على الأستاذ سعد مصلوح، وكان توضيحه بخصوص السؤالين الأوّل والثاني كالآتي: «الابن الفاضل: خطر اللهجات على العربية لا يرجع إلى ذات اللهجات، وإنما مردّه إلى ترسيخ السياسات التي تمكّن لها في مجالات الثقافة والتعليم بأن يتمّ التدريس بها أو التعامل بها في الندوات والمحاضرات، أو الخطابة في مواطن الجدّ والمناسبات الدينية والرسمية، أو بإهمال تعليم العربية الرّاقية في المدارس وقطع الصّلة بين المتعلّم وتراث الأُمَّة. أمّا اللهجات نفسها فظاهرة طبيعية في كل لغة تستجيب لتعدّد المستويات والمواقف والبيئات، وهي في مجال الدّراسة اللّسانية والعلم اللّغويّ مكّون مهمّ لمعرفة تاريخ اللّغة وتطوّرها - كما هو ظاهر في المقال الذي دللتك عليه في كتابي (عن العربية ولهجاتها: محاذير وأوهام) - . الخطر في اتباع سياسات تمكينها على حساب العربية الرّاقية في مجالات التّعليم والثّقافة والعلوم والآداب. أمّا مادّة اللهجات نفسها فدراستها واجب علمي. وهذا مجمع اللّغة العربية بالقاهرة - وهو الذي يُفترَضُ فيه أنّه حارس الفصحى والمدافع الأوّل عنها - يجعل من تسجيلها ودراستها هدفاً رئيساً من أهداف إنشائه، كما أنّ سياسات التّقريب بين المستويات اللّغوية وتعزيز مكانة العربية الأدبية الرّاقية لا يتمّ إلاّ بالدّراسة العلميّة للهجات. وستظل معرفتنا بالعربية وتاريخها ناقصة ومعيبة ومشوّهة في غيبة المعرفة الصّحيحة باللهجات القديمة والحديثة، ومعرفة القوانين الحاكمة على التّغير اللّغويّ؛ من حيث البنية والوظيفة والتّطور في البيئات اللّغوية المختلفة. وإني - وأحسبك تعرفني - من المتحنّثين العاشقين للفصحى ومن

<sup>1</sup> - مبارك حنون، من لسانيات الاختلاف إلى اختلاف اللسانيات، ص 61-62.

أخلص خدامها في هذا الزّمان، لكن ذلك، بل من أجل ذلك، ألحّ على ضرورة الدّرس العلميّ للهجات، وأرجو أن يكون المقصود من كلامي واضحاً»<sup>(1)</sup>.

وبخصوص السّؤال الثالث فكان ردّه كما يلي: «لا، بكلّ تأكيد! والمعولّ في ذلك على الوعي بالمهمّة والهدف، وعلى التّمكّن من التّخصّص والمعرفة بحقائق العلم. واعلم أنّ القراءات القرآنيّة التي أذن لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القراءة بها، إنّما هي في حقيقتها لهجات عاصرت اللّغة العربيّة المعتبرة في زمانها»<sup>(2)</sup>. وإذا كانت هذه الإجابة عن سؤال ما إن كانت دراسة اللهجات مدخلا للتّمكين لها بدلا من الفصحى، فهو يرى أنّ استئصالها من المحال، «ومن ثمّ فإنّ القضاء على تنوّعات الاستعمال اللّغويّ أمر لا يكون، والقراءات القرآنيّة على ذلك أسطع دليل؛ لأنّ الله سبحانه وهو العليم بمن خلق لم يشأ أن يكلف النّاس إلّا ما يسعهم، فلم يحملهم جميعا على نطق موحد لكتابه العزيز، ونزل القرآن توقيفا على سبعة أحرف، ويرى بعض العلماء أنّ المراد بالسّبعة هو مطلق التّعّدّد وليس حقيقة العدد (...). أمّا أن نتوهم في أنفسنا القدرة على استئصال اللهجات، وحمل النّاس جميعا على استخدام النّمط الفصيح وحده في كلّ أحوال معاشهم وتعاملهم، فهو أمر لم يكن ولا نحسبه يكون»<sup>(3)</sup>.

والملاحظ حال حديث مصلوح عن اللهجات في مواضع كثيرة استحضاره للقراءات القرآنيّة - كما هو في النّصين السّالفين-، والغرض من ذلك تسويغ مشروعيّة الطّرح، ولا أدلّ عليه من إضافة هاتين العبارتين إليها: (أسطع دليل، أبلغ دليل..). وقوله الآتي مؤكّد للفكرة: «الفصحى ليست طبقا للغة قريش ولا مرادفا لها، والقراءات القرآنيّة هي على ذلك أبلغ دليل؛ إذ يصعب أن ننتع قراءة قرآنيّة ولا سيّما المتواتر منها بعدم الصّحة أو الفساد، وقد نزل القرآن كما ورد في الحديث الشّريف على سبعة أحرف»<sup>(4)</sup>. وهو يرى أنّ التنوّع اللّغويّ اكتسب القداسة من القراءات القرآنيّة، والقراءات كلّها سبعية وعشريّة وشاذّة هي حجّة في باب اللّغة<sup>(5)</sup>. وقد يبدو غريبا لغير المتخصّص حجّة القراءة الشاذّة إلّا أنّه متمسك بذلك شديد التّمسك، ويشير

1 - أجابني الأستاذ سعد مصلوح كتابيا عبر تقنية "المسنجر" بتاريخ: 04 أكتوبر 2025 على الساعة 17:16 بتوقيت الجزائر.

2 - المرجع نفسه، على الساعة 17:57 بتوقيت الجزائر.

3 - سعد مصلوح، في تاريخ العربية - مغامرات بحثية-، ص44.

4 - المرجع نفسه، ص47.

5 - ينظر، سعد مصلوح، حوار عن اللسانيات والعربية والتراث 1، القناة: أثاره من علم، 2022/05/30م،

<https://www.youtube.com/watch?v=bqS-OafHj9U>

إلى أنّ الخلاف في قبولها لا يشمل الحجّية في اللّغة؛ لأنّ جميعها واقع في عصر الاحتجاج(\*)، «ولأنّ القراءات الشّاذّة يمكن أن تنطوي على صور نطقية هي أعرق في التّاريخ من نظائرها في قراءة الجمهور أو القراءات المتواترة الأخر»<sup>(1)</sup>.

وفي فكرة لافتة مستلهمة من أبي حيّان التّوحيدي<sup>(\*)</sup>، يميّز سعد مصلوح في تقديمه لمعجم القراءات القرآنيّة لعبد اللّطيف محمّد الخطيب بين «نحو الفطرة على ألسنة الفصاح، ونحو الفطنة في مصنّفات النّحو، وأنّ الأوّل ينبغي أن يكون حاكما على الآخر ومهيّنا عليه، وهنالك أقول: ألا تستيقظ هذه المقولة أنظارنا إلى وجوب تصحيح العلاقة بين القراءات الثّابتة بالنقل الصّحيح وما خالفها من قواعد النّحاة، وأنّ نحّرر في ضوئها الشّروط القائل بوجود موافقة العربيّة ولو بوجه. وبذلك لا تكون العربيّة مرادفا لنحو النّحاة، وتكون القراءات هي المرجع المعوّل عليه في تحديد وجوه العربيّة، ولا عكس؟»<sup>(2)</sup>. وقد سبق إلى ذلك ابن المنير (ت 683 هـ) في ردّه على الزّمخشريّ (ت 538 هـ) الذي غلب القاعدة على القراءة القرآنيّة فقال: «ليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربيّة، بل تصحيح قواعد العربيّة بالقراءة»<sup>(3)</sup>. ويبدو أنّه طرح سديد يحمل تغليباً لنحو الفطرة على نحو الفطنة، وهذا المعتبر منطقياً، إذ لا يمكن الحكم على الأوّل في ضوء الثّاني، ومن المعلوم أنّ القواعد لاحقة لا سابقة، وهي مستنبطة من المدوّنة العربيّة بما فيها القراءات القرآنيّة، ومن ثمّ وجب إعادة النّظر في شرط موافقة العربيّة مثلما أبان عنه مصلوح.

\* تلقت ذلك من أحد ردوده على موقع "الفيسبوك"، ومن ثمّ سألته السّؤال الآتي: "قلت ذات موضع أنّ الخلاف في قبول القراءات الشّاذّة لا يشمل الحجّية في اللّغة؛ لأنّ جميعها واقع في عصر الاحتجاج. فهل الخلاف يشمل السّند؟ فأجاب بالآتي: السّند في شأن اللّغة ليس موضع اعتبار؛ إذ إنّ المتن واقع في عصر الاحتجاج على أيّ حال، وإنّما يُعتبَر السّند عند النّظر في الأحكام وغير ذلك". (أجابني عبر تقنية "المسنجر" بتاريخ 2025/10/11 على الساعة 16:12 بتوقيت الجزائر).

1 - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات وثقافات -، ص 257.

\* عبّر عن ذلك شفويّاً في محاضرة مرئية ضمن فعاليات أسبوع البحث العلمي الذي أقامته كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتاريخ 21 / 2 / 2021م = 9 رجب 1442هـ؛ ويُصدّد بنحو الفطرة - كما عند أبي حيّان التّوحيدي - النّحو السّليقيّ الذي جرت به ألسنة العرب، ونحو الفطنة ما وضعه الرّجال بغية تعويد اللّغة وضبطها. (ينظر، سعد مصلوح، اختيار الموضوعات البحثية بين الإبداع والتقليد، القناة: د. مصطفى محمد الكنز، 28 فيفري 2022، <https://www.youtube.com/watch?v=P7T0Yz60elo>).

2 - سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات وثقافات -، ص 264.

3 - محمود الزّمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل مع حاشية "الانتصاف فيما تضمنه الكشّاف" لابن المنير الإسكندري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ/1986م، ج 2، ص 70.

إنّ الهدف المرجوّ من وراء العلاقة المقامة بين العربيّة ولهجاتها مائل في التّاريخ الصّحيح للعربيّة، وهذا ما يلحّ عليه سعد مصلوح في مثل هذه السّياقات. يقول: «وثمة أمر لا نملّ من ترديده والإلحاح عليه في هذا السّياق؛ هو أنّه في غياب تصحيح العلاقة بين العربيّة الفصحى ولهجاتها القديمة والحديثة ووضعها في مكانها الصّحيح، لا يمكن لمثل هذا التّاريخ أن يكتب بطريقة علميّة دقيقة»<sup>(1)</sup>.

ويقول في موضع آخر: «وغنيّ عن البيان أنّ كتابة تاريخ اللّسان العربيّ على النّحو الذي أسلفنا بيانه، إنّما هو مقدّمة لا غنى عنها لإعادة كتابة تاريخ اللّغات السّاميّة، بل لإعادة كتابة تاريخ لغات الفصيحة السّاميّة - الحاميّة كلّها»<sup>(2)</sup>. وبشيء من النّقصيل والتّوضيح، يُبيّن أنّ ذلك لا يكون «إلاّ باستقراء يتمّ على وجه الاستيعاب الممكن لمختلف الصّور التي تظهر بها الصّيغ والتّراكيب في العربيّة ولهجاتها، وكذلك في اللّغات السّاميّة الأخرى على تباين لهجاتها. وإقصاء اللّهجات من هذه الدّراسة يعني أن نعيد تركيب النّمط السّاميّ المفترض من صورة واحدة ينتمي جميعها إلى النّمودج الفصيح من كلّ لغة، أو من صور محدودة حفظتها لنا المصادر ووصمتها باللّحن الذي ينبغي اجتنابه. وهذا يعني أنّ الصّور المحصّلة لن تكون مكتملة لعدم كفاءة المدوّنة المدروسة. وأنا أرى أنّ الدّراسات السّاميّة في جامعاتنا في مأزق حقيقيّ؛ إذ تحوّلت إلى ما يشبه أن يكون دروسا في قواعد اللّغات، وليست دراسات في فقه اللّغات السّاميّة بالمعنى العريض المستوعب الذي يراد من هذا المصطلح. ولعلّ أهمّ العلل الباعثة على ذلك غياب الأطلس اللّغويّ الجامع للّهجات الحديثة»<sup>(3)</sup>. ومن المفارقة أنّ سعد مصلوح واقع ومشارك في ما يسمّيه (مأزقا)؛ وآية ذلك منجزه المعرفيّ رفقة الدّكتور عبد اللّطيف الخطيب الموسوم بـ "نحو العربيّة"<sup>(4)</sup>، وهو سلسلة تتكوّن من أربعة أجزاء موجّهة للتّعليم الجامعيّ.

وارتأينا في الأخير أن نختم بما ختم به سعد مصلوح أحد بحوثه، وأبان فيه عن مذهبه في المعالجة المستوحى من اللّسانيّات الغربيّة، ومعتزّا من خلاله باللّسان الذي يشرف بالانتماء

1 - سعد مصلوح، في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثية-، ص 50.

2 - سعد مصلوح، في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة -دراسات ومثاقفات-، ص 258.

3 - سعد مصلوح، في تاريخ العربيّة - مغامرات بحثية-، ص ص 46-47.

4 - ينظر، عبد اللّطيف الخطيب وسعد مصلوح، نحو العربيّة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1،

1421هـ/2000م.

إليه. يقول: «ولقد أردنا بما تقدّم أن نشرع أمام الباحثين أفقا متراميا من آفاق البحث اللساني، يُكشّف به اللّثام عن أسرار التّحوّلات اللّسانية التي هي دلائل للتّحوّلات الفكرية والثّقافيّة في تاريخ الكلام العربيّ، وعلاقات أهل العربية بغيرهم من الأمم المتداخلة معهم سلما وحرّبا، كما يمكن من خلالها للباحث أن يستنبط قوانين هذه التّحوّلات واتّجاهات مساراتها، مستبدلا النّسقيّة systemization بالتّفتيت atomism، والتّعويل على الكلّيّات والجوامع بديلا لنتّارات من الصّيغ ومتفرّقات من الأمثلة والمسائل في هذا اللّسان الشّريف الذي هو من أقدم ألسنة البشر وجودا، ومن أغمضها تاريخا، وهو باب جامع بين الأهميّة والمشقّة والمتعة في آن»<sup>(1)</sup>.

وبشيء من النّقصيل، يعبر الأستاذ عن هذه الكلّيّات والجوامع بفقّه الطّواهر، وما سواها بفقّه المسائل، والمتابع لكتابات سيّد إلحاحا في الدّعوة إليها، وانتقادا لمن يقف في بحوثه عند حدود المتفرّقات التي لا يجمعها رابط؛ «فغاية اللّسانيّات التّاريخيّة بما هي علم هو الكشف عن تغاير الأنساق والسّنن الحاكمة عليها تبعا لمتواليّة الزّمان، من غير اكتفاء بالمفرد والمشعث من المعطيات»<sup>(2)</sup>.

يقول مشخصا لحال الباحثين في اللّسانيّات العربيّة: «وحيث أعود إلى هذه الكلمات التي كتبتها منذ قرابة أربعين سنة، ثمّ ألقب النّظر بعد هذا الأمد المتطاول في نتاج باحثين ذوي عدد من اللّسانيّين العرب المعاصرين، فأجد الاشتغال باعتراضات فلان على فلان من النّحاة، وبتعقّبات زيد على عمرو من متقدّمي اللّغويّين، أستيقن أنّ الأمر لا يزال واقفا عند ما كنت أنكره وأنا في سنّ اليفاع؛ فيحزنني أن تتكلّس الرّؤى البحثيّة، فتقنع بالوقوف عند فقّه المسائل دون فقّه الطّواهر، وتستدبر ما هو أشدّ خطرا وأعظم متعة إلى رجيع من القول لا جدوى منه ولا طراءة له»<sup>(3)</sup>. وفي ضوء هذا الانتقاد تتبادر إلينا التّساؤلات الآتية: ألا تُعدّ المراجعة التّقديّة التي يشتغل عليها الأستاذ مصلوح ضربا من بحوث التّعقّبات والاعتراضات التي أنكرها؟ ألا يُعدّ الصّدّ عن هذه البحوث قطعا للصّلة بالتّراث النّحويّ العربيّ؟ وهل جميع البحوث التي تنتمي إلى هذا الصّنف محترقة ومستهلكة ولا تحقّق الإفادة؟

وللإشارة فقد نبّه مصلوح إلى ذلك في محاضراته خلال السّبعينات، وأخرج العمل من جديد سنة 2008 في الكتاب التّذكاريّ الذي أصدره قسم اللّغة العربيّة بجامعة الكويت تحية

1 - سعد مصلوح، في تاريخ العربية - مغامرات بحثية-، ص ص 139-140.

2 - المرجع نفسه، 83.

3 - المرجع نفسه، ص 72.

لذكرى العالم الجليل أحمد مختار عمر - رحمه الله -<sup>(1)</sup>. وما زال إلى غاية هذه السنّة (2025) يردّ هذا النوع من البحوث، ويدعو القائمين على المصادقة على الرّسائل الجامعيّة أن يتصدّوا لها ويقابلوها بالترّفض المطلق<sup>(\*)</sup>.

## 2- هل اللّغة العربيّة أفضل اللّغات؟

سؤال كثيرا ما يتردّد على الألسنة، وفي الحقيقة أنّ حسم الإجابة عنه بعيد المنال، لكنّ ذلك لا يمنع محاولة الاجتهاد والإدلاء بوجهة النّظر العلميّة البعيدة عن الذاتيّة والتّحيّزات العرقيّة، والادّعاءات الوهميّة بأنّ اللّغة (س) أفضل من اللّغة (ع) في إطار تحيّر كلّ قوم إلى لغته والقول بأنّها الأكمل والأفضل. وقد حاول اللّسانيّ الأستراليّ "روبرت وليام ديكسون" في مؤلّف صدر سنة 2016، وترجم إلى العربيّة سنة 2018؛ مقارنة السّؤال الآتي: هل بعض اللّغات أفضل من بعض؟ والكتاب لا يقول بأفضليّة لغة على لغة تعصّباً أو تحييراً لعرق وجنس معيّن، وهي قضية أصبحت من محرّمات البحث اللّسانيّ منذ بداية القرن العشرين، وتحديدًا بإعلان ميلاد اللّسانيّات الحديثة التي جعلت على رأس مبادئها دراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها؛ أيّ موضوعيّة البحث وتساوي اللّغات أثناء الدّراسة<sup>(2)</sup>.

والأصل أن تتمّ المقارنة في ضوء مجموعة من الأسس العلميّة كالتي يرصدها المؤلّف في كتابه (44 خصيصة تجعل من لغة ما مثاليّة)، إضافة إلى الوظائف التي تؤدّيها اللّغة؛ «ويمكن تلخيص تلك الأدوار (الوظائف) في كون اللّغة تعزّز مسار الانتماء والهويّة، وتسهّل

1 - ينظر، المرجع نفسه، ص 69.

\* وضع سعد مصلوح بتاريخ 24 سبتمبر 2025 تدوينة على صفحته في الفيسبوك يقول فيها: "مَنْ لِعِلْمِ النَّحْوِ بطبيب يُعِينُهُ مِنْ أَطْرُوحَاتِ عَوَارِضِ التَّرْكِيبِ!! لقد طَفَّ الصَّاعُ". فجاءه الرّدّ من الأستاذ كمال سعد كالاتي: "أوقفنا في دار العلوم بالقاهرة مثل تلك المشاريع البحثية التي تحمل عنوان عوارض التركيب، واكتفينا بما سبق إنجازها منها.. لكن بعضهم يحتال للأمر ويتقدم بخطط تحمل عناوين قريبة نحو: الخصائص التركيبية أو السمات التركيبية.. إلخ. ظنا منهم أنها تختلف وطمعا في أن تمر.. ونحن لهم بالمرصاد والله المستعان.. وصدقتم أستاذنا لقد طَفَّ الصَّاعُ. وكفانا هذا التردّي الذي وصلنا إليه.. لقد آن الأوان للتصدي لمثل هذه العناوين وتلك القوالب الجاهزة التي يستغلها الطالب ولا يغير فيها إلا اسم صاحب المدونة". ليعقب عليه الأستاذ مصلوح بالآتي - وهنا الشّاهد من الاقتباس -: "أخي الحبيب الدكتور كمال، من دار العلوم كانت ذرور قرن هذه الفتنة، وبقي منها: \* اعتراضات زيد على عمرو \* وتعقبات فلان بن علان على هيان بن بيان \* وطاقفة أخرى من العناوين المهترئة، أن أوان الإعراض عنها". (سعد مصلوح، أطروحات عوارض التركيب، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، <https://www.facebook.com/share/p/1JxaCNYBMS/>, 2025/09/24).

2 - ينظر، ناصر بن فرحان الحريص، مراجعة كتاب هل بعض اللغات أفضل من بعض؟ مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، السعوديّة، ع10، يناير 2020، ص237.

العمل التّعاونيّ، وتعكس التّنظيم الاجتماعيّ، وتستخدم للتّعبير عن الانفعالات، وأنها أداة لتوصيل المعلومات، وتعدّ وسيلة للتّعبير الجماليّ، ووسيلة للتّفكير العلميّ والحجاج، ووسيلة للدّعوة إلى المعتقدات والآراء»<sup>(1)</sup>. والملاحظ في النّقافة العربيّة أنّنا ما زلنا نركن إلى المفاضلة العاطفيّة بين اللّغات، غير مُدركين أنّ ما تشترك فيه اللّغات أكثر ممّا تختلف فيه.

ومن بين المتبّئين لهذا الطّرح والمدافعين عنه بشدّة؛ الأستاذ حمزة المُرينيّ - وهو مترجم الكتاب المُشار إليه سابقاً - يقول: «سعت الدّراسة العلميّة المعاصرة للّغة للقضاء على تلك الحجج الواهية التي يعلّل بها الجاهلون بطبيعة اللّغة الإنسانيّة مواقفهم المتحيّزة ضدّ بعض اللّغات. وبيّن البحث العلميّ بيانا لا يدع للشكّ مجالاً أنّ اللّغات الإنسانيّة التي يبلغ عددها أكثر من ستّة آلاف تشترك في الخصائص البنيويّة أكثر ممّا تختلف، أمّا الاختلافات الظّاهريّة التي يَحْتَجّ بها من يؤكّدون الاختلافات بين هذه اللّغات فأمرور تبلغ سطحيّتها حدّاً كبيراً»<sup>(2)</sup>. ويوضّح هذا بشكل أكبر في مقدّمة ترجمته من خلال الإشارة إلى مصطلح "الكليّات اللّغويّة" عند "جرينبيرج" و"تشومسكي" (\*).

ولقد آثرنا بداية حديثنا بالقول إنّ حسم الإجابة عن سؤال الأفضليّة أمر معقّد وصعب للغاية؛ فالمؤلّف ذاته صاحب الأربعين سنةً من الخبرة في دراسة اللّغات؛ سواء المشهورة منها أم غيرها كبعض اللّغات الأستراليّة والبرازيليّة ولغات جزر جنوب المحيط الهادي، ترك الإجابة عنه للقارئ خوفاً من أن يجانب حكمه الصّواب، فكيف بمن لم يطّلع على لغات الآخر أن يوزّع الأحكام اعتباطاً برفع شأن لغة وتنزيل أخرى، أليس هذا عين اللّاموضوعيّة؟ ويؤيّد ذلك مُراجِعُ الكتاب المترجم "ناصر الحريص" الذي يرى أنّه؛ «مهما فعل هذا الكتاب أو غيره فلن يصل على الأغلب إلى إجابة محدّدة عن مدى تفاضل اللّغات ولو من منطلق علميّ، لأنّه وكما يقول ديكسون (لكلّ لغة عبقريّتها)، ومن هنا يبقى عمل مقارنة تفاضليّة بين لغتين في

1 - المرجع نفسه، ص ص 238-239.

2 - حمزة بن قبالان المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، الرياض، 2002/10/12م، (المقدّمة).

\* يقول المُرينيّ: "ويتمثّل النوع الأوّل من الدراسات التي تتبّع التشابهات بين اللّغات في عمل اللسانيّ الأمريكيّ المعاصر "جرينبيرج" الذي درس عدداً من اللّغات التي تنتمي إلى أسر لغويّة مختلفة، ورصد عدداً من الخصائص التي تتماثل فيها، وصنّف ذلك تحت مصطلح "الكليّات اللّغويّة". والمنحى الثاني ما يمثله عمل اللسانيّ الأمريكيّ المعروف "تجوم تشومسكي" الذي تقوم نظريّته على أنّه يمكن النظر إلى اللّغات البشريّة كلها على أنّها أشكال للغة واحدة. ولا يعود هذا التماثل إلى المظاهر اللّغويّة المتحقّقة في اللّغات - كما فعل جرينبيرج -، بل إلى التماثل في بنية الدماغ بين البشر". (روبرت وليم ديكسون، هل بعض اللّغات أفضل من بعض؟ تر: حمزة بن قبالان المزيني، ص 13).

مدى وفائهما بأكبر قدر من الأدوار الوظيفيّة أو اشتغالهما على الخصائص اللّغويّة أمرا ليس بالسّهل»<sup>(1)</sup>. وبناءً على ذلك، يظهر مدى صعوبة القول بالأفضليّة ولو بالاستناد إلى معايير دقيقة، فكيف إذا كان المعيار أو الأساس غائبا أصلا؟

إنّ الاعتزاز باللّغة لا يكون بتفضيلها عاطفيًا، وإنّما ببذل الجهود لخدمتها ونشرها وتوسيع نطاقها، ومن اللافت هنا رؤية المُراجع التي تُخرج الأفضليّة من دائرة الوظائف والخصائص العلميّة إلى مفهوم التّمكين بعيدا عن التّحيز العرقيّ؛ «فإن كان ثمة حكم يخولنا القول بأنّ لغةً أفضل من أخرى، فهو بقدر اهتمام متكلمي تلك اللّغة بها من حيث تمكينها والرّفيع من شأنها وتأكيد حضورها بين اللّغات بما يؤلّف عنها، وبما تُخدّم به من وسائلٍ تساعد على تطوّرها وانتشارها وتعلّمها. هذا الاهتمام هو ما يجعل من لغة ما تُمارس بلا وصاية طابعها العمليّ، فتبدع في توظيف خصائصها اللّغويّة - مهما قلّت أو كَثُرَت -، في تفعيل أدوارها ووظائفها التّواصلية والإبلاغيّة»<sup>(2)</sup>.

وبالعودة إلى التّراث اللّغويّ العربيّ نجد فكرة نفي التّفاضل قائمةً بشكل صريح في كتاب ابن حزم الأندلسيّ (456هـ) "الإحكام في أصول الأحكام". يقول: «وقد توهم قوم في لغتهم أنّها أفضل اللّغات، وهذا لا معنى له؛ لأنّ وجوه الفضل معروفة، وإنّما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للّغة ولا جاء نصّ في تفضيل لغة على لغة. وقد قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبيّن لهم". وقال تعالى: "فإنّما يسرّناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون". فأخبر تعالى أنّه لم يُنزل القرآن بلغة العرب إلّا ليفهم ذلك قومه عليه السّلام لا لغير ذلك»<sup>(3)</sup>. إذن هذه حجّة ابن حزم لمن يدّعي أفضليّة لغته، مستندًا فيها إلى أنّ الله تعالى بعث الرّسل بلسان أقوامهم حتّى يتمّ التّواصل والتّبليغ بما يفهمون، وأن لا دليل يمكّننا من التّفصيل والتّرجيح. «وقد قال قوم: العربيّة أفضل اللّغات لأنّه بها نزل كلام الله تعالى، وهذا لا معنى له؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قد أخبرنا أنّه لم يرسل رسولًا إلّا بلسان قومه... فبكلّ لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه، وقد أنزل التّوراة والإنجيل والرّبور، وكلم موسى عليه السّلام بالعبرانيّة، وأنزل

1 - ناصر بن فرحان الحرّيص، مراجعة كتاب هل بعض اللّغات أفضل من بعض؟ ص246.

2 - المرجع نفسه، ص247.

3 - ابن حزم الأندلسيّ، الإحكام في أصول الأحكام، تقديم: إحسان عباس، دار الأفاق الجديدة، بيروت، مج1، 1979، ص33-34.

الصّحف على إبراهيم بالسّريانية، فتساوت اللّغات في هذا تساويًا واحدًا<sup>(1)</sup>. ويُتبع ابن حزم حديثه بضرب الأدلّة والحجج ردًا على المزاعم والأوهام المنتشرة في كلّ قوم عن لغتهم، داعيًا إيّاهم بشكلٍ ضمنيٍّ إلى التّخلّي عن التّحيزِ للغة الواحدة ورفضِ ما سواها من اللّغات.

كان هذا تمهيدًا ضروريًّا قبل التّطرّق لوجهة نظر مصلوح في المسألة، فهو على خلاف القائلين بأنّها لغة كباقي اللّغات، وعلى خلاف المتحيزين لها بدافع العاطفة التّابعة من الشّعور بالانتماء إلى القوميّة العربيّة. وسنستند في عرض رأيه العلميّ إلى محاضرتين مرثيتين؛ "العربيّة بين لغات العالم" و "اللّغة العربيّة بين اللّغات"، وكذا مقاله "في البلاغة والتّكافؤ النّحويّ بين العربيّة والإنجليزيّة والرّوسيّة" المضمّن في كتابه "في البلاغة العربيّة والأسلوبيات اللّسانية - آفاق جديدة-"، ومن خلاله سيّتضح للقارئ تمكّن الأستاذ من اللّغات الثّلاث.

يرى سعد مصلوح أنّ التّفضيل يقتضي تحديد المعيار، ففي ضوءه فقط يمكننا القول إنّ لغة أفضل من لغة. المعيار الأوّل - في نظره - مائل في التّرجمة، فهي الكاشفة عن تفاوت اللّغات وتفاوت أنظمتها في الوفاء بالمراد<sup>(2)</sup>. وبصيغة أخرى وردت على لسانه في مقام غير ذلك؛ تتفاضل اللّغات بقدرة بنيتها على الوفاء بالرسالة وتحقيق الغرض النّفسيّ منها<sup>(3)</sup>. وعلى سبيل المثال والبيان يقول مصلوح بعد عرضه ثلاث ترجمات لقوله تعالى الذي قصد فيه تأخير الفاعل لا تقديم المفعول رعاية للفاصلة القرآنيّة: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ ﴾ طه [67]؛ «وأيسر نظرة إلى الأبدال السّابقة في ترجمة معنى الآية تهدي إلى أنّ أيًا منها لم يوفّق في نقل جماليّة تأخير الفاعل عن متعلّقه، وذلك أنّ مراعاة تشاكل رؤوس الآي مستثناة من التّرجمات بالكلّيّة»<sup>(4)</sup>.

المعيار الثّاني الذي وضعه مصلوح للمفاضلة - وإن كان في الحقيقة وثيق الصّلة بالأوّل -، متعلّق بالكيفيّة التي يتحقّق بها التّواصل وتبلّغ بها الرّسالة، وليس بوظيفة التّواصل

1 - المرجع نفسه، ص34.

2 - ينظر، سعد مصلوح، اللغة العربية بين اللغات - المقاربة العلمية للغة العربية-، القناة: قطوف الرؤى، 2019/11/1م، <https://www.youtube.com/watch?v=NWUsZFNemY4>

3 - ينظر، سعد مصلوح، حوار مفتوح حول قضايا لسانية متنوّعة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 24 سبتمبر 2024، <https://2u.pw/Fa32qNL5>

4 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص131.

ذاتها؛ فسَدّ الجوع وظيفية قد تحقّقها لقيمات وقد يكون بمائدة عامرة، وكذلك ستر الجسم يكون بأيّ شيء ويكون أيضا بالموضات والأزياء..(1).

وباختصار لما سبق، يقرّر سعد مصلوح حسب خبرته الطويلة في البحث والدراسة وجود تفاضل بين اللّغات على أساسين؛ أولاهما الوفاء بمراد الرّسالة، وثانيهما كفيّة إبلاغ الرّسالة، وبين الطرفين تداخل وتكامل. وهو يعتقد أنّ فضيلتي الاشتقاق والنسق الحرّ من أهمّ ما يميّز اللّغة العربيّة عن غيرها، فهما يعطيان اللّغة أناقة ورحابة واتّساعا وتميّزا(2).

والمتابع لمنجزه سيلحظ تركيزا منه على مئزة النسق الحرّ في العربيّة وبخاصّة في القرآن الكريم. يقول: «ولمّا كانت صرفيمات الإعراب دوالاً للرتبة، وكان اللفظ قابلاً للتقديم أو التأخير بحسب قواعد الجواز(\*) - صحّ أن تكون العربيّة إلى اللّغات ذات النسق الحرّ في نظم الكلام free word order أقرب منها إلى اللّغات ذات النسق الثابت fixed word order (...). هذا على أنّنا نتجاوز الصّواب إذا أسسنا على ذلك أنّ المعدول به عن الأصل هو وحده الحقيق بصفة البلاغة، وأنّ ما جاء على أصله هو خلوّ من هذا الوصف، ولو كان المعدول هو الأبلغ قولاً واحداً لجرّده الله في القرآن»(3). ليتبع ذلك بقوله: «ولمّا كانت لغة القرآن حافلة بما هو معدول به عن أصل رتبته كانت المواجهة اللّسانيّة بين لغته ذات النسق الحرّ ولغة كالإنجليزيّة

<sup>1</sup> - ينظر، سعد مصلوح، العربية بين لغات العالم، القناة: أ.د. سعد عبد العزيز مصلوح/ محب العربية، 2020/05/27م، [https://www.youtube.com/watch?v=Z6JdEpeH\\_g4](https://www.youtube.com/watch?v=Z6JdEpeH_g4)

<sup>2</sup> - ينظر، المرجع نفسه.

\* يميّز سعد مصلوح في محاضرة ألقاها بكلية الآداب بجامعة الكويت بتاريخ 21 / 2 / 2024م، تحت عنوان "شجاعة العربيّة وتجلياتها في القرآن الكريم" بين قواعد الوجوب وقواعد الجواز، ويرى أنّ نسبة الثّانية أكبر من الأولى، وإليها تنتمي الشّجاعة المقصودة. وتعني شجاعة العربيّة؛ قابليّة نظام اللغة لأداء ما يناط به من الوفاء بحاجات الناطقين دون التزام صارم بالقواعد الضابطة للجملة؛ أيّ متى يكون الخروج عن القاعدة شجاعة ومتى يكون خطأ؟ ويندرج هذا في إطار الصراع الأبدي بين القاعدة والاستعمال، حيث يتمرّد الاستعمال على القاعدة ليقول شيئاً يستحقّ الالتفات، وهو ما يفتح باباً جديداً للدراسة، لأنّه كلما ابتعدنا عن التّقييد الضابط كلما اتسع دور الإبداع والعكس صحيح.

(ينظر، سعد مصلوح، شجاعة العربيّة وتجلياتها في القرآن الكريم، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2024/02/23، <https://www.youtube.com/watch?v=rr2MwwBoE8o>).

كما ينظر إلى: (سعد مصلوح، اختيار الموضوعات البحثية بين الإبداع والتقليد، القناة: د. مصطفى محمد الكنز، 28 فيفري 2022، <https://www.youtube.com/watch?v=P7T0Yz60elo>).

<sup>3</sup> - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص113.

من ذوات النّسق الثّابت في أمر ترجمة معاني القرآن أمرا حرّيا بالتّتبّع الرّاصد الذي يكشف عن آليات المواجهة ويستظهر قوانينها»<sup>(1)</sup>.

والأمر اللاّفت هنا في معرض إيرادته تعليل اللّغويين القدامى للتّقديم والتّأخير باعتبار الرّتبة إحاطته بجميع الأقوال الواردة في المسألة منسوبة إلى أصحابها؛ الزّمخشريّ، السّكاكي، أبو حيّان الأندلسيّ، السّمين الحلبيّ، الإمام الزّركشيّ، الإمام عبد القاهر، سيّويه، ضياء الدّين بن الأثير، العلويّ<sup>(2)</sup>. ولا شكّ أنّ هذا التّوسّع مكّنه من فقه أسرار العربيّة جيّدا ومن ثمّ فضّلها على غيرها من هذه النّاحية (النّسق الحرّ).

ولعلّ ما يؤكّد تفضيله العربيّة على غيرها تلك النّتائج التي توصل إليها في خاتمة دراسته التّقابليّة - المشار إليها سلفا - بين العربيّة والإنجليزيّة والرّوسيّة. وأبرزها؛ «أنّ اللّغات متقاوتة فيما يتيح جهازها القواعديّ من إمكانيات الاختيار الأسلوبيّ، لا سيّما في مستوييه الصّرفيّ والنّحويّ؛ فلقد بدا الفرق في هذا المجال واضحا بين اللّغات الثّلاث لصالح العربيّة، ثمّ لصالح الرّوسيّة. هل لمثل هذه النّتيجة أن تلفتنا إلى جانب ذي خطر من جوانب الميّزة في لساننا العربيّ، ربّما جهله بعضنا وربّما حاك في صدر آخرين، وتردّدوا في الجهر به؟»<sup>(3)</sup>. ويبدو أنّ التّردّد بسبب الولاء للّغة الإنجليزيّة بعد هيمنتها واستحكامها عالميا.

النّتيجة المهمّة الأخرى والتي هي في صالح العربيّة، تقيد بأنّ «ما وُسِمَ به نظام الإعراب في العربيّة من تعقيد وصعوبة هو من قبيل الأقوال المرسلّة التي لا تستند إلى حجّة من تحليل أو مقارنة؛ فالرّوسيّة تفوت العربيّة في هذا المضمار بدرجات. ويبقى الفارق لا بين لغتين ولكن بين موقفين ثقافيين مختلفين لأصحاب اللّسان من لسانهم؛ تمسّكا به وحرصا عليه، أو برما به وتجاфия عنه»<sup>(4)</sup>. وهذا تنبيه شديد لمن يصدر الأحكام الجاهزة في حقّ اللّغات دون دراسة علميّة مستفيضة.

وعطفا على النّتيجتين، وإثراء لموقفه الدّاعم للعربيّة عن بيّنة، يختم بتوصية يدعو فيها معشر الباحثين إلى تعميق فقههم بلغتهم. يقول: «هل لنا أن نستشرف مستقبلا بحثيا تتضافر فيه جهود الباحثين من أبناء العربيّة لمقاربة خصائصها البلاغيّة من منظور تقابليّ مستوعب

1 - المرجع نفسه، ص 114.

2 - ينظر، المرجع نفسه، ص 119 إلى ص 121.

3 - المرجع نفسه، ص 143.

4 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لمسائل الصّرف والنّحو ومباحث علميّ المعاني والبيان، تعيينا للجوامع والكليّات، واستظهارا للمواضع والفروق على نحو يزيدنا علما بفقّه العربيّة وخصائصها، ويقنعنا على أساس من التّحليل العلميّ المنضبط بما لهذا اللّسان من طاقة وإمكانات يمتاز بها من سائر اللّسانة<sup>(1)</sup>. والعبارة الأخيرة جامعة لما سبق من بيان عن منزلة العربيّة بين اللّغات في رأي مصلوح.

وتبقى الإجابة عن السّؤال الذي وسمنا به هذا المبحث "هل العربيّة أفضل اللّغات؟" غير محسومة ولا يمكن حسمها علميّا، وإن كانت العاطفة قد حسمتها في كثير من المواقف؛ فكلّ لغة لها خصائصها مع تفاوت بينها، ناهيك على أنّ عدد لغات العالم يفوق ستّة آلاف لغة، ومقاربة السّؤال تقتضي إحاطة بأكبر قدر من هاته اللّغات حتّى يكون الحكم موضوعيّا، والغالب على كثير من القائلين بأفضليّة العربيّة عدم إحاطتهم ولو بلغتين، بل وربّما تجدهم لا يعرفون العربيّة حقّ المعرفة!

### 3- رأي في البلاغة المدرسيّة

صادفتني خلال مسيرتي التّعليميّة نقاشات ساخنة بين الأساتذة الأفاضل سواء في الواقع أو المواقع حول التّخريج البلاغيّ للصور البيانيّة المبنوثة في نصوص التّقويمات والامتحانات الرّسميّة، والحاصل أنّ كلّ واحد يدّعي صوابه وخطأ زميله أو تلميذه، على أنّ الصّواب لا ينحصر في إجابة الأستاذ (س) أو (ع)، ولكن المسألة نسبيّة وتحتل أكثر من قراءة، والقراءات المدلى بها قابلة كلّها لتكون صحيحة، فالمبدع حال إبداعه للتّصّ لم يقصد صورة بيانيّة معيّنة على وجه الإلزام والتّحديد، ولكّنه رام التّعبير عن المعنى في أبهى وأبلغ صورة.

ولأنّ سعد مصلوح على دراية بمثل هذه الإشكالات، فقد طرح خلال شهر جويلية من سنة 2025 على صفحته الرّسميّة في الفيسبوك ثلاثة أسئلة منفصلة زمانا ومتّصلة مكانا، وليس القصد الوصول إلى الإجابة عنها فهو الخبير بلا شكّ، ولكن إثبات وجهة نظره بالدليل السّاطع والبرهان القاطع.

أمّا السّؤال الأوّل فهو كالآتي:

«قال أحمد شوقي في مطلع إحدى غزليّاته:

لا، والقوام الذي والأعين اللّاتي \*\*\* ما خنّت ربّ القنا والمُشرفيّاتِ

والسّؤال:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، 144.

كيف يمكن إجراء التّشبيه (تحليله) في البيت بحسب المصطلح المعتمد في البلاغة العربيّة؟»<sup>(1)</sup>  
وجاء السّؤال الثّاني كما في قوله:

«سؤال في البلاغة: في أيّ نوع من أنواع البيان يمكن تسكين قول شوقي؟ وكيف يمكن تحليله بالإجراء البلاغيّ المدرسيّ؟

سلوا كؤوس الطّلا هل لامست فاها \*\*\* واستخبروا الرّاح هل مسّت ثناياها  
\*تثبيّه، السّؤال ليس بسيطا، بل يطرح إشكالا مهمّا؛ قدرة القاعدة المقتنّة بلاغيّا على استيعاب الإبداع»<sup>(2)</sup>.

وثالث الأسئلة وآخرها فحواه:

«يقول شوقي في " مجنون ليلي " على لسان ليلي تخاطب ابن ذريح وتعاتب قيسا:

قَدْ تَعَنَّى بِلَيْلَةَ الْعَيْلِ، ماذا \*\*\* كان بِالْعَيْلِ (\*) بين قيسٍ وبينِي؟

كلُّ ما بيننا سلامٌ ورُدُّ \*\*\* بين عَيْنٍ من الرِّفاقِ وأُذُنٍ

والسّؤال عن هذا الشّطر الأخير: (بين عين من الرّفاق وأذن). أين يقع تصنيفه تحديدا في مباحث علم البيان بحسب القوانين القارّة المعتمدة في علم البلاغة؟ استعارة تصرّحية؟ تشبيه؟ مجاز؟...؟»<sup>(3)</sup>

كانت هذه الأسئلة الثلاثة مثارا لعشرات التّعليقات من المختصّين والمهتمّين بقضايا اللّغة العربيّة، وبعد النّظر فيها وحوصلتها، تأكّد الأستاذ مصلوح من صحّة معنّده بوجود تباين في قراءة الصّور البيانيّة المحمولة في الأبيات الشّعريّة، ومنه القول بعدم قدرة القواعد البلاغيّة على استيعاب الإبداع، فكان أن وضع منشورا تقييميا يوضّح فيه المسألة وخالصة رأيه فيها، ونورده بنصّه كاملا لما فيه من الإشارات المهمّة. يقول:

1 - سعد مصلوح، سؤال في البلاغة 1، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/19، <https://2u.pw/JhLDIJ>

2 - سعد مصلوح، سؤال في البلاغة 2، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/19، <https://2u.pw/5yPi5c>

\* سألتُ الأستاذ سعد مصلوح عبر تقنية "المسنجر" بتاريخ 2025/11/26 على السّاعة 18:37 بتوقيت الجزائر عن معنى (العَيْل) في هذا السياق، فردّ مشكورا على السّاعة 18:52 بالآتي:

"مكان بالحجاز قريب من جبل التوباد، كانت فيه مضارب بني عامر قوم ليلي. ومعنى الغيل الماء الجاري، ويبدو أنّ المكان كان به نبع ماء. وقد ورد في موضع آخر من "مجنون ليلي": "طيري اسبقي الليلا وأدركي العيلا \*\*\* العهد من ليلي ومنزل الحبّ".

3 - سعد مصلوح، سؤال في البلاغة 3، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/20، <https://2u.pw/chcmHR>

«في منشورات ثلاثة سلّفتُ عرضتُ ثلاثة شواهد من شعر شوقي [وعندي مثلها عشرات أُخر من شعره ومن أشعار غيره من أساتذة الفنّ وشيوخه]، وكان السّؤال المتكرّر: في أيّ فنّ من فنون البلاغة يمكن تسكين الصّورة التي يحويها الشّاهد بحسب ما تقتضيه قوانين البلاغة المدرسيّة؟ وكيف يمكن تحليله بناءً على ما تقتضيه القاعدة؛ فإنّ حمّلتَه على التّشبيه وجب أن تحدّد ما هو حاضر أو غائب من الأركان الأربعة، وأيّ نوع من التّشبيه هو؟ وإن كان استعارة فأيّ نوع منها هو؟ وكيف يمكن إجراؤها على القواعد المقرّرة؟ وهلمّ على هذا الجرّ والسّحب في الأنواع الأخرى.

لم يكن السّؤال طلباً لشرح أو تفسير، أو تبرّعا بكلام هو من عند المعلّق لا تشهد له نصوصيّة الشّاهد وخصوصة صياغته. وقد أسعدتني الاستجابات التي تلقّيت على تباينها واشتجارها، بل بسبب تباينها واشتجارها؛ لأنّها تفضي إلى نتيجة كنت منها على أكادة أكيدة وتوقّع لا يشوبه ريب.

ففي بيتي "مجنون ليلي" ذهبت الاجتهادات في قول شوقي: "بين عين من الرّفاق وأذن" إلى أنّه مجاز مرسل، واختلف في تعيين العلاقة؛ فقيل الجزئيّة أو السببيّة أو الآليّة [والأخيرة إضافة لم تنصّ عليها القاعدة]. وقال بعض الفضلاء: وإن عددتها محلّيّة فلا حرج. كذلك رأى بعض الأساتذة أنّ البيت أكبر من المجاز المرسل ومال إلى نعت الصّورة بأنها استعارة تخيليّة. ومن المعلّقين من يرى أنّها استعارة تصرّحيّة، ومنهم من عدّها تشبيهاً ضمنياً، ومن عدّها تشبيهاً بليغاً باعتبار (من) في قوله: "من الرّفاق" بيانيّة، ومنهم من أسكنها باب الكناية. ومنهم من جمع في نعتها بين فئتين اثنتين بينهما بون بعيد فقال: مجاز وكناية. ولكلّ من هذه الأقوال وجه من الصّواب على التّفاوت قوّة وضعفاً.

أمّا في قوله: "لا والقوام الذي..."، فقد اتّفقت معظم التّعليقات على أنّه تشبيه، ونعته بعض الأفاضل بأنّه تشبيه بليغ، وبعضهم بأنّه تشبيه ضمنيّ، وزاد بعضهم إلى أنّه وإن كان ضمنياً مخالف لما قرّرتَه القاعدة، وجعله بعضهم من باب الاستعارة التّصرّحيّة.

وأما في قوله: "سلوا كؤوس الطّلا..."، فقد التّفت أكثر المعلّقين إلى توجيه السّؤال إلى الكؤوس والاستخبار إلى الرّاح، والظّاهر فيه أنّه من باب الاستعارة المكنيّة، لكنّا لم نجد في التّعليقات من توقّف مليّاً عند قوله: "هل لامست فاها" و "هل مسّت ثناياها". نعم؛ لا ريب أنّ ثمة تشبيهاً ضمنياً، لكن أركان التّشبيه الضمّنيّ هنا [الطرفان ووجه الشّبه] ليسا في الظّاهر القريب،

وهما معنان في الاستخفاء فلا يدركان إلاّ بغير قليل من المكث والتّلبّث، ولا تنال العبارة خبيئها إلاّ بجهد في الصّياغة جهيد.

وخالصة القول التي أنا معنيّ بالوصول إليها من منشوراتي الثلاثة اللّواتي كُنّ مناط تعدّد الرّؤى واختلاف الاجتهاد تنتهي إلى أمور:

أولها؛ أنّ تداخل فنون البلاغة حقيقة تصدّقها الممارسة لا سيّما من شيوخ الصّناعة.

ثانيها؛ أنّ الإبداع يتحدّى القاعدة ويتقلّت من شروطها وقيودها.

ثالثها؛ أنّ استشارة الذّكاء الاصطناعيّ في رأيي قد أخفقت في الكشف عن ظاهرة تداخل الفنون، ولعلّ ذلك كان لأنّها تصدر عن قاعدة بيانات ماثلة سابقة التّجهيز.

رابعها؛ أنّنا مقصّرون في محاكمة القاعدة البلاغيّة إلى النّصوص.

خامسها؛ وجوب الانتباه إلى أنّ الطّريقة التي تحكم تدريس البلاغة في مؤسّساتنا التّعليميّة لا تفيد ذوقا ولا تصقل ملكة، وأنّ فيها من العقم والآليّة ما يفسد عليها المقاصد المنوطة بها.

آخرها؛ أنّ شبيبة الباحثين في هذا المجال مدعوّون إلى مقاومة ظاهرة "التّصحّر البحثي" وتتكبّ الطّرق المأنوسة غير المنتجة، وإلى رجوع النّظر في التّراث البلاغيّ وما يحفل به من المسلّمات،

بما قد يفضي بالتّحليل البصير إلى إعادة صياغة كثير من أبواب التّشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية وغير ذلك من تفصيلات مباحث البلاغة بإعادة التّعريف والتّصنيف والإضافة

والدمج والتّفصيل، واجترار السّبل الموصلة إلى جلاء أسرار الإبداع في جياذ النّصوص دون الوقوف على رسوم القاعدة والفنوع في شأنها بالتّكرار والاجترار.

والخير أردت، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه الأكرمين، والحمد لله ربّ العالمين»<sup>(1)</sup>.

هذه إذن خلاصة ما توصلّ إليه مصلوح من خلال تلك الأسئلة الموجهة للجمهور، ولا شكّ أنّها قناعات معرفيّة ومنهجية مكتسبة من خبرته الطّويلة في مدارس البلاغة وفنونها،

وفيها تتجلّى رغبته في إعادة النّظر للمنجز البلاغيّ المدرسيّ أو بالأحرى القاعدة البلاغيّة الموجهة للتّلاميذ المبتدئين، لكن السّؤال المطروح: كيف ستتمّ العمليّة؟ ومن أين سنبدأ؟ وهل

في الإمكان هدم وإعادة بناء القواعد البلاغيّة كما عُرِفَت مع السّكاكي ومن تبعه؟ ألاّ تُعدّ تلك الأمثلة وغيرها من قبيل الحالات الشّاذة التي تخرج عن القاعدة العامّة كما في مجال الدّراسات

<sup>1</sup> - سعد مصلوح، لحقّ على منشور سبق، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/21، <https://2u.pw/UXPwcl>

النّحويّة؛ حيث إنّ هناك مواضع في القرآن الكريم تحتمل وجوها كثيرة من الإعراب؟ وهل في إمكان القاعدة أن تستوعب الإبداع كلّها، ونحن نعلم - بعبارة مصلوح- أنّه كلّما اقتربنا من التّقيّد الضّابط كلّما تقلّص دور الإبداع؟ صحيح أنّ التّركيز على القواعد يقضي على تذوّق النّصوص، لكن ليس العيب هنا في القواعد بقدر ما هو في البرنامج الدّراسيّ وطريقة التّدريس. وتبقى القاعدة اجتهادا بشريّا نسبيّا، ومراجعتها وإعادة بنائها من مهامّ المؤسّسات وفرق البحث لا الأفراد كلّ على حدة، وإلاّ سندخل دائرة الفوضى بامتياز.

وعموما فإنّ الأمور التي لفت سعد مصلوح الانتباه إليها مهمّة جدّا، وحقيقة بتحريك العقول ومقاومة ما يسمّيه ظاهرة "التّصحرّ البحثيّ"، وترشدنا في الوقت نفسه إلى إحياء البلاغة في ممارساتنا التّعليميّة لا بالتّعصّب للرّأي الواحد والقاعدة الواحدة، ولكن بحسن تذوّق الإبداع والقراءة الجيّدة لمرامي الشّاعر أو الكاتب.

#### 4- المنظور البيّنّي وأهمّيته في الدّراسات اللّسانيّة

من الصّورة عند الحديث عن الدّراسات البيّنّيّة في المجال اللّسانيّ التّمييز بين ما يمكن الاصطلاح عليه "البيّنّيّة الدّاخلية" و"البيّنّيّة الخارجيّة"؛ أمّا الأولى فموجودة بالقوّة وتعني تضافر علوم العربيّة فيما بينها لفهم أو تشخيص ظاهرة ما، إذ لا يمكن مثلا تفسير آية قرآنيّة بالاعتماد على علم النّحو فقط، ولا يمكن دراسة أسلوب كاتب معيّن بالاعتماد على علم البلاغة فحسب، وأمّا الثّانية فتعني عقد الصّلة بين علمين أحدهما لسانيّ والآخر خارجيّ كعلم النّفس أو الاجتماع أو الإحصاء أو الأعصاب أو الفلسفة... ومن اللافت أنّ الكثير ممّا يدرجه سعد مصلوح ضمن البيّنّيّة يقع في حدود النّوع الأوّل، كما هو الحال مع كُتّيبه الأخير "ثابت الإيقاع متنوّع الوقع -رسالة في بلاغة التّشكيل الصّوتيّ للتّفعيليّة العروضيّة-" (2019)، الذي مزج فيه بين علم الأصوات وعلم العروض وعلم البلاغة.

وهذا لا ينفى اشتغاله في إطار النّوع الثّاني (البيّنّيّة الخارجيّة)، ومن الأمثلة على ذلك؛ بحثه في الأسلوبيات الإحصائيّة، وبحثه الرّامي إلى توطين الجغرافية الأسلوبية في التّفافة العربيّة، وثالثها في اللّسانيّات العرفانيّة الموسوم بـ؛ "سرّ صناعة المجاز - دراسة في القصيدة البحريّة لنزار قبّاني"، المدرج ضمن كتابه الصّادر سنة (2017): "في اللّسانيّات والنّقد - أوراق بيّنّيّة-". وهنا يتبادر لنا سؤال: في أيّ نوع نُدرج الأدب والنّقد حال تعاضدهما مع اللّسانيّات؟ أضمّن البيّنّيّة الدّاخلية أم الخارجيّة؟ والأقرب في رأيي؛ أنّهما إلى الأولى أقرب، لأنّنا

لم نخرج عن إطار علوم العربيّة(\*)، وثمّة من يدرجهما في النّوع الثّاني باعتبار أنّ اللّغة والأدب والنّقد علوم منفصلة.

ويرى الباحث عبد السّلام حامد انتماء سعد مصلوح لآتجاه البينيّة الخارجيّة (الموسّعة)، فهو على حدّ قوله: «مثال بينيّ واعٍ للسانيّات الموسّعة تتجسّد خلاصته في البينيّة المبدعة المنفتحة، وارتياح آفاق النّقدين اللّسانيّ والأدبيّ من منظور لسانيّ فسيح، بالتّنظير أولاً ثمّ بالتّطبيق ثانياً، مع العناية بالتّطبيق لأنّه هو الأهمّ والفيصل والمعولّ عليه، وقد تمثّل هذا في ما قدّمه وطبّقه تحت ثلاثة عناوين كبرى؛ العنوان الأوّل: الأسلوبيّة الإحصائيّة، والثّاني: البلاغة العربيّة والأسلوبيّات اللّسانيّة، والثّالث: ثابت الإيقاع متنوّع الوقع... وكلّ ذلك مع ضرورة مراعاة مبدأ في غاية الأهميّة، وهو أنّ تمازج الاختصاص(\*) لا يعني إهدار الاختصاص»<sup>(1)</sup>.

وفي سياق انتقاد الباحث ذاته لعنوان المؤلّف محلّ المراجعة "اللسانيّات البينيّة"، يُبدي ملحظاً مهمّاً وتفرّيقاً من الضّرورة وضعه في الحساب كما أسلفنا الحديث في البداية، يقول: «أمّا مصطلح اللّسانيّات البينيّة فهو - في رأيي - غير دقيق وغير مناسب، وأساس ذلك ضرورة التّفريق بين مستويين في دراسة اللّغة؛ الأوّل: دراسة اللّغة في مستوى علوم البنية الدّاخلية (الصّوتيّات والصّرف والنحو والمعجم والدّلالة)، والمستوى الثّاني: دراسة اللّغة فيما يخرج عن دائرة المستوى الأوّل، كاللسانيّات النّفسيّة والاجتماعيّة والتّداوليّة والقانونيّة والإعلاميّة ولسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب وغيرها، والانتقال من دراسة المستوى الأوّل إلى المستوى الثّاني يتمّ عن طريق الدّلائليّات، والتّداخل أو الاتّصال في الدّراسة بين فرع وآخر في المستوى الأوّل الدّاخلية (مستوى علوم البنية) يوصف بأنّه دراسة لسانيّة بينيّة، والمصطلح المناسب المقترح لهذا في الإنجليزيّة هو (intralinguistics) ... وأمّا الاتّصال بين علم من علوم البنية

\* لعلنا نسترشد في هذا السّياق بانتقاد سعد مصلوح للقسم الثّنائيّ بين اللّغة العربيّة وآدابها في الجامعات العربيّة. يقول: "... ثم بتعميق مظاهر الفجوة في المرحلة الجامعية التخصصية بانسحاب برامج أقسام اللغة العربية إلى ما هو لساني متعلق باللغة وما هو خالص لآدابها، ويتجلى ذلك واضحاً في التسمية التي يحملها في جامعات العرب؛ ألا وهو "قسم اللغة العربية وآدابها". وفي التسمية عطف، والعطف - كما هو معلوم - يقتضي المغايرة". (سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص228).

\* تمازج الاختصاص بتعبير سعد مصلوح (interdisciplinarity)، ويقابله تعدّد الاختصاص (multidisciplinarity).

(ينظر، سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد، ص197).

<sup>1</sup> - ينظر، عبد السّلام حامد، مراجعة كتاب اللّسانيّات البينيّة لخالد حويّر الشّمس، مجلة تجسير، مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية، دار نشر جامعة قطر، مج 4، ع2، 2022، ص133.

اللغويّة والحقول المعرفيّة الخارجيّة الأخرى التي تقع في المستوى الثّاني، فهذا الأوّل فيهِ أن يسمّى باللّسانيّات الموسّعة (extended linguistics) .. «(1). ولا أدري سبب إدراجه التّداوليّة ولسانيّات النّصّ في إطار المستوى الثّاني مع أنّهما أحقّ بالمستوى الأوّل، كما أنّ تحليل الخطاب قائم على المقاربة المتّبعة؛ فهي وحدها التي تخولنا تصنيفه.

وسواء أكانت البينيّة داخلية أم خارجيّة، ضيقة أم موسّعة، ومهما اختلفت المصطلحات، فقد أصبحت - «ونحن في عصر ثورة المعلومات والاتّصال - من لوازم العلم وركنا أساسيا من أساسيات المعرفة الحديثة وتطوّرها في جميع المجالات، واللّسانيّات بما هي موضوع أساسه دراسة تفاعل الدّهن مع اللّسان النّاطق - صارت - في فلك العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، بل في بعض العلوم التّطبيقية قطبا رئيسا لا غنى عنه»(2). وإليها يدعو سعد مصلوح تحت عنوان "حواريّة الاختصاصات والمناهج"؛ إذ من واجبات الرّاهن «تفعيل مفهوم الحواريّة بين الاختصاصات والمناهج، وما يستتبع ذلك من التّقنيات والإجراءات التّحليليّة واستثماره بما يفيد الحركة العلميّة في مجملها، سواء أكان الاختصاص مؤسسًا كالفلسفة واللّسانيّات وعلم الاجتماع وعلم النّفس، أم خادما كالإحصاء والحاسوب، أم عمليًا تطبيقيًا كالتّعليم والقضاء، فإنّ كلّ من هؤلاء وهؤلاء نافع ومنفوع بما يعطي وما يتلقّى»(3).

ولأنّ السّياق العربيّ كثيرا ما يعاني أزمت وصرعات تمنع مثل هذه الحواريّة، جاءت دعوة التّفعيل من سعد مصلوح في ظلّ «ما نلحظه من انقطاع بين الاختصاصات، وتدابير بين المناهج والاتّجاهات، وتعارض بين أهل العلم يغيب به مفهوم الفريق البحثيّ بما يذهب بكلّ المنفعة، وكلّها أدواء معرفيّة ينبغي الاحتشاد بإخلاص لتشخيصها وعلاجها»(4).

لكن لا ينبغي أن تكون هذه الدّعوة سبيلا إلى إهدار الاختصاص؛ «فالشّعرة الفارقة بين تمازج الاختصاص وإهدار الاختصاص هي آفة الآفات المنتجة لعشرات بل لمئات من الكتب والمقالات والأطروحات الجامعيّة. وإنّ القارئ لواجد إيّاها أزواجا ثلاثة؛ فمنها ما صدق فيه كاتبه نفسه وثقافة أمّته وأمانة العلم التي نيطت به، وهو قليل. ومنها ما حشوه إثم كبير ومنافع

1 - المرجع نفسه، ص 131.

2 - المرجع نفسه، ص 130.

3 - سعد مصلوح، في اللّسانيّات والنقد - أوراق بينيّة -، ص 214.

4 - المرجع نفسه، ص 215.

للناس، وإثمه أكبر من نفعه وهو كثير. ومنها ما هو مقطوع الرّحم بصحيح العلم قولاً واحداً، وهو أكثر الكثير»<sup>(1)</sup>.

ولو ألقينا نظرة على الدراسات الغربية سنجد واقعا مغايراً تماماً كما يرى سعد مصلوح؛ «فمسيرة العلم في أقطار الأرض المتقدمة هي على الخلف من هذه الوجهة؛ إذ أنتج تسارع عجلة التطور في العلوم ظاهرتين متجادلتين ومتعارضتين في آن، ألا وهما: تناسل الاختصاصات بعضها من بعض، واتّجاهها إلى مزيد من التفرّيع من جهة، وهيمنة مفهوم البيئية والتداخل نتيجة لتعالق الظواهر واشتباكها من جهة أخرى، ولما كان لهذه الاختصاصات المتداخلة أيضاً فتننتها التي لا تقاوم، لم يكن بدّ لباحثينا وأقسام الدراسات العليا في جامعاتنا من أن ينسلوا إليها من كلّ حدب...»<sup>(2)</sup>. لكن شرط أن يصاحب هذا التوجّه تكوين رصين في العلوم البيئية المتّبعة، وإلا تصبح موضة عديمة الفائدة، وطريقاً إلى إهدار الاختصاص بالكلية. وأمّا إن كان الباحث ذا تكوين رصين، فسينتج لنا الجديد باتّباعه المنظور البيئي؛ الذي هو أحد أطواق النّجاة التي يمكن أن تُقدّم إلى الدّرس التّحويي، ولعلوم العربية بصفة عامّة من أجل تجديد الهواء وفحص الظواهر من وجهة جديدة<sup>(3)</sup>.

ومن الجديد المطروح في السّاحة العربيّة ما ضمّنه سعد مصلوح كتابه "في البلاغة العربيّة والأسلوبيات اللّسانية" سنة (2003)؛ وهو الدّعوة إلى "الجغرافية الأسلوبية" ولا شكّ أنّها من العلوم البيئية التي لم تجد لها صدى إلى الآن. يقول مصلوح في ذلك الوقت: «إذا جاز للباحث أن يحدّد هيئةً بعينها وتاريخاً بعينه لميلاد الجغرافية اللّغوية بما هي علم يختصّ باستراتيجية ومناهج وإجراءات لا يشركه فيها غيره، فإنّ القطع بمثل ذلك في أمر الجغرافية الأسلوبية هو ضرب من المحال، بل إنّ لدينا من الأدلّة اليقينية ما يؤكّد أنّه مجال معرفي لم تحرّر له بعد شهادة ميلاد بين العلوم اللّسانية. والذي يمكن أن يقال في حقّ المكتبة اللّسانية العربيّة هو أنّ ثمة تقاريق وأشتاتا من الملاحظ تشعّث في أكثر من موطن، ربّما يكون لها إذا أعيد جمعها وتنظيمها وتنميتها دور في تحديد قسّمات هذا العلم. أمّا مكتبة اللّسانيات العربيّة

1 - المرجع نفسه، ص 222.

2 - المرجع نفسه، ص 229.

3 - ينظر، سعد مصلوح، اختيار الموضوعات البحثية بين الإبداع والتقليد، القناة: د. مصطفى محمد الكنز، 28 فيفري

https://www.youtube.com/watch?v=P7T0Yz60elo، 2022

فإنَّ حظَّها من الدَّرس الجغرافيِّ جدَّ قليل، ومن الدَّرس الجغرافيِّ الأسلوبِيِّ في حكم العدم»<sup>(1)</sup>.

وإذا كانت الجغرافية اللُّغويَّة تتغيَّا وضع الأطلس اللِّسانيِّ، فقياسا على ذلك تسعى الجغرافية الأسلوبِيَّة إلى وضع الأطلس الأسلوبِيِّ؛ ويعني الأوَّل «مجموع الخرائط الخاصَّة بالميدان اللُّغويِّ المُعنى، وعليها يجري توزيع تنوِّعات المادَّة اللُّغويَّة المجموعة بحسب انتماءاتها المكانية والاجتماعيَّة»<sup>(2)</sup>. بينما يعني الأطلس الأسلوبِيِّ «مجموع الخرائط والنَّماذج الجغرافيَّة التي تسجِّل توزيع الظواهر الأسلوبِيَّة على خريطة الميدان اللُّغويِّ أو المدوَّنة الأسلوبِيَّة المدروسة. ومثال ذلك توزيع المفردات والتراكيب في لغة الإعلان أو لغة القانون أو اللُّغة العلميَّة على خريطة الوطن العربيِّ أو قسم منه لبيان مظاهر التنوُّع فيها»<sup>(3)</sup>. وعلى الرِّغم من وجود مثل هذه المقدِّمات النَّظريَّة المهمَّة، تظلُّ الحاجة ماسَّة إلى منجزات تطبيقيَّة رصينة مواكبة لروح العصر وتكنولوجيَّاته المتقدِّمة، ما من شأنها رفع لواء الأُمَّة العربيَّة عالميًّا، وحفظ مجد حضارتها العريقة.

1 - سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 172-173.

2 - المرجع نفسه، ص 162.

3 - المرجع نفسه، ص 178.

خاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ونشكره شكراً وفيراً يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

نصل الآن إلى طيّ صفحة هذا البحث بعد متابعة متأنية للمنجز اللسانيّ لدى سعد مصلوح بالتركيز على المرجعية الفكرية والممارسة التطبيقية، ورصد دقيق لأهم أفكاره وطروحاته في اللسانيّات العربيّة موزعةً على ميادين متكاملة فيما بينها، لعلّ أبرزها: (لسانيّات النصّ، الأسلوبيّات اللسانيّة، التقويم اللسانيّ، وقضايا العربيّة). وقد توصلنا إلى عدد من النتائج نجملها في الآتي:

- يمثل التنوّع سمة غالبية على الشّخصيّة العلميّة لسعد مصلوح؛ تنوّع في مقومات التّكوين المنهجيّ والفكريّ واللّغويّ، وتنوّع في مواطن وكيفيّات تقديم وإرساء الموارد اللّسانيّة.
- ينحو سعد مصلوح في طروحاته منحى التّراثيين الذين كانوا موسوعيّين، ولا يكتفي بالتّخصّص الواحد والمنهج الواحد؛ فهو ذو فكر شموليّ عابر للتّخصّصات. واللّغة العربيّة عنده كلّ متكامل، والفصل بين علومها منهجيّ ليس إلّا.
- يتّضح من خلال منجز مصلوح أنّ مفهوم البينيّة الغالب على بحوثه؛ يعني تداخل علوم العربيّة فيما بينها، وأمّا الاستعانة بعلوم خارجيّة في إطار البينيّة الموسّعة فقليل نسبياً.
- يقع تواشج الاختصاصات بين علوم اللّغة في ذاتها، وبين علوم اللّغة والأدب والنّقد من جهة أخرى، وبين علوم اللّغة والعلوم الخارجيّة كعلم الاجتماع وعلم النّفس من جهة ثالثة.
- يستعير مصلوح في كثير من السياقات مصطلحات الفقه وأصوله بدرجة أولى، وعلم النّفس وعلم الاجتماع بدرجة ثانية، وفي ذلك إشارة إلى العمق الفكريّ وتنوّع المرجعيّات المعتمدة.
- يسعى سعد مصلوح سعياً حثيثاً للبحث عن المفيد الكفيل بمعالجة المشكلات وتجويد الممارسات، سواء أكان في إطار التّراث أم الحداثة دون قطيعة بينهما، وهذا ما يذكّرنا بعبد الرّحمان الحاج صالح - رحمه الله -.
- يشكّل "البحث عن المفيد" مرجعيّة مصلوح الرائدة في كلّ أعماله، وهذا ما يجب أن يكون؛ خدمةً للسان والإنسان والثّقافة والبحث العلميّ.

- يعمد الباحث إلى قراءة التراث اللساني العربي في ضوء مستجدات الدرس اللساني الغربي ضمن ما يسميه "الصيرورة المعرفية"؛ التي تعني التّواصل والتّفاعل بين المنجزين على أساس أنّهما منجز إنسانيّ لسانيّ واحد.
- تتبدّى للقارئ مرجعية الباحث التّكاملية أو التّوفيقية في مزاجته الرّصينة بين الأفكار العربيّة الأصيلة وما يفيدها من النّظريّات اللّسانية الحديثة دون تعصّب لطرف على حساب الآخر.
- لا تخلو كتابات مصلوح من الاعتزاز باللّسان العربيّ الشّريف أوّلاً، وبفطاحلة العربيّة الأوائل ثانياً؛ ومن هؤلاء الفطاحل ذوي الحضور البارز في معجمه: سيبويه، ابن جنّي، الجرجانيّ، الزّمخشريّ، السّكاكي، القرطاجنيّ..
- وبدافع الاعتزاز المغدّي بالفهم الصّحيح، لا يدّخر مصلوح جهداً في الدّفاع عن مقولات التراث اللّسانيّ العربيّ حال رده على بعض أصحاب القراءات التّجديديّة، ومن ذلك مثلاً دفاعه عن مقولة الميزان الصّرفيّ في بحثه التّقويميّ لعبد الصّبور شاهين.
- لم يدفع به الاعتزاز والشّعور بالانتماء إلى الانغلاق على التراث وعدم قراءته وفق مستجدات البحث اللّسانيّ التي من شأنها تحريك رواسبه وبعث الحياة فيه من جديد.
- يتعامل مصلوح مع القضية اللّغويّة وفق تصوّر شموليّ بتأثير من اللّسانيّات الحديثة؛ ولا أدلّ على ذلك من دعوته إلى نحو النّصّ في مقابل نحو الجملة، والنّظاميّة في مقابل التّقنيّة، وفقه الظّواهر في مقابل فقه المسائل.
- يتصوّر مصلوح أنّ التّأريخ للهجات العربيّة القديمة والحديثة ضرورة لا بدّ منها إذا ما أردنا كتابة تاريخ صحيح للعربيّة.
- ينبني تصوّر مصلوح للهجات على مرجعية مزدوجة؛ الأولى غربيّة مستمدّة من اللّسانيّات الحديثة التي دعت لدراسة اللّهجات دون مفاضلة، والثّانية عربيّة مستندة إلى القراءات القرآنيّة.
- تركز أعمال الباحث ومحاضراته على ثنائيات مصطلحيّة مهمّة، وهذا ما يذكّرنا بثنائيات "دو سوسير" المختزلة من محاضراته التي أحدثت ثورة نظريّة ومنهجية في دراسة اللّغة البشريّة مطلع القرن العشرين. ومن ثنائياته المطرّدة في بحوثه نذكر: السّبك والحبك، الإقناع والتّخيل، المطابقة والمخالفة، التّحليل والتّركيب، النّظاميّة والتّقنيّة، نحو الجملة ونحو النّصّ، بلاغة

الشَّاهد وبلاغة النَّصِّ، النَّحو والمعجم، أمن اللَّبس وقصد التَّلْبِيس، نحو الفطرة ونحو الفطنة، فقه المسائل وفقه الظَّواهر، الإنشاء والإنشاد، ثابت الإيقاع ومنتَوِّع الوقع، البلاغة العربيَّة والأسلوبيات اللَّسانيَّة، النَّقد الأدبيِّ والنَّقد اللَّساني، التُّراث والحدائث..

- يرمي مصلوح من توطين الأسلوبيات الإحصائية في الثَّقافة العربيَّة إلى عقلنة الأحكام النَّقدية بإخراجها من الدَّوقية والانطباعية إلى العلميَّة والموضوعية، ومن خلالها سيتسنى لمعشر الباحثين التَّمييز بين كتابات الهواة والمتخصَّصين.

- يشكِّل النَّصُّ على اختلاف جنسه قبله مصلوح التي يستهدفها بالتَّنظير والتَّطبيق؛ فمنه المنطلق وإليه المآب.

- برع سعد مصلوح دون منازع في نقد وتقويم البحوث اللَّسانيَّة في الوطن العربيِّ على اختلاف مجالاتها (الصَّوتيات، الأسلوبيات، المصطلحيات، المعجميات، ولسانيات النَّصِّ..)، بإعمال مجموعة من الإستراتيجيات الحجاجية لتقنيد الادِّعاءات ودحض الأفكار المزعومة.

- يدفع الحماسُ العلميَّ الباحثَ أحيانا إلى نقد الكتابات بأسلوب أدبيِّ ساخر سواء بتوظيف آي القرآن الكريم أو الحديث الشَّريف أو أمثلة العرب وأشعارهم. وقد أخذ هذا الأسلوب من قراءته للأستاذين الجليلين: مصطفى صادق الرافعي ومحمود شاكر.

- أثبت سعد مصلوح بممارساته التَّقويمية أنَّ الكتابات اللَّسانيَّة في حاجة مستمرة للمراجعة والتَّصفية، وكلَّ البحوث يؤخذ منها ويُردّ.

- يتَّسم الخطاب اللَّسانيُّ للباحث بحضور لافت للنَّقد والتَّوجيه، ما يجعل منه في بعض الأحيان معلِّما وواعظا أكثر منه مفكِّرا ومنظِّرا.

- يجمع سعد مصلوح في بحوثه بين التَّنظير والتَّطبيق، وهو ما أهله ليكون نموذجا يحتذى به. ولعلَّ أبرز ما تفرَّد بإرساله في الوطن العربيِّ منذ تاريخ مبكِّر ماثل في: الأسلوبيات الإحصائية ولسانيات النَّصِّ. كما له أفكار مائزة في البلاغة العربيَّة وكذا الصَّوتيات والعروض.

- مكَّن إتقانُ التَّرجمة مصلوحَ من استيعاب الأفكار الغربيَّة في مظانِّها ثمَّ استنباتها في البلاد العربيَّة؛ ففي مجال الصَّوتيات على سبيل المثال له ترجمة لكتاب "ارنست بولجرام"؛ "مدخل إلى التَّصوير الطيفي للكلام"، وكذا مقالة "دي جروت"؛ "الصَّوتيات وجماليات القصيدة".. ما

يعني أنّ النّقل من اللّغة المصدر إلى اللّغة الهدف يجري دون وسيط قد يحول دون تمثّل صحيح ودقيق للأفكار اللّسانية.

- من مميّزات الكتابة اللّسانية عند سعد مصلوح؛ إحاطته بسياق أفكار الباحثين الغربيين، حيث يورد الاستشهاد ثمّ يتبعه بما وُجّه إليه من انتقادات، كما هو الحال في كتابه "الأسلوب".

- كثيراً ما يدعو مصلوح إلى العمل المؤسّساتي والاشتغال في إطار مراكز البحث والفريق العلميّ، إيماناً منه بجدوى هذا المذهب، وأنّ عديد المشاريع التي تنتظر العربيّة أكبر من أن يضطلع بها الأفراد.

- يكتسب القول بالتفاضل بين اللّغات مشروعيتّه العلميّة من الدّراسة التّقابليّة بين لغتين أو أكثر شريطة إتقان الدّارس لهاته اللّغات؛ وهو ما نحا بمصلوح إلى تفضيل العربيّة على الإنجليزيّة والرّوسيّة. وأمّا ما قبل الدّراسة فاللّغات كلّها سواء، ولا مجال للتّحيز العرقيّ كما هو ثابت في مبادئ اللّسانيّات الحديثة.

- ينحو نهج مصلوح في التّعامل مع الذّوق الإنسانيّ منحيين متضادّين:

\* منحي عقلنة الأحكام التّقديّة الذّوقيّة للتّصوص الأدبيّة من خلال مقاييس ضابطة.  
(تقييد للذّوق)

\* منحي تفعيل تذوّق الصّور البيانيّة في الممارسة التّعليميّة على حساب القواعد البلاغيّة المدرسيّة. (إطلاق للذّوق)

- للباحث بصمته الخاصّة في التّواصل مع الجمهور، ونشر المفيد والنّافع عبر مواقع التّواصل الاجتماعيّ من خلال صفحاته الرّسميّة في الفيسبوك والتويتّر والأنستغرام، أو حال استضافته في الجامعات ومراكز البحث والقنوات الفضائيّة، أو حتّى من خلال المحادثة الشّخصيّة عبر التّقنيات الحديثة - وهو ما استقدت منه كثيراً في هذا البحث-.

ومن الآفاق التي يمكن أن يفتحها البحث للدّراسة مستقبلاً ما يأتي:

\* الإعلانات الإداريّة لمصالح الجماعات المحليّة - دراسة لسانية تحليليّة في ضوء نحو النّصّ -.

\* لطائف الذكر الحكيم لسعد مصلوح - دراسة لسانيّة مقارنة في ضوء التّفاسير اللّغويّة للقرآن الكريم.-.

\* تدوينات سعد مصلوح في مواقع التّواصل الاجتماعيّ؛ "من الحقيقة" أنموذجًا - دراسة أسلوبية إحصائية.-.

\* رواية الشّوك والقرنفل ليحيى السّنوار - دراسة أسلوبية إحصائية في ضوء مقياس القابليّة للتّليخيص.-.

\* حوسبة النّظام اللّغويّ العربيّ في المنصّات الإلكترونيّة لقطاعيّ التّربية والتّعليم العالي الجزائريّين - التّشخيص والبديل.-.

هذا وأرجو في الأخير أن يكون البحث قد حقّق مبتغاه بما تضمّنه من محاور، وأن يفتح الآفاق أمام الباحثين لمزيد من الاهتمام بالدراسات العلميّة لأعلام العربيّة الأفاض الذين سحّروا وقتهم وجهدهم في البحث عن النّافع والمفيد بما آتاهم الله من فضله، "ذلك فضل الله يؤتية من يشاء، والله واسع عليم".

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص

أولاً: المصادر

- 1- سعد مصلوح، الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية-، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1992م.
- 2- سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية - آفاق جديدة -، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، ط1، 2003م.
- 3- سعد مصلوح، في النقد اللساني -دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف -، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2010م.
- 4- سعد مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة - دراسات ومثاقفات - عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2015م.
- 5- سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2015م.
- 6- سعد مصلوح، في اللسانيات والنقد - أوراق بينية -، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2017م.
- 7- سعد مصلوح، في تاريخ العربية - مغامرات بحثية-، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2017م.
- 8- سعد مصلوح، ثابت الإيقاع متنوع الوقع، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2023م.

ثانياً: المراجع

\* الكتب العربية

- 1- أحمد مصطفى المراغي، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط1، 1950م.

- 2- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2018م.
- 3- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تقديم: إحسان عباس، دار الأفاق الجديدة، بيروت، مج1، 1979.
- 4- حمزة بن قبلان المزيني، التحيز اللغوي وقضايا أخرى، الرياض، 2002/10/12م.
- 5- خالد فهمي وعبد السلام حامد، الأستاذ الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح - سيرة ومسيرة وأبحاث مهداة -، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2016م.
- 6- رامي علي أبو عايشة، اتجاهات الدرس الأسلوبي في مجلة فصول (1980-2005)، دار ابن الجوزي، الأردن، ط1، 2010م.
- 7- صفوت علي صالح، علم الأصوات الجنائي والتحليل الآلي للبصمة الصوتية، دار أم الدنيا، مصر، 2024م.
- 8- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012م.
- 9- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 1986.
- 10- عبد السلام السيد حامد، في العربية واللّسانيات - أسس ومقاربات-، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2018م.
- 11- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي البنائي التنوعي - أسسه ونماذجه وقضاياها، دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن، ط1، 2021م.
- 12- عبد اللطيف الخطيب وسعد مصلوح، نحو العربية، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1421هـ/2000م.
- 13- عبد اللطيف محمّد الخطيب، المستقصى في علم التصريف، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2003م.

- 14- عبير صلاح الدين الأيوبي، لغة الإعلان الصحفي في صحيفة الأهرام المصرية - دراسة لسانية تاريخية-، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2017م.
- 15- عطية سليمان أحمد، المعالجة العصبية للغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2022م.
- 16- محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل مع حاشية "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف" لابن المنير الاسكندري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ/1986م، ج2.
- 17- مبارك حنون، من لسانيات الاختلاف إلى اختلاف اللسانيات، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2023م.
- 18- محمد مرزوق وآخرون، السياسة اللغوية العربية والبيئة والبقاء، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016م.
- 19- مختار زاوي، دو سوسير من جديد، دار ابن النديم (الجزائر)، دار الروافد الثقافية- ناشرون (بيروت)، ط1، 2017م.
- \* الكتب المترجمة
- 20- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل- أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 2001م.
- 21- ج. فندريس، اللغة، تع: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1950م.
- 22- روبرت وليم ديكسون، هل بعض اللغات أفضل من بعض؟ تر: حمزة بن قبلان المزياني، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 1439هـ/2018م.
- 23- روجر فاوولر، النقد اللساني، تر: عفاف البطاينة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، نوفمبر 2012م.

24- ميلكا إفيش، اتجاهات البحث اللساني، تر، سعد مصلوح - وفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.

\* الكتب الأجنبية

25- Leonard Bloomfield, Language, Compton Printing works, Great Britain, 1923.

26- Ferdinand de Saussure, « Brouillons de lettres », Ms. fr. 3957/2, cité par Jean Starobinski dans Les mots sous les mots, éditions Gallimard, collection « Le Chemin », Paris 1971.

\* الدوريات والمجلات

27- إلهام عبد الوهاب المفتي، تحقيق التراث والأسلوبيات الإحصائية - دراسة تطبيقية في ديوان أبي تمام-، مجلة معهد المخطوطات العربية، مصر، مج 46، ع2، نوفمبر 2002م.

28- حافظ إسماعيلي علوي، عندما تسافر النظرية - لسانيات النص نموذجاً-، مجلة جسور، مكتبة الآداب، القاهرة، ع1، يناير 2012م.

29- حافظ إسماعيلي علوي، في تقويم البحث اللساني العربي المعاصر - كتابات سعد مصلوح أنموذجاً-، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري - تيزي وزو-، الجزائر، ع36، جوان 2016م.

30- سامية بن دريس، أجرومية النصّ لدى سعد مصلوح، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، مج 34، ع1، 2020/08/05م.

31- سعد مصلوح، تحقيق نسبة النصّ إلى المؤلف - دراسة أسلوبية إحصائية في الثابت والمنسوب من شعر شوقي-، مجلة فصول، مصر، مج3، ع1، 1982م.

32- سعد مصلوح، علم الأسلوب والمصادرة على المطلوب، مجلة فصول، مصر، مج 5، ع3، 1985م.

- 33- سعد مصلوح، عن دقائق التلبس بين التأليف والترجمة - كتابات صلاح فضل أنموذجا، مجلة اللساني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، مج1، ع1، شتاء 2021م.
- 34- سعد مصلوح، في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة (تطبيق على أشعار البارودي وشوقي والشابي)، مجلة الفكر، تونس، ع2، 1 نوفمبر 1984، السنة الثلاثون.
- 35- سعد مصلوح، قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب -دراسة لنماذج من كتابات العقاد والرافعي وطه حسين-، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ع1، 1981م.
- 36- عبد السلام حامد، نحو النصّ عند سعد مصلوح، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة السلطان قابوس، 2015/11/22م.
- 37- عبد السلام حامد، مراجعة كتاب اللسانيّات البينيّة لخالد حويّر الشّمس، مجلة تجسير، مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، دار نشر جامعة قطر، مج 4، ع2، 2022م.
- 38- علاء الدين فداوي وعليّة بيبية، المراجعة النقدية المؤسسة للكتابة اللسانية العربية من منظور سعد مصلوح، مجلة أبوليوس، جامعة سوق أهراس، الجزائر، مج11، ع2، جويلية 2024م.
- 39- عماد غنوم، تطوّر النّظريّة اللّغويّة من سوسير إلى جاكبسون، مجلّة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 2، ع29، ديسمبر 2016م.
- 40- محمد صاري، من أزمة فهم اللسانيّات إلى أزمة فهم التّراث، مجلّة اللسانيّات العربيّة، الرياض، السّعوديّة، ع7، يوليو 2018م.
- 41- ناصر بن فرحان الحرّيص، مراجعة كتاب هل بعض اللغات أفضل من بعض؟ مجلة اللسانيّات العربيّة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، السّعوديّة، ع10، يناير 2020.
- 42- هبة خياري، المرجعيّات الفكرية في الخطاب اللساني العربي المعاصر، مجلة التواصل في اللغات والآداب، مج 23، ع 52، ديسمبر 2017م.

43- هشام بُحَيْرِي، مراجعة كتاب "بلاغة التضاد في بناء الخطاب: قضايا ونماذج" للدكتور عبد الرحمان بودرع، مجلة اللسانيات العربية، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، السعودية، مج11، ع21، محرّم 1447هـ/ يوليو 2025م.

\* المواقع الإلكترونية

44- سعد مصلوح، حوار مع الدكتور سعد مصلوح حول التفصيل في إعراب آيات التنزيل،

القناة: د. عامر أحمد عامر، 2015/10/15، <https://www.youtube.com/watch?v=ObERhQsrKpM>

45- سعد مصلوح، تجربتي مع العربية تعلّمًا وتعليمًا، القناة: عبد العزيز العمري، الكويت،

<https://www.youtube.com/watch?v=uPZkkzRguJ4>، 2019/02/08

46- سعد مصلوح، اللغة العربية بين اللغات - المقاربة العلمية للغة العربية-، القناة: قطوف

الرؤى، 2019/11/1، <https://www.youtube.com/watch?v=NWUsZFNemY4>

47- سعد مصلوح، العربية بين لغات العالم، القناة: أ.د سعد عبد العزيز مصلوح/ محب

العربية، 2020/05/27، [https://www.youtube.com/watch?v=Z6JdEpeH\\_g4](https://www.youtube.com/watch?v=Z6JdEpeH_g4)

48- سعد مصلوح، قراءة التراث البلاغي - مثال من منجز السكاكي-، كلية اللغة العربية،

جامعة الأزهر، مصر، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 13 جانفي 2022،

<https://2u.pw/xCEEAlpc>

49- سعد مصلوح، احتفاء وزارة الثقافة المصرية بالتجربة اللسانية والنقدية للدكتور سعد مصلوح، القناة:

د. محمد مصطفى الكنز، 2022/01/24، <https://www.youtube.com/watch?v=Qdjrl38K7WY>

50- سعد مصلوح، اختيار الموضوعات البحثية بين الإبداع والتقليد، القناة: د. مصطفى

محمد الكنز، 28 فيفري 2022، <https://www.youtube.com/watch?v=P7T0Yz60elo>

51- سعد مصلوح، حوار عن اللسانيات والعربية والتراث 1، القناة: أثارة من علم،

<https://www.youtube.com/watch?v=bqS-OafHj9U>، 2022/05/30

52- سعد مصلوح، حوار عن اللسانيات والعربية والتراث 2، القناة: أثارة من علم،

<https://www.youtube.com/watch?v=Pv0PzKPwr30>، 2022/06/09

- 53- سعد مصلوح، كلمة د. سعد مصلوح في ملتقى (الإثنية) بجدة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2022/09/04، <https://www.youtube.com/watch?v=UZy7NcDJRpU>
- 54- سعد مصلوح، من الحقيقة: ألا إن كذب المنبر بقاء مشهور، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2023/07/23، <https://www.facebook.com/share/p/15vowZdFZz/>
- 55- سعد مصلوح، الأسلوبية الإحصائية وتطبيقاتها، دار المخطوطات-إستانبول، القناة: مختارات، 2023/07/30 <https://www.youtube.com/watch?v=FUYL4FSMvwo&t=3047s>
- 56- سعد مصلوح، واضرب لهم مثلا، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2023/08/01، <https://www.facebook.com/share/p/1ADNmPwjPP/>
- 57- سعد مصلوح، شجاعة العربيّة وتجلياتها في القرآن الكريم، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2024/02/23، <https://www.youtube.com/watch?v=rr2MwwBoE8o>
- 58- سعد مصلوح، مؤلف قيم، الصفحة الرسمية على موقع X (تويتر سابقا)، 2024/04/30، <https://x.com/saadmaslouh/status/1785081700160082150>
- 59- سعد مصلوح، الأسلوبيات التعااقبية وصناعة التحقيق، كلية العلوم الإسلامية، جامعة السلطان محمد الفاتح، تركيا، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2024/09/11، <https://2u.pw/J725GCmn>
- 60- سعد مصلوح، حوار مفتوح حول قضايا لسانية متنوّعة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 24 سبتمبر 2024، <https://2u.pw/Fa32qNL5>
- 61- سعد مصلوح، تنبيهات أسلوبية ومعرفية مهمة، القناة: د. محمد مصطفى الكنز، 2024/09/25، [https://www.youtube.com/watch?v=ZFHix\\_Zki7s](https://www.youtube.com/watch?v=ZFHix_Zki7s)
- 62- سعد مصلوح، موازين- اللغة العربية واختبار الهوية، القناة: الجزيرة ( AlJazeera Arabic)، 2024/12/21، [https://www.youtube.com/watch?v=x\\_edtRyJrJs](https://www.youtube.com/watch?v=x_edtRyJrJs)
- 63- سعد مصلوح، من الحقيقة: وصية ذهبية من شيخي عبد الرحمن أيوب، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/04، <https://www.facebook.com/share/p/1CrWYDhsia/>

- 64- سعد مصلوح، سرديّة/ أ.د سعد عبد العزيز مصلوح، القناة: الثقافيّة، 2025/03/12،  
<https://www.youtube.com/watch?v=CyuDjjbc7Lk&t=3086s>
- 65- سعد مصلوح، تجرّبةٌ، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/06،  
<https://www.facebook.com/share/p/1BZuYS2TNC/>
- 66- سعد مصلوح، نصيحة واجبة إلى الرُفقة السالكين طريقَ الطلبِ من أفتاء الباحثين،  
 الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/11، <https://www.facebook.com/share/p/12KhUQ8vnsz/>
- 67- سعد مصلوح، ويسألونك عن القطيعة المعرفيّة مع التّراث، الصفحة الرسمية على  
 الفيسبوك، 2025/07/24، <https://www.facebook.com/share/p/1BJLeLGLW6/>
- 68- سعد مصلوح، ب/خ دار العلوم، الصّفحة الرّسميّة على الفيسبوك، 20 أوت 2025،  
<https://www.facebook.com/share/p/17NS4zAa5h/>
- 69- سعد مصلوح، ندوة مستقبل اللّسان العربيّ ولغة الشعر القديم، النقابة العامة لاتحاد كتاب  
 مصر، الزّمالك، 2025/08/30، <https://www.facebook.com/share/p/16iPJzr33x/>
- 70- سعد مصلوح، نسخة مهداة، الصّفحة الرّسميّة على الفيسبوك، 2025/09/13،  
<https://www.facebook.com/share/p/19KNPjWGAE/>
- 71- سعد مصلوح، أطروحات عوارض التركيب، الصفحة الرسمية على الفيسبوك،  
 2025/09/24، <https://www.facebook.com/share/p/1JxaCNyBMS/>
- 72- سعد مصلوح، سؤال في البلاغة 1، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/19،  
<https://2u.pw/JhLDIJ>
- 73- سعد مصلوح، سؤال في البلاغة 2، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/19،  
<https://2u.pw/5yPi5c>
- 74- سعد مصلوح، سؤال في البلاغة 3، الصفحة الرسمية على الفيسبوك، 2025/07/20،  
<https://2u.pw/chcmHR>

- 75- سعد مصلوح، لَحَقَّ على منشور سبق، الصفحة الرسمية على الفيسبوك،  
<https://2u.pw/UXPwcl>، 2025/07/21
- 76- سعد مصلوح، تعليق بمناسبة اكتمال معجم الدوحة التاريخي، الصفحة الرسمية على  
 الفيسبوك، 2025/12/24، <https://www.facebook.com/share/p/17MnRUUNyR>
- 77- عباس أرحيلة، مسألة التأثير الأرسطي في البلاغة المغربية من خلال كتاب التنبهات  
 لابن عميرة، 28 أوت 2015، <http://abbasarhila.blogspot.com/2015/08/blog-post.html>
- 78- عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مفهوم الحسبة في الإسلام، موقع الألوكة،  
 2015/12/28، <https://2u.pw/IWXoV>
- 79- عبد القادر الفاسي الفهري، مشروع المعجم البنائي التوعوي، كلية الآداب، جامعة الكويت،  
 2021/06/11، <https://www.youtube.com/watch?v=Fm1CloQMYNQ>
- 80- فتوى إسلام ويب، معنى قول العلماء: ورد في السنّة - ثبت في السنّة، موقع إسلام  
 ويب، 2 شعبان 1439هـ/17 أبريل 2018م، <https://2u.pw/dqzUQ>
- 81- مصطفى غلفان، قراءة التراث اللغوي في ضوء اللسانيات المعاصرة، كلية الآداب والعلوم  
 الإنسانية، مراكش، المغرب، 2015/02/23، <https://www.youtube.com/watch?v=uNQGbSB7fnM>
- 82- منذر عياشي، تعليق بمناسبة اكتمال معجم الدوحة التاريخي، الصفحة الرسمية على  
 الفيسبوك، 2025/12/25، <https://www.facebook.com/share/p/17rgPEXuPP>
- 83- المجلس الأعلى للغة العربية، ب/خ مشروع الأطلس اللساني الجزائري، الصفحة الرسمية  
 للمجلس على الفيسبوك، 2025/09/16، <https://www.facebook.com/share/p/176Pn8dVu6/>
- 84- مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، إعلان الفائزين في الدورة الرابعة، الموقع الرسمي للجائزة،  
 26 أكتوبر 2025، <https://x.com/KSGAPFAL/status/1982391823982116972>

الفهرس

الفهرس

- مقدمة ..... أ - ز
- مدخل: مسار النشأة العلمية لسعد مصلوح ومحطات إرساء الفكر اللساني ..... 9
- 1- مسار النشأة العلمية ..... 10
- 2- محطات إرساء الفكر اللساني ..... 13
- 3- مختارات من مَع أقواله ..... 21
- 4- قالوا عن سعد مصلوح ..... 23
- الفصل الأول: تجليات التفكير اللساني لدى سعد مصلوح بين المرجعية والإجراء ..... 29
- 1- المرجعية الفكرية في تأسيس نحو نصي للغة العربية ..... 30
- 1-1- في ضوء بحثه التأسيسي «العربية من نحو الجملة إلى نحو النص» (1990م) .... 32
- 1-2- في ضوء مراجعته للمذهب النحوي عند تمام حسان (1999م) ..... 39
- 2- إختبار النص العربي من وجهة نظر نحو النص ..... 43
- 3- المنظومة التحليلية لدراسة النص؛ من الأسلوبيات المعاصرة إلى علم الأدب للسكاكي ..... 48
- 1-3- القسمة الثلاثية لعلمي البلاغة والأدب.. أية علاقة؟ ..... 50
- 2-3- لماذا مفتاح العلوم وسيط بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية؟ ..... 53
- 3-3- ملاحظ على تقويم البلاغة لسانياً ..... 55
- 4- استثمار بلاغة القرطاجني في مقارنة النص الإعلاني في الصحافة المعاصرة .. 60
- 1-4- في مفهوم الإقناع والتخييل ..... 61
- 2-4- المزوجة بين الإقناع والتخييل في صناعة الإشهار ..... 63
- 5- الأسلوبيات اللسانية بين المحافظة والانفتاح ..... 66
- 1-5- الوسيط المعرفي الأسلوبي؛ متابعة وتقويم ..... 70

- 72 ..... 2-5 شواغل الأسلوبية؛ من النص الأدبي إلى قضايا حية
- 74 ..... 3-5 الأسلوبية الإحصائية؛ البديل الموضوعي لفحص النص
- 74 ..... 1-3-5 الوفاء بالغاية التعليمية
- 76 ..... 2-3-5 من ذاتية التذوق إلى صرامة المنهج
- 82 ..... 6- توظيف المقاييس الإحصائية في نقد لغة الخطاب النقدي
- 88 ..... الفصل الثاني: المنحى النقدي في كتابات سعد مصلوح اللسانية
- 89 ..... 1- مفاهيم تأسيسية لا بُدّ منها
- 92 ..... 1-1 النقد اللساني
- 93 ..... 2-1 النقد المتألسن
- 96 ..... 3-1 النقد الفقهي والنقد الثقافي
- 97 ..... 4-1 التقويم اللساني
- 98 ..... 2- ملامح الفكر النقدي لدى سعد مصلوح
- 98 ..... 1-2 نقد الوضع اللساني العربي عامة
- 108 ..... 2-2 نقد موجه لبحوث لسانية خاصة
- 110 ..... 1-2-2 في الردّ على أبو ديب إنصافاً للمستشرق "فايل"
- 111 ..... 1-1-2-2 إستراتيجيات الكشف والإقناع
- 117 ..... 2-2-2 في الردّ على صلاح فضل
- 117 ..... 1-2-2-2 أسس المناقشة والردّ
- 124 ..... 2-2-2-2 من المصادرة على المطلوب إلى دقائق التلبس
- 130 ..... 3-2-2 ملاحظ على بحوث تقويمية خاصة

- الفصل الثالث: مسائل ورؤى لسانية حول اللغة العربية من منظور مصلوح ..... 137
- 1- في العلاقة بين العربية ولهجاتها ..... 138
- 2- هل اللغة العربية أفضل اللغات؟ ..... 149
- 3- رأي في البلاغة المدرسية ..... 155
- 4- المنظور البيئي وأهميته في الدراسات اللسانية ..... 159
- خاتمة ..... 164
- قائمة المصادر والمراجع ..... 170
- الفهرس ..... 180
- الملخص: ..... 184

## المُلخَص:

يسعى البحث إلى دراسة التفكير اللساني عند سعد مصلوح - باعتباره تفكيراً علمياً يتخذ الظاهرة اللغوية موضوعاً له - من خلال بحوثه ودراساته الموجهة للمتخصصين، والنظر في مرجعيّاته المعتمدة في إرساء المعرفة اللسانية (تراثية عربية، غربية أجنبية، توفيقية تواصلية)، وكذا ممارساته التطبيقية المتجلية في مجالات متضافرة: الأسلوبيات الإحصائية، لسانيات النص، البلاغة العربية، المراجعات النقدية للبحوث الصوتية والمعجمية والأسلوبية.. وهذا بغرض إبراز جوانب التميز في منجز أحد أعلام اللسانيات العربية المعاصرين، ومدى إسهامه في المقاربة العلمية للغة العربية، والتأسيس لخطاب لساني عربي ناضج وفعال.

**الكلمات المفتاحية:** سعد مصلوح، التفكير اللساني، المرجعيّات الفكرية، الممارسات التطبيقية

**Abstract:**

This study investigates the linguistic thought of Saad Maslouh as a scientific approach that systematically examines linguistic phenomena. It analyzes his research and scholarly writings aimed at specialists, while also considering the intellectual frameworks that underpin his work, including the Arabic linguistic heritage, Western linguistic traditions, and integrative communicative approaches. The study further explores his applied practices across interrelated domains, such as statistical stylistics, text linguistics, Arabic rhetoric, and critical evaluations of phonetic, lexical, and stylistic studies. The objective is to highlight the distinctive features of Maslouh's scholarly contributions, assess his role in advancing a scientific approach to the Arabic language, and demonstrate his efforts in establishing a mature and effective Arabic linguistic discourse.

**Keywords:** Saad Maslouh, Linguistic thought, Intellectual frameworks, Applied practices